

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت -

Universite Belhadj Bouchaib -Ain Témouchent-



كلية: الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية  
قسم: اللغة والأدب العربي.  
مخبر: الخطاب التواصلية الجزائري الحديث

## أطروحة

### مقدمة من أجل نيل شهادة الدكتوراه

ميدان: لغة و أدب عربي.  
شعبة: دراسات لغوية  
تخصص: لسانيات النص وتحليل الخطاب.

إعداد : جمعاء خيرة.

## العنوان

### ...لسانيات النص القرآني- قراءات في خصوصيات التعبير القرآني....

ناقشت علنا، بتاريخ / / ، أمام أعضاء لجنة المناقشة المكونة من :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
عيسى خثير	أستاذ	رئيسا	جامعة عين تموشنت
حبيب بوسغادي	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة عين تموشنت
هشام خالدي	أستاذ	ممتحنا	جامعة تلمسان
حليمة بلوافي	أستاذة	ممتحنا	جامعة عين تموشنت
جلال مصطفاوي	أستاذ	ممتحنا	جامعة عين تموشنت
زهرة سعد الله	أستاذة	ممتحنا	جامعة وهران (1)

السنة الجامعية: 2022- 2023



## كلمة شكر وعرفان

أحمد الله عز و جل و أشكره على فضله، أن أعانني على إتمام هذه الأطروحة و أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير إلى من شاركني هذا البحث العلمي و لم يبخل علي بنصائحه و توجيهاته العلمية و المعنوية و جاد من وقته ليثري بحثي؛ أخص بالذكر

أستاذي المشرف: بوسغادي حبيب، الذي دعمني في هذا العمل حتى خرج في شكله النهائي الأكاديمي، فأسعده الله في الدارين

الأستاذة: بن يخلف نفيسة أكرمها الله و جزاها عني خير الجزاء

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة على

قبولها مناقشة الأطروحة و قراءتها و إبداء الرأي فيها.



# الهدايا

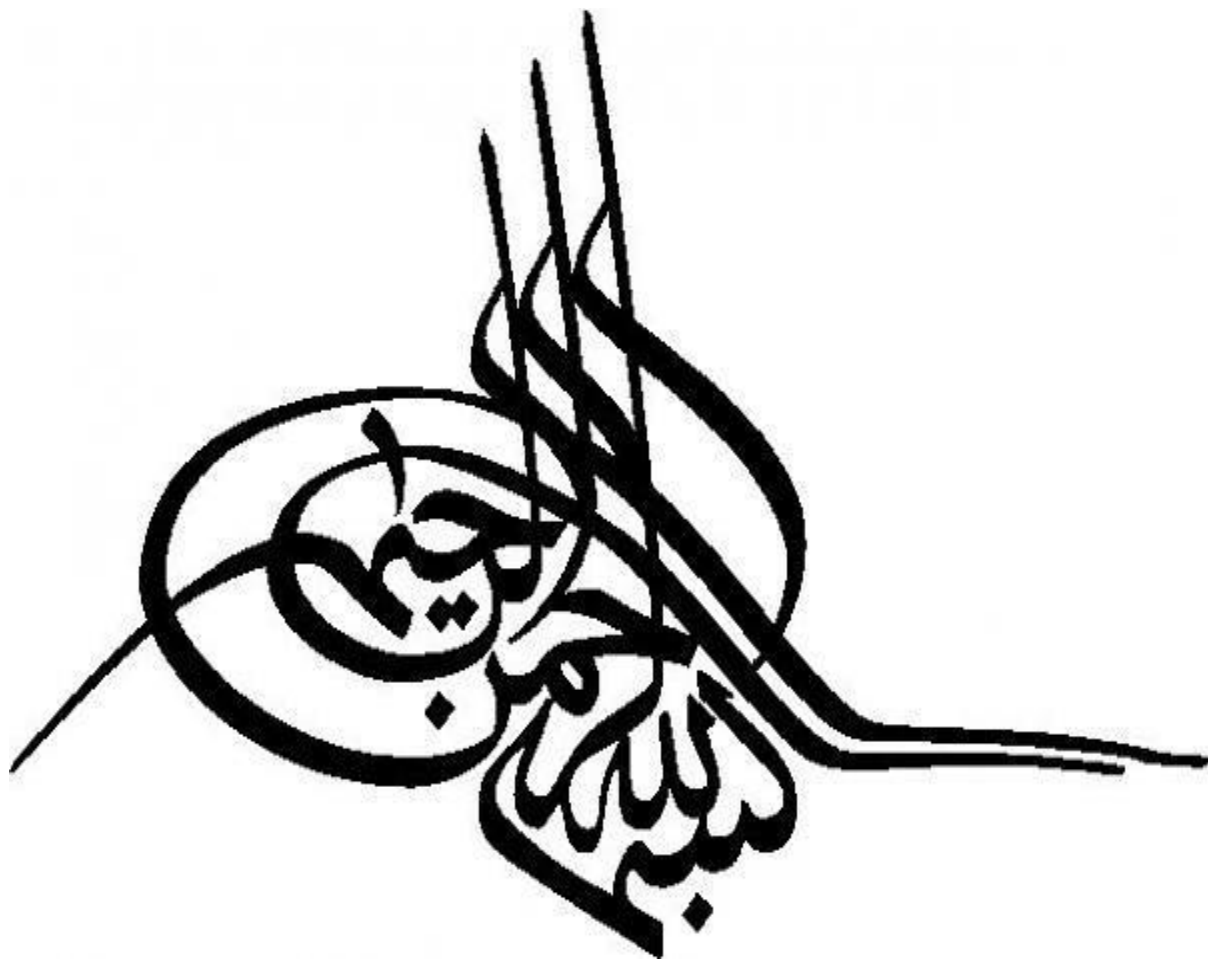
إلى من ضربوا أروع الأمثلة في التربية و الأخلاق الفاضلة

إلى الوالدين الكريمين و الإخوة و الأخوات

إلى كل من أسهم في تشجيعي و لو بكلمة

إلى كل من علمني حرفا ، زادني به أدبا و علما

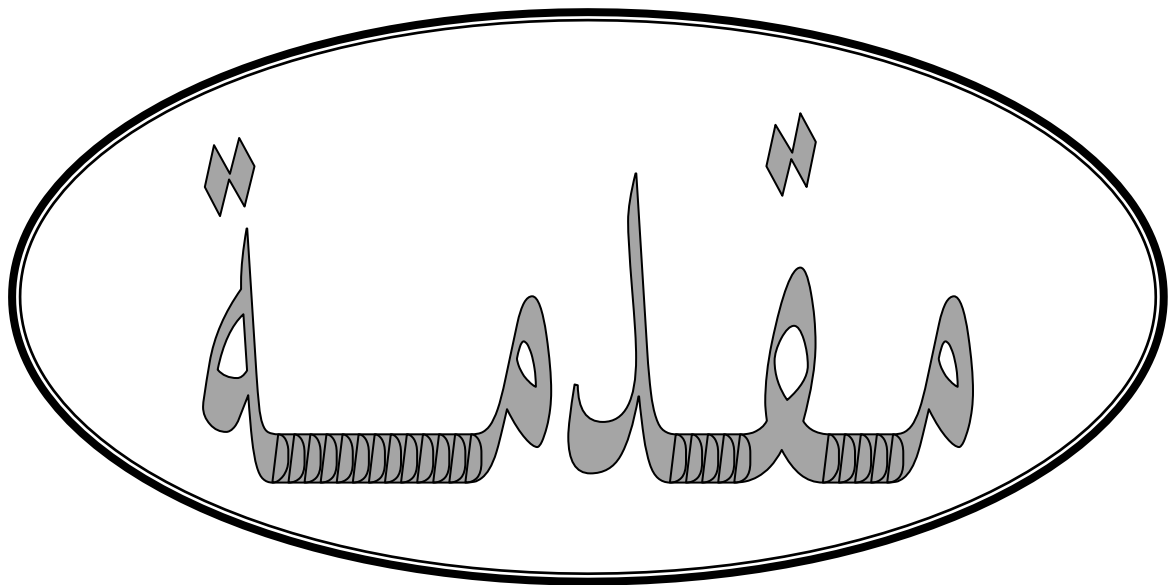
أهدي هذا العمل المتواضع



﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ ﴿٨٨﴾

هود [88]





تشكل لسانيات النص نموذج حديث في التعامل مع الظاهرة اللغوية بالوصف والتحليل انطلاقاً من وحدة لغوية كبرى هي النص، ومن منظومة مفاهيم لسانية بمسمياتها الاصطلاحية، وتعد منهجاً لسانياً حديثاً له من الخصوصيات والآليات الإجرائية ما يجعل مهمته تتجاوز وصف الجملة، فلم يعد الدرس اللساني محصوراً في دراسة الوحدات المعجمية والتراكيب الجمالية، وإنما اهتم بالسلاسل الجمالية عندما تكوّن في تجمعها نصاً متماسكاً، وهذا لا يعني أن علم النص يتفوق على نحو الجملة، فلكل علم منهجه ومادته وقوانينه ومصطلحاته ومفاهيمه وآلياته الإجرائية، لكن تبقى هناك حلقة تربط بينهما، فلا يذكر علم النص إلا وتكون مقولات الجملة حاضرة، فقد كان نحو الجملة بما طرحه من إشكالات على المستوى الدلالي سبباً في اهتمام العلماء إلى نحو يتجاوز النظام الافتراضي للجملة، إلى واقعية النصوص بوجود عناصر التواصل، فالنص رسالة بين مرسل باث، ورسالة، وملتق مستقبل للرسالة، وهذا المثلث التواصلية، يجعل عملية التحليل اللساني تشمل عناصره الثلاثة، وفق ما جاء في مقارنة ديوجراند التواصلية.

لا بد من الإشارة إلى أن هذا البحث قد سبق بالكثير من الرسائل العلمية الأكاديمية التي اهتمت بلسانيات النص وتحليل الخطاب وكانت غايتها في ذلك الكشف عن التماسك النصي للنصوص اتساقاً وانسجاماً، ومنها ما اتخذت بعض معايير النصية موضوعاً وعنواناً لها، كـ(الإحالة دراسة نظرية مع الترجمة في كتاب "الاتساق في اللغة الإنجليزية عند هالدي" )، و(المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم)، والنص القرآني لغة إعجازية بامتياز، فقد جمع بين حسن اختيار الألفاظ بدقة متناهية فلا تخضع للتعويض أو الاستبدال بغيرها من المترادفات، وبين حسن نظم آياته و تأليفها فتصورك لك معنى تدركه العقول قبل الأبصار، ويدهشك اختتامها بصوت يحدث إيقاعاً موسيقياً متوازناً، تطرب له الأذان وترتاح له النفوس، فتسابق العلماء لمدارسته وتحليله نحواً ونقداً وبلاغةً وفقهاً، وتفسيراً وتأويلاً، ليخرجوا بأسرار عجيبة وكنوز كثيرة فرفعهم شأنًا، وزادهم علماً، وجعلوهم من المتقين، وقد سارع العديد من الباحثين في العصر الحديث إلى النص القرآني فجعلوا من سوره فضاء رحباً للتحليل والتفسير مستخدمين الآليات النحوية كإحالة والحذف والاتساق المعجمي والوصل والمكونات الدلالية كالعلاقات الدلالية وترتيب الخطاب والبنية الكبرى والمكونات التداولية كالسياق والمناسبة وأسباب النزول لإثبات النصية والترابط النصي بين الآيات والسور، ويضاف هذا البحث إلى القائمة، فالإعجاز البياني للقرآن بحر لا ينفذ.

**واختياري للنص القرآني كان مقصوداً لأخوض تجربة علمية في التحليل اللساني على نص مقدس ومعجز، نص محكوم على تماسكه وترابطه مسبقاً منذ قرون خلت، وقد كان النص القرآني محل قراءات حديثة**

متعددة ومختلفة تبعا للمنهج المعتمد في التحليل، إذ طُبِّق عليه المنهج البيّنوي والتداولي والسميائي، ولكل منهج خصائصه وأدواته الإجرائية، ويركز هذا البحث على بيان مظاهر الاتساق والانسجام من خلال مقولات علم النص في مقابل ما يتميز به النص القرآني من خصوصيات في التعبير، فجاءت هذه الدراسة بعنوان "لسانيات النص القرآني-قراءات في خصوصيات التعبير القرآني".

ويتمحور البحث حول إشكالية رئيسة تتمثل في مدى استجابة النص القرآني لمقولات المقاربة النصية، خاصة وأن النص القرآني موصوف بالمعجز فهذا يجعل له خصوصيات يتفرد بها، وتتضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، منها:

- ما هي مقولات النظرية اللسانية النصية الحديثة حول النصية ومظاهر التماسك النصي؟
  - ما هي مقولات النظرية البلاغية العربية في تحليل النصوص وبيان تماسكها؟
  - ما هي المقولات التفسيرية والأصولية للظواهر اللغوية التي اختص بها النص القرآني؟
  - هل تصلح أدوات وآليات لسانيات النص لمقاربة النص القرآني وإثبات تماسكه النصي؟
  - هل يتعارض إسقاط المقاربة اللسانية النصية مع خصوصيات النص القرآني ومقاصده، أم أن للنص القرآني آليات مخصوصة تكشف عن بناءه المتماسك ووحدته الشاملة؟
- استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي في رصد مختلف الظواهر اللغوية في النص القرآني بمنهج علمي بمقاربتها وفق النظرية النصية وذلك بوصف هذه الظواهر وتحليلها، وتفسيرها، كما استعان بالبحث بالمنهج التاريخي في تتبع التطور الذي شهدته النظرية اللسانية النصية، وكذا البلاغة العربية والقرآنية
- أما هدفي من هذه الدراسة كما يظهر من عنوان الأطرحة أن يكون النص القرآني محلا للوصف والتحليل بتطبيق الآليات الإجرائية للسانيات النص، وذلك لإثبات تماسكه على كافة مستويات التحليل اللساني، ثم إبراز خصوصيات التعبير القرآني والتي تجعله يتفوق على جميع النصوص، فيظل نصا معجزا لا يشوبه الخلل أو النقص أو التقادم، من جهة أخرى يهدف البحث إلى إبراز العلاقة المتينة بين النص القرآني ومفاهيم النظرية البلاغية والأصولية.

ومن أجل استجلاء ومناقشة موضوع هذا البحث تم الاعتماد على مجموعة من المراجع المهمة، تنوعت بين البلاغة والتفسير وعلم النص، أهمها دلائل الإعجاز لـ(الجرجاني)، المعني في أبواب التوحيد والعدل لـ(القاضي عبد الجبار)، الكشف لـ(الزمخشري)، كتب الإعجاز لـ(الرماني والخطابي والباقلاني)، التحرير والتنوير لـ(مُحَمَّد الطاهر بن عاشور)، تناسق الدرر في تناسب السور لـ(جلال الدين السيوطي) مجموعة كتب سعيد

حسن بحيري مترجمة ومؤلفة في علم النص، لسانيات النص وتحليل الخطاب لـ(مُجَّد خطابي)، النص والخطاب والإجراء لـ(دي بوجراند) وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لـ(صباحي إبراهيم الفقي).

فيما يخص **الصعوبات** التي واجهها البحث ليست بالجديدة في هذا النوع من الدراسات، أخصها في:

- قلة المراجع العربية الشارحة للنظرية النصية بشكل مبسط، فأغلبها مترجمة إما عن الألمانية أو الإنجليزية.
- تعدد النماذج النصية ونظرتها المختلفة للتماسك النصي يجعل الباحثة في حيرة في اختيار النموذج الذي يسهل طريقة الوصف والتحليل لإثبات النصية والتماسك النصي على الخطاب القرآني.
- طبيعة النص القرآني موضوع الدراسة، فقد اتصف بالمعجز منذ أنزل، وهذا الوصف يستدعي أخذ كل الحيلة والحذر في التعامل معه بمنهج لساني غربي.

وقد انتظم هذا البحث على **خطة** تقوم على فصل تمهيدي وثلاثة فصول، ثم خاتمة تعبر عن أهم النتائج التي خلص إليها البحث، ومجموعة من التوصيات.

بدأ البحث بفصل تمهيدي تضمن مجموع المفاهيم الأساسية حول علم لغة النص، بدءاً بالارهاصات المساعدة على ظهوره سواء في اللسانيات البنيوية، أو لسانيات الجملة حتى أصبح علماً مستقلاً بمفاهيمه ومصطلحاته، وقد أخذ النص حصة الأسد من الحديث في هذا الفصل، فهو القضية التي حوّلت الاهتمام اللغوي للساني من نحو الجملة إلى بناء نموذج لساني نصي، والنص كمصطلح ومفهوم اقتصت به البلاغة العربية القديمة وكان علماء الأصول متميزون في تحليلهم للنص القرآني، أما النظرية اللسانية النصية فكان لها شأن آخر في تحليل النصوص، فقد ظهرت بنماذج متعددة في التحليل والتنظير انطلاقاً من منهج علمي، كنموذج تجزئة النص لـ(فانريش) ونحوية النص لـ(فاندايك) والتحليل التوليدي لـ(بتوفي) والتحليل الإجرائي لـ(دي بوجراند)، وقد انتقلت هذه المقاربة اللسانية بمبادئها ومفاهيمها وغاياتها، ووجد لها تأثير في الدراسات العربية للمحدثين أمثال سعيد بحيري، ومُجَّد خطابي، تمام حسان وغيرهم.

استعرض الفصل الأول جهود علماء العربية في مدارس القرآن الكريم والتأسيس لنظرية نصية، فقد حرصوا على قراءة النص القرآني واستنباطوا مظاهر الإعجاز البياني في نظمه، فكان لا بد من الوقوف عند مجموعة من المخططات الفكرية التي أسهمت في إنتاج مقولات تتعلق بالنظم القرآني من حيث براعة التأليف ووحدة البناء، وشدة التماسك بمختلف الأدوات اللغوية وغير اللغوية، وشمل الفصل أربعة مباحث تنوعت بين مناهج البحث في النص القرآني قبل ظهور نظرية النظم، والدراسات البلاغية التي أثرت في الفكر البلاغي لعبد القاهر الجرجاني، حيث ظهرت التشكلات الأولى لمسألة النظم، من خلال كتابات في الإعجاز القرآني

عند الرماني والخطابي وأبو بكر الباقلاني والقاضي عبد الجبار، ثم استقل المبحث الثالث بما أنجزه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وما تضمنته من مباحث بلاغية تثبت تماسك النصوص العربية كالفصل والوصل، والحذف، التقديم والتأخير، والتناسخ، ثم مكانة الإعجاز القرآني في كتابه دلائل الإعجاز، وختم الفصل بالتحليل البلاغي للنص القرآني عند الزمخشري في تفسيره الكشاف، فجاء عمله مكملًا لنظرية الجرجاني في النظم، وأثبت تماسك النص القرآني من خلال آليات مختلفة كالفصل والوصل، الالتفات، التكرار، الإحالة، الاعتراض، الاختصار، ترتيب الجمل، وتفسير النص.

خصص الفصل الثاني للحدوث على قضية التماسك والترابط النصي كما جاءت في علم لغة النص، في خمسة مباحث، إن المتفق عليه بين الباحثين أن النص بناء لغوي متماسك، غير أن منظور التماسك أمر نسبي، وهذا ما جعل الوصف والتحليل اللساني للنصوص يختلف ويولد اتجاهات لسانية متباعدة بين المدرسة الإنجليزية والألمانية والأمريكية، وقد استقلت كل مدرسة بمدونة من المفاهيم والمصطلحات حول النص وإثبات النصية بطرق مختلفة سواء بآليات وأدوات نحوية أو مفاهيم دلالية أو عناصر أخرى تداولية، فوجد هاليداي ورقية حسن من خلال تقديمهم وصفا لنصوص إنجليزية مختلفة في الطبيعة أن الأدوات النحوية التي يتربط بها النص هي الإحالة بنوعيتها النصية والمقامية، والحذف والاستبدال، والوصل وكذلك الاتساق المعجمي وأطلقا على التماسك النحوي مصطلح الاتساق، وكان كتابهم غنيًا بالمفاهيم كالنص والنصية والاتساق، كما أنهما لم يغفلا عن علاقة النص بسياق المقام، لكن بمساحة ضيقة، مما جعلهما محل نقد من طرف بعض الباحثين.

أما المدرسة الألمانية ويمثلها آلان تون فاندايك، فقد قدم هذا الأخير نموذجًا مهمًا في وصف النصوص وتفسيرها، حيث أدخل في نموده مكونات دلالية وتداولية ورياضية ومنطقية و وصف بحثه في الخطاب بالدلالي التداولي، ومن المفاهيم اللسانية التي استأثر بها فاندايك في صياغة نظريته، الأبنية الصغرى والبني الكبرى والأبنية العليا، فتعمل الروابط الدلالية بين الجمل على تشكل قضايا منطقية وعلاقات دلالية مختلفة كعلاقة التضمن وعلاقة الجزء والكل وعلاقة الملكية ويسهم ترتيب الأحداث في تشكل بني النص، كما تعمل القواعد الكبرى والمتمثلة في الحذف والاختيار والتعميم والتركيب على ربط الأبنية الصغرى بالأبنية الكبرى، إلى جانب ذلك اهتم بالعمليات المعرفية، والعلاقة بين إنتاج النصوص وفهمها.

يركز الأمريكي روبرت دي بوجراند على عناصر التواصل في وصفه للنصوص، فقد وصف نموده بالإجرائي، فهو يربط بين منتج النص، ومحتوى النص، وعالم النص لدى المتلقي، فيظهر تحليله على مستويات ثلاثة: النحو والدلالة والبراغماتية، اقترح دي بوجراند سبعة معايير لتحقيق النصية في الخطاب، بدءًا بالسلامة

اللغوية للنص فلا تخرج بنيته السطحية عن النظام النحوي، فكلما كانت البنية السطحية متسقة نحويًا ودلاليًا يتكوّن لدى المستقبلين توقعات اتجاه النص، ثم تأتي المعايير الخارجة عن النص، من خلال البحث في قصدية منتج الخطاب بالكشف عن غرضه وهدفه من إنتاج الخطاب، في مقابل قبول المتلقي له، فتظهر مختلف العمليات العقلية والمعرفية التي يقوم بها المتلقي لفهم الخطاب وتفسيره بما توقّر في الخطاب من علاقات تناصية، مع إدخال مجموع العناصر التي يتضمنها الموقف التواصلية من وقائع اجتماعية وتجربته السابقة، ودور المشاركين في الخطاب، فتظهر الكفاءة النصية والدرجة التي يجوزها الخطاب من الإعلامية.

ولقد كان للمحادثة نصيب في التحليل عند علماء النص، لكونها تمتاز بمجموعة من الخصائص تجعل تحليلها أكثر واقعية ومصداقية وعلمية، فهي تمتاز بكونها تحدث شفاهة، يتعدد فيها المشاركون، ويكون الكلام بينهم بالتناوب، فتظهر كفاءتهم العقلية والمعرفية من خلال مساهمتهم في الخطاب وفي أوقات مناسبة، إضافة إلى عوامل أخرى محافظة على استمرارية الخطاب.

كما تضمن الفصل مبحثًا حول التلقي العربي للنظرية اللسانية النصية، فقد دخلت النظرية إلى العالم العربي عن طريق الترجمة من لغات أهمها الألمانية والإنجليزية - خاصة كتابات سعيد بحيري في الترجمة عن اللغة الألمانية - وهذا ما خلق فوضى في المصطلح، لكنّه لم يحدث مشكلة في استقرار المفاهيم واستيعاب الباحثين العرب لمقولات النظرية، وظهر ذلك من خلال كتاباتهم في شرح النظرية وتطبيقها على النصوص العربية، وكان للنص أو الخطاب القرآني النصيب الأوفر من الكتابة والتحليل، وختم الفصل بعرض تطبيقي قدمه صبحي إبراهيم الفقي في تحليل لساني نصي على مجموعة من السور المكية من القرآن الكريم.

أما الفصل الأخير، فتضمن قراءات في خصوصيات التعبير القرآني، حيث افتتح الفصل ببيان معنى القراءة في المعجم اللغوي، ثم مفهومها الاصطلاحي عند عبد المالك مرتاض باعتبارها سلوك حضاري له صفة الإيجابية في نظرة المتلقي، ويميز بين القراءة الاستهلاكية والقراءة المنتجة، في حين ينظر إليها الحداثيون أمثال مُجد أركون نظرة مختلفة، فيجعلون كل النصوص في مرتبة واحدة من دون أي تحفظ مع النصوص المقدسة خاصة القرآن الكريم، ومن الآليات التي يستخدمونها في القراءة التفكيك والحفر الأركيولوجي والزحزحة، أما القراءة في منظور علماء النص تسعى إلى تحليل النصوص بمنهج لساني حديث يبحث في تماسك النصوص في النحو والدلالة والتداول من خلال النظر إلى عناصر التواصل.

ومن النصوص القرآنية التي اختيرت في هذا الفصل التطبيقي لتكون محل مقارنة لسانية نصية، سورة الرعد، سورة الماعون، وآيات متفرقات من القرآن الكريم، حيث ورد كل نص حاملا ومعبرا عن خاصية من خصوصيات التعبير القرآني على النحو التالي:

استخدم البحث نموذج هاليداي في إثبات ظاهرة الاتساق النصي في سورة الرعد، وذلك من خلال الكشف عن الآليات النحوية المختلفة التي ظهرت في السورة بدءا بعنصر الإحالة بنوعيتها النصية والمقامية ثم الوصل بأنواعه السببي والعكسي والزمني، إذ تربط أدوات الوصل بين الآيات من مسافات قريبة أو بعيدة، ثم الحذف وكان قليلا مقارنة مع الآليات السابقة، بعد ذلك شمل البحث في الآليات المعجمية، فوجد أن للتكرار والتضام دور كبير في عملية الاتساق بين الألفاظ والجمل والآيات، فاجتماع الأدوات النحوية والمعجمية وتظاferها عمل على اتساق السورة وتربطها في النحو والمعجم والدلالة.

من خصوصيات التعبير القرآني استخدامه للنظام الفواصل القرآنية وتنوعها بين الطويلة والقصيرة، لذا كانت آية التداين 282 من سورة البقرة حاملة لمجموعة من الفواصل الطويلة فقد تم شرحها واستخراج ما تضمنته من معنى في الدلالة وجمالية في التعبير والإيقاع، ليثبت الحق تعالى أن القرآن الكريم ليس شبيها بالشعر في القوافي ولا بسجع الكهان، فهو نظام لغوي متميز.

أما سورة الماعون فكانت نموذجا للسور القصار، وفي تحليلها ظهر أنها لا تختلف عن غيرها من السور في تماسكها وتربطها النحوي و الدلالي، كما أن آياتها اختتمت بفاصلة قصيرة تتضمن مكونا لغويا إيقاعيا هو (النون)، والرقم التسلسلي للآية لا يكون دائما علامة على نهاية دلالتها ومعناها، وإنما يكون للوقف دور مهم في ثبات الدلالة باعتباره آلية تسهم في تماسك السورة، وهذه خاصية أخرى في التعبير القرآني.

انتشرت ظاهرة العدول أو الالتفات في القرآن الكريم بصورة لافتة للنظر، وقد شمل هذا العدول انتقالا في اللغة سواء بين الضمائر وعلى اختلاف أنواعها، أو انتقالا بين المفرد والمثنى والجمع، أو دورانا بين الأزمنة فتغير الأحداث والوقائع والحوارات بين الماضي والحاضر والمستقبل، وكل ذلك لمقصد أرادته الشارع هو الحق سبحانه وتعالى.

كما سجل التصوير الفني في القرآن الكريم حضورا مكثفا وبطريقة أظهر فيها سيد قطب إبداعا في قراءة المجاز على طريقته بعيدا عن الاستعارة والكناية والتشبيه، حيث وجد أن التصوير الفني في الأسلوب القرآني سر من أسراره المعجزة، ويكون إما بالتعبير عن معاني ذهنية، أو إظهار لحالات نفسية، أو تصوير

مشهد قصصي أو يصوّر مشهداً غيبياً حول أهوال القيامة، فيقع على عاتق المتلقي أعمال قدراته العقلية ونظرته التأملية من أجل الكشف عن معاني باطنية.

ومن أكثر الظواهر اللغوية التي تسهم بشكل كبير في تماسك النص القرآني على المستوى الدلالي علاقة الإجمال والتفصيل، فما أجمل في موضع من القرآن فقد فصّل في مواضع أخرى منه، حتى اعتبر علماء القرآن أن ما ذكر بعد فاتحة الكتاب مفصّل لما ورد فيها، فكان بذلك القرآن الكريم كالكلمة الواحدة من شدة الترابط والتماسك.

كشف فاضل السامرائي عن ظاهرة لغوية استخدمها القرآن الكريم بصورة خاصة فطرح مقولة التشابه والاختلاف بين نصوص قرآنية متشابهة تقع في سور مختلفة، لكن التشابه ليس كلياً وإنما يوجد بعض الاختلافات النحوية البسيطة في التركيب نتج عنه تمايز في المعاني، فتظهر خصوصية النظم القرآني، وبيانه الإعجازي انطلاقاً من حرف أو كلمة أو آية، وقد تتبعنا هذه الخاصية في قصة شعيب عليه السلام لكونها وردت في العديد من السور، وكانت آخر خاصية كشف عنها البحث ظاهرة النسخ والمنسوخ في النص القرآني والتي من خلالها يظهر إنسجام النص وابتعاده عن كل تناقض على مستوى المضامين.

وختم البحث بمجموعة من النتائج تلخص أهم المفاهيم النصية المتفق عليها بين الباحثين المنظرين للنظرية النصية و تطبيقاتها العملية على النص القرآني، مع العلم أن النص القرآني كان محل قراءة مزدوجة بالقوة، فقد اشترك منهج الأصوليين بآلياته التي تلازم النص القرآني ولا تفارقه مع آليات اللسانيات النصية، ويظل الإعجاز البياني مستمرا في الزمان والمكان، وما ذكر من خصوصيات ما هو إلا غيض من فيض.



# فصل تمهيدى

## مفاهيم أساسية حول علم لغة النص

- 1- نحو النص (النشأة و التطور)
- 2- علم لغة النص (المفهوم و المصطلح)
- 3- مفهوم النص
- 4- جدلية النص و الخطاب
- 5- نماذج الوصف و التحليل في لسانيات النص

لقد انصرف البحث الألسني إلى دراسة الكلام بعدما ثبت أنه لا جدوى من الاستمرار على نهج اللسانيات البنيوية في دراسة اللغة خاصة بعد المقال الذي نشره هاريس\* عام 1952 بعنوان " تحليل الخطاب " يقول فيه : " ... اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك، بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة، بدءا من المونولوج، وانتهاءا بمناظرة جماعية مطولة"<sup>1</sup>، فرغم أنّ محاولته لاقت نقدا سلبيا من طرف العديد من الباحثين كونها لم تخرج عن المنهج البنيوي في التحليل بما استخدمه من إجراءات وآليات شكلية كان قد طبّقها على الجملة وهي التقطيع و التصنيف والتوزيع والتحويل، إلا أن جِلّ الباحثين في علم لغة النص يقرّون فضله في لفت الأنظار إلى قضية التحليل اللغوي الذي كان منحصرًا في الكلمة أو الجملة إلى ضرورة القيام به على مقاطع لغوية تتجاوز الجملة ويقصد بها النصوص بمختلف أحجامها وأشكالها، وهذه القفزة النوعية في اتخاذ النصوص واعتبارها أصغر وحدة لغوية في التحليل اللساني لاقت إقبالا كبيرا من الباحثين لأنّ الإنسان لا ينطق جملا منعزلة وإنما مجموعة من الجمل المتسلسلة والمعبرة عن فكرة واحدة.

كان النص محل اشتغال العلماء قبل ظهور اللسانيات بزمن ليس بقريب، فقد اشتهر اليونان بكتاباتهم حول الأسلوب وبلاغته والكلام وفصاحته، فدرسوا النصوص شعرا ونثرا، وقد ترجمت كتاباتهم إلى لغات كثيرة منها العربية، ولا زالت مصدرا يعتمد عليه في التحليل النقدي واللغوي، كما اشتهر التحليل النصي في مجال النقد الأدبي، إذ تملك المدرسة الشكلانية الروسية إرثا مكتيبيا في الدراسات النقدية النصية، فقد تميزت هذه المدرسة بمنهجها الشكلي في تحليل النصوص، ومن بين الأفكار التي مهّدت لظهور نحو النص، التلفظ عند بنفنيست، والدلالة التوليدية المنبثقة عن المدرسة التحويلية التوليدية، ليصبح نحو النص علما لسانيا مستقلا بذاته عن فروع علم اللغة الأخرى.

**المبحث الأول : نحو النص النشأة و التطور :**

**الدراسات النصية في النقد الأدبي :**

كان النص الأدبي محل اهتمام متميز في مجال النقد الأدبي، فلقد نظر الشكلانيون الروس<sup>2</sup> للنصوص في مختلف الأجناس الأدبية نظرة مغايرة، معتمدين على المنهج البنيوي الذي أسسه دوسوسير، أي دراسة النص الأدبي في ذاته ولذاته، مخلفين وراءهم نهج الدراسات التاريخية والمقارنة ذات السياق الاجتماعي

<sup>1</sup> فولفجانج هاينه من و دبتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، (دط)، 1999، ص 21.  
\* هاريس زيلخ (Harris Zellig) لساني أمريكي من أصل روسي، تحصل على الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا عن بحث نحوي حول اللغة الفيتيقية إليه ينسب مفهوم التحويل في التبار التوزيحي الذي أرسى دعائمه بلومفيد، من مؤلفاته: مناهج اللسانيات البنيوية، تحليل الخطاب، الهياكل الرياضية في اللغة  
<sup>2</sup> مجموعة من النقاد وهم : إيخنباوم، بومورسكا، شلوفسكي، تنيانوف، رومان جاكوبسون، يوري لوتمان، ميخائيل باختين، فلاديمير بروب...

والتاريخي والنفسي، ويذكر صلاح فضل أنهم "حاولوا جميعا التجديد العنيف في مناهج البحث، وأساليبه، واهتماماته، وطرح مخلفات الماضي وراءهم، وإقامة نظرياتهم الجمالية على أساس كفاية الأثر الفني في حد ذاته، وقابليته لأن يشرح نفسه، والبحث عن لغة جديدة للفن<sup>1</sup>، فلقد خلصوا في تحليلهم لمختلف الأعمال الأدبية أنها تتمتع بخصائص نوعية تميز علم الأدب عن علوم أخرى قريبة منه، مثل علم الأسلوب، لهذا يرى رومان جاكوبسون أن "موضوع العلم الأدبي ليس الأدب، بل الأدبية literariness، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا"<sup>2</sup> هذا القول يعبر عن مجموعة من المبادئ التي أسست لطريقة المدرسة الشكلانية في تحليل النصوص، وهي:

1- التركيز على الخصائص الجوهرية لكل جنس أدبي، فلقد اهتم رومان جاكوبسون بقضايا الشعرية، ودرس فلاديمير بروب الحكايات الروسية العجيبة، ووضع لها مجموعة من القواعد العامة تتعلق بالوظائف، والأدوار، وكان لـ "مخائيل باختين" نظرة حول جمالية الرواية وأسلوبها، وغيرهم كثير مما تعرضوا لمختلف الأجناس الأدبية ووضعوا لكل جنس أدبي ضوابط شكلية تحكمه.

2- استبعد المذهب الشكلي في تحليل النصوص كل مؤثر خارجي مهما كان نوعه، خاصة التاريخي والنفسي، والشخصي للمؤلف، والاجتماعي، مع العلم أن هذا المبدأ انعكس سلبا على استمرارية المدرسة الشكلانية.

3- التركيز على الشكل من أجل فهم المعنى، وطريقتهم في التحليل تقوم على المنهج البنيوي، فقد ذكر رولان بارت "أن العملية البنائية (المنهج البنيوي) حل الشيء لاكتشاف أجزائه، والوصول من خلال تحديد الفروق القائمة بينها إلى معناها، ثم ترتيبه مرة أخرى حفاظا على خصائصه التي توضح لنا أن أي تعديل في الجزء يؤدي إلى تعديل الكل"<sup>3</sup> فعملهم في تحليل النصوص يقوم على الدراسة العلمية انطلاقا من الملاحظة المتمعنة لتموقع العناصر اللغوية نتيجة عامل المجاورة لما قبلها أو ما بعدها، لتؤدي في وضعية تلاحمها معنى معيناً، فالنص بالنسبة لهم بنية مكثفة بذاتها ومكتملة في دلالتها، ومن أهم مؤلفات<sup>4</sup> الشكلانيين الروس: كيف صيغ معطف غوغول؟ (لـ بوريس إيجانباوم)، شعرية دويستفسكي، الماركسية والفلسفة (لـ ميخائيل باختين)، الشعر ذاته (لـ يوري تينيانوف)، الحكايات الروسية العجيبة (لـ فلاديمير بروب)، سيمياء الكون، بنية النص الفني (لـ يوري لوتمان)، نظرية النثر (لـ شلوفسكي)... ورغم الانجازات التي حققها الشكلانيون في تحليلهم للأعمال الأدبية الكثيرة والمتنوعة، إلا أنهم حكموا على نظريتهم بالإعدام، لعدة أسباب منها:

<sup>1</sup> صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد المعاصر، دار الشروق، ط1، 1998، ص36

<sup>2</sup> مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان طاز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص215

<sup>3</sup> صلاح فضل، المرجع السابق، ص36.

<sup>4</sup> جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن، شبكة الألوكة الأونترنت، ص4

- أقرّ أحد زعماء المدرسة وهو إينباوم بالقول أنّ: "الإغراق في الشكلية، وتحويل الدراسات إلى مفاهيم وخطاطات شكلية مبالغ فيها، والغموض، وتجاهل ماهو خارجي ومرجعي وجمالي عام، ثم تمهيش المضامين والأبعاد السوسولوجيا والنفسية و الثورية في الأدب"<sup>1</sup> ونفس السبب جعل رومان جاكبسون يخرج من حلقة موسكو.
- إن النصوص ليست كلها أدبية، هذا ما أقرته جوليا كرسنيفا حول أنماط النصوص، فمقولة موت المؤلف التي ناد بها الشكلانيون لا يمكن العمل بها عند تحليل النصوص القانونية والمقدسة، لكون هذا النوع من النصوص يركز على قصدية المشرع و تعتبره من الأولويات في عملية التحليل.

### اللسانيات البنيوية (الوصفية):

إنّ الكثير من مؤسسي المدرسة الشكلانية توجهوا لسانيا مثل رومان جاكبسون، رولان بارت ومخائيل باختين الذي رأى أن البحث اللساني لا يفترض به أن يقف عند الجملة في الوصف والتحليل الصرف كما جاء عند تشومسكي و من قبله، لأن النصوص بمختلف أنواعها أدبية كانت أو غير أدبية تحمل الكثير من الخصائص إن على مستوى المبنى أو الشكل، وإن على مستوى المضمون أيضا، وهذا ما نلمسه في قوله: "إن الدراسات اللسانية لم تكشف عن خفايا الأشكال اللغوية الكبرى كالكلام المطول في الحياة اليومية والحوارات والخطابات والمؤلفات والروايات... ومثل هذه الأشكال اللغوية يجب أن تدرس هي أيضا دراسة لغوية باعتبارها جانبا من جوانب الظواهر اللغوية... فتركيبية الأشكال اللغوية الكبرى... لا تزال مجهولة تنتظر من يكشف عنها، والدراسات اللسانية إلى اليوم لم تتجاوز حدود الجملة المركبة باعتبارها أكبر الظواهر اللغوية التي تم تناولها تناولا علميا، وقد يذهب بعضهم إلى أن كلام اللغوي الصّرف يقف عند هذا الحد لا يتجاوزه... ومع ذلك فإنّه بإمكاننا أن نواصل التحليل اللغوي الصّرف، وذلك مهما كانت الصعوبات، ومهما كان النزوع إلى اعتماد مفاهيم غير لغوية قويا ومغريا"<sup>2</sup> وتحليل النصوص يتطلب تدخل عوامل غير لغوية أي خارج اللغة تسهم في التفسير الظواهر اللغوية.

هناك من الباحثين من يرى أن تطور الدراسات النصية كانت على يد ثلاثة لسانيين وهم<sup>3</sup>:

- فردينان دو سوسير من خلال نظرية الدليل *signe*، رغم أن كتابه دروس في اللسانيات العامة لا يأتي على ذكر النص، لكنه وضع أسس السيميولوجيا.

<sup>1</sup> جميل حمداوي، المرجع نفسه، ص23

<sup>2</sup> محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص- المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001، ط1-ج1، ص75.

<sup>3</sup> مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص210

- رومان جاكسون، قام بدراسات حول وظائف اللغة، وفتح باب البحث في الشعرية، وفي الاستقلالية النسبية للظاهرة الأدبية.

- ونفذ إميل بنفنيست إلى مسألة التخاطب، ومسألة الأنواع الأدبية التي تتحدد بعلاقتها بالخطاب، وباختصار مهد في آن واحد للشعرية المقارنة، و براغماتية القراءة.

المقال الذي نشره هاريس زليخ سنة 1952 بعنوان "تحليل الخطاب": لقد حلل هاريس الخطاب معتمدا المنهج التوزيعي الذي يقوم على دراسة الوحدات اللغوية على أساس المجاورة والاستبدال والتوزيع، فوسّع مجال التحليل حيث انطلق من مدونة نصية مغلقة، وأخضعها للتحليل الصوتي والفونولوجي والصوفي والتركيبى، ودرس علاقات المجاورة بين أجزاء المدونة الخطابية، واستخرج أقسام التكافؤ، يرى مُجد الشاوش أن طريقة هاريس في التحليل "أقامت أقسام تجمع بين وحدة الانتماء المقولي التركيبى، والاتفاق في الإحالة المرجع، وهذه الظاهرة معتبرة في تحقيق الترابط بين مكوناتها"<sup>1</sup> واستنتج هاريس أن الترابط بين أجزاء الخطاب مسألة مقصودة وليست اعتباطية، وهذا أشبه بقيود التوارد الموجودة على مستوى الجملة، لكن تظل النظرة الاجتزائية للخطاب عائقا في تفسير العديد من الظواهر اللغوية للخطاب.

### لسانيات الجملة:

لقد كانت لسانيات الجملة ثورة أحدثها نعوم تشومسكي في الفكر اللساني، حيث نظر إلى اللغة نظرة مخالفة عمّا كان سائدا، حينما ربطها بالعقل، فركّز على كفاءة المتكلم المستمع المثالي لدراسة اللغة مستبعدا أداءه وإنجازها الفعلي للكلام، كانت الجملة هي البنية التي شملها الوصف و التفسير اللغويين عبر كل المراحل التي مرت بها النظرية على مستويات التحليل الصوتية و الصرفية و التركيبية، إضافة إلى التمثيل الدلالي الذي اعتمده أصحاب الدلالة التوليدية في آخر أيام النظرية، وبعد أن أفل نجمها ظهرت لسانيات من نوع آخر تتخذ من النص بنية للوصف والتحليل والإجراء يطلق عليها نحو النص، لكن المؤسسين لهذا المنهج الجديد أمثال فان دايك، بتوفي، وفانريش وغيرهم فقد اعتمدوا في صناعة نماذجهم النصية على المبادئ والقواعد التي طبقت في نحو الجملة في مجال التركيب والدلالة.

وذكرت الكثير من المراجع أن بعض الدراسات<sup>2</sup> تعتبر إرهابات في مجال البحث اللساني النصي، الأول سنة 1887 للباحث H. WEILL، حيث ربط تتابع اللفظ بتتابع المعنى وهذا يدخل في باب

<sup>1</sup> محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب عن النظرية النحوية العربية-تأسيس نحو النص، ص40  
<sup>2</sup> محمد الشاوش، المرجع السابق، ص76

الاتساق والانسجام، أما الدراسة الثانية، فهي للباحثة الأمريكية I.Nye سنة 1912 فقد عاجلت ظاهرة النقضان، وعدم الاكتمال، وظاهرة التكرار.

المبحث الثاني : علم لغة النص ( المفهوم والمصطلح )

-إشكالية المصطلح:

لا يستطيع المتلقي فهم العلوم وتحليلها وتفسيرها ومعرفتها إلا من خلال مصطلحاتها مثلما يقول عبد السلام المسدي: "مفاتيح العلوم مصطلحاتها" فلقد ظهر هذا العلم الذي يدرس الأبنية النصية في اللغة العربية بتسميات كثيرة مختلفة، فأطلق عليه (نحو النص، علم اللغة النصي، نظرية النص، علم النص، علم لغة النص، أجرومية النص، لسانيات النص، لغويات النص، التداوليات النصية، لسانيات الخطاب، تحليل الخطاب...) وكل هذه المصطلحات<sup>1</sup> ليست أصلية وإنما مترجمة، إما عن اللغة الفرنسية للمصطلح (linguistique de texte) أو (grammaire de texte) وإما عن اللغة الإنجليزية للمصطلح (text linguistics) أو (text grammar) أو (discours Analyse)، وهذه الترجمات طرحت إشكالا في تعدد المصطلح لمفهوم واحد.

-المفهوم (définition):

لقد كثرت المفاهيم بشأن علم لغة النص سواء في المعاجم اللغوية أو الكتابات التأليفية للباحثين فنجد أن:

- معجم ريشاردز (J.RICHARDS) يرى أن: " علم النص في المعجم اللساني هو أحد فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النصوص المنطوقة و المكتوبة، وتوضح هذه الدراسة طريقة تنظيم أجزاء النص و ترابطها لتصبح كلاما مفيدا"<sup>2</sup>
- وتعرفه موسوعة دافيد كرسنال (David.crystal): " الدراسة اللغوية لبنية النص."<sup>3</sup>
- وجاء عند نيلس ( Nils ) أنه: "دراسة الأدوات اللغوية للتماسك الشكلي والدلالي للنص، بالإضافة إلى أهمية السياق، ودور الكفاءة المعرفية للمتلقي في ممارسته لتحليل النص"<sup>4</sup>

واتفقت الأبحاث اللغوية التي تدخل ضمن هذا الفرع اللغوي الجديد أن النص هو الوحدة اللغوية الكبرى محل الوصف والتحليل، فنظروا إليه بطرق مختلفة بسبب كثرة المشكلات والتساؤلات فتعددت

\*وجد هذا التضارب و التعدد في ترجمة هذا المصطلح في كتب العرب المحدثين بسبب اقتحام هذا العلم مجالات لسانية أخرى مثل التداوليات و نظرية التلقي و تحليل الخطاب، النقد الأدبي و انعكس هذا الأمر على إشكالية النص و الخطاب باعتبارهما موضوع دراسة لكل من لسانيات النص و لسانيات الخطاب<sup>1</sup>

<sup>2</sup> Jack richards.john plat and Heidiwipere : longmon dictionary of applied linguistics,longmon, london 1987,P292.

<sup>3</sup> David crystal : the combridge emcyclopedia of language combridge university press.compridagr ,new-york ,1987P116

<sup>4</sup> Nils Erik Enkvist : text linguistics for the applier an orientation 1987 ,P 25-26

الإجراءات والأدوات اللغوية وغير اللغوية والتحليلات للخروج في الأخير باتجاهات كثيرة تنظر إلى النص من زوايا مختلفة لا تخرج عن إطار النحو و الدلالة والتواصل والتداول.

### -وظيفة علم لغة النص:

إن التداخل المعرفي لعلم لغة النص مع حقول معرفية كثيرة كعلم الاتصال وعلم النفس المعرفي وعلم الاجتماع وعلوم النقد والأدب وعلم الأنثروبولوجيا جعل الكثير من النقاد والباحثين يرون فيه علما شاملا، وهذا أمر استبعده بعضهم عندما أقروه علما مستقلا بذاته له وظيفة ومهام محددة لا تخرج عن دراسة النصوص من حيث هي بنية تخضع لكافة مستويات التحليل اللساني دون أن ينفي تدخل العوامل الاجتماعية والنفسية والاتصالية وغيرها في تفسير النصوص وفهمها، ويصل الباحثان فولفجانج هاينه من وديتر فيهيجر إلى النتيجة الآتية: " لا يمكن أن يفهم علم اللغة النصي على أنه علم شامل ولا على أنه أيضا علم النص بمفهوم فانديك van dijk بل يجب على علم اللغة النصي أن يبقى بحثه محصورا في أبنية النصوص وصياغتها، مع الإحاطة بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة."<sup>1</sup>

أما البحث في أبنية النصوص وصياغتها يكون بأمرين<sup>2</sup>:

### 1-الوصف النصي (T.DESCRPTION). 2-التحليل النصي (T.ANALYSE)

أما الوصف النصي يكون عن طريق الملاحظة الواعية الاستكشافية للنص محل الدراسة اللسانية باكتشاف جنسه شعرا كان أم نثرا، مثل الرواية والمسرحية والقصة والمقال والقصيدة والخطاب بأنواعه المختلفة، واكتشاف أجزائه ومكوناته من جمل وفقرات وفصول وأبواب واكتشاف نمطه من حوار و وصف وتفسير وحجاج واكتشاف موضوعه.

وأما التحليل النصي فهي البحث في الترابط الرصفي والدلالي للبنية النصية، ويكون بتفسير تتابع الجمل والفقرات وحتى الفصول من خلال مجموعة الروابط النحوية المختلفة التي تعبر عن الإحالات والإضمار والوصل والفصل والتكرار وغيرها والتي تحقق اتساق النص، ثم البحث في العلاقات المعنوية و وظيفة السياق في بيان أبعاد النص لفهمه وتفسيره ومدى انسجامه، ليصل المحلل في آخر المطاف إلى دلالة النص أي البنية الكبرى الشاملة للنص، ويقع الوصف والتحليل على عاتق المتلقي(القارئ/المستمع) لفهم النص وتفسيره وتأويله، ويرى سعيد بحيري أنّ " مهمة علم لغة النص تعدّت إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في

<sup>1</sup> فولفجانج هاينه من وديتر فيهيجر، المرجع السابق، ص 11

<sup>2</sup> صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ط2000، ص55

المتلقي وأنواع المتلقين وصور التلقي وانفتاح النص وتعدد قراءاته<sup>1</sup> فالتطور الذي حققه علم لغة النص من خلال البحوث النظرية، والدراسات التطبيقية جعله يتجاوز عتبه القانونية والمتمثلة في دراسة الأبنية النصية نحو ودلالة وتداولها إلى البحث في عناصر الاتصال اللغوي، والتي تختلف من المونولوج إلى الحوار إلى المحادثة وغيرها من أشكال التفاعل، ثم التركيز على عنصر المتلقي الذي تناط إليه مهمة فعل القراءة، والفهم والإدراك والتأويل، فيشكّل مع المتكلم والنص أطراف التواصل، وكلما كان موقفه من النص إيجابيا دلّ ذلك على نجاح التواصل، بذلك يتداخل علم لغة النص مع نظريات أخرى مثل المقاربة التواصلية والتداوليات ونظرية التلقي والنقد الأدبي.

### - خصائص علم لغة النص:

- علم النص علم بين معرفي، فالعناية بالنصوص تحليلا وتفسيرا وتأويلا ليس أمرا جديدا مرتبطا بعلم لغة النص، وإنما يعود لدراسات وعلوم قديمة مثل البلاغة الكلاسيكية وفن الخطابة والأدب والنقد الأدبي والفيلولوجيا علم النفس وعلم الاجتماع واللاهوت وغيرها، وكذلك بالدراسات اللغوية المقارنة، وحينما تغيّر منهج البحث اللغوي ظهر إلى الوجود علم لغة النص، علم مستقل من حيث مقولاته التأسيسية، والمفاهيم والإجراءات وآليات التحليل، يدرس النصوص وصفا وتفسيرا وتحليلا بطريقة مختلفة عما كان معمولا به في السابق، وفي هذا الشأن يقول صلاح فضل: "فإحلال مصطلح علم النص محل البلاغة أو وضعه بجوارها بعد تحديدها على الأقل، مؤشر ضروري للتحويل في التاريخ العلمي وانعطاف نحو أفق منهجي مخالف للمسار القديم، مما تفرضه نظريات العلم ونماذجه، وتدعو إليه بقوة حركة الإبداع في النصوص المنتمية للأجناس المختلفة والفكر الذي يدور حولها ويتمثل كيفية إنتاجها."<sup>2</sup>
- أن النصّ هو الوحدة اللغوية الكبرى في الوصف والتحليل اللغويين، بعدما ثبت أن الاتصال اللغوي بين مجموعة بشرية لا يتم إلا بالنصوص دون النظر إلى حجمها.
- أنه علم انحرف عن القواعد المعيارية بامتلاكه الآليات والإجراءات اللازمة لتحليل النص في مستوياته الثلاثة: التركيبي والدلالي والتداولي، كما أنه يهتم بدراسة أطراف التواصل منتجا ونصا ومتلقيا.

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، بيروت، ط1، 1997، ص162

<sup>2</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة كتب ثقافية شهرية، عالم المعرفة - الكويت، أغسطس، 1992، ص234.



## المبحث الثالث: مفهوم النص

يعد النصّ مستوى جديد في الدراسة اللسانية الحديثة، وقبل ذلك أشار باختين إلى أنه "حيث لا لا يوجد نص فليس ثمة موضوع للبحث والتفكير، فالنص عنده سواء أكان مكتوباً أم شفها يعتبر مادة أولية تقوم بتحليلها الألسنية والفلسفة والنقد الأدبي وغير ذلك من العلوم المجاورة.<sup>1</sup> فهو لا يعترف بشيء أقل من النص فيستبعد المنهج البنيوي الذي يدرس العلامة اللسانية، ونحو الجملة الذي يجعل الجملة محل للدراسة والتحليل، والنص قد يكون مكتوباً برموز خطية حدّه يتجاوز الجملة وقد يكون شفها مثل المحادثات اليومية أو المنولوج، والنص يبقى نصاً في جميع المجالات العلمية ولكن تختلف طريقة تحليله من علم لآخر.

فما هي دلالة النص في المعاجم اللغوية، ثم دلالاته الاصطلاحية؟

## 1- الدلالة اللغوية للنص:

جاء في الكثير من المؤلفات والمعاجم الأجنبية أن النص والمعبر عنه بكلمة **text(e)** سواء باللغة الانجليزية أو الفرنسية ترجع إلى الأصل اللاتيني (**textus**) والتي تعني "النسيج"، أو الضفيرة من الشعر. فيذهب رولان بارت إلى أن كلمة **texte** (نص) تعني النسيج، بينما اعتبر هذا النسيج دائماً وإلى الآن على أنه نتاج وستار جاهز يكمن خلفه المعنى (الحقيقة)، ويحتفي بهذا القدر أو ذاك، فإننا نشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى إنّ النص يصنع ذاته، ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم تنفك الذات وسط هذا النسيج ضائعة فيه<sup>2</sup> فالنسيج لا يكون إلا عندما تتلاحم وتتربط الخيوط على محوري التركيب والاستبدال بطريقة منظمة ومتسلسلة كما تفعل العنكبوت في صنع بيتها، إذ يظهر بصورة متماسكة تنمي عن براعة فائقة في النسيج، وخاصة الترابط اتخذ منها علماء النص مؤشر على التمييز بين النص واللانص.

أما في المعاجم العربية القديمة، فقد أورد معجم القاموس المحيط لـ (الفيروز آبادي) معاني الفعل نصص على النحو التالي: "نَصَّ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ: رَفَعَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَنْصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الرَّهْرِيِّ، أَي: أَرْفَعَ لَهُ وَأَسْنَدَ، وَهُوَ مَجَازٌ، وَأَصْلُ النَّصِّ: رَفَعُكَ الشَّيْءَ. وَنَصَّ نَاقَتَهُ: اسْتَخْرَجَ أَقْصَى مَا عِنْدَهَا مِنَ السَّيْرِ، وَنَصَّ الشَّيْءَ: حَرَّكَهُ، وَمِنْهُ: فُلَانٌ يَنْصُ أَنْفَهُ عَضْبًا، وَهُوَ نَصَّصُ الْأَنْفِ، وَنَصَّ الْمَتَاعَ: جَعَلَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَنَصَّ فُلَانًا: اسْتَقْصَى مَسْأَلَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ، وَنَصَّ الْعَرُوسَ: أَفْعَدَهَا عَلَى الْمِنْصَةِ، وَهِيَ مَا تُرْفَعُ عَلَيْهِ، فَانْتَصَّتْ، وَنَصَّ الشَّيْءَ أَظْهَرَهُ، وَنَصَّ الشَّوَاءَ يَنْصُ نَصِيصًا: صَوَّتَ عَلَى النَّارِ، وَنَصَّتِ الْقِدْرُ: غَلَّتْ، وَالْمَنْصَةُ بِالْفَتْحِ: الْحَجَلَةُ مِنْ نَصِّ الْمَتَاعِ، وَالنَّصُّ: الْإِسْنَادُ إِلَى الرَّئِيسِ الْأَكْبَرِ،

<sup>1</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص 233

<sup>2</sup> رولان بارت، لذة النص، ترجمة: فؤاد صفا و الحسين سبحان، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 63

والتَّوْقِيفُ وَالتَّعْيِينُ عَلَى شَيْءٍ مَا وَسَّيَّرَ نَصًّا وَ نَصِيصًا: جَدُّ رَفِيعٍ. وَإِذَا بَلَغَ التَّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ أَوْ الْحَقَائِقِ، فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى) أَي بَلَغَ الْعَايَةَ الَّتِي عَقَلْنَ فِيهَا، أَوْ قَدَرْنَ عَلَى الْحِقَاقِ، وَالْحِصَامِ، أَوْ حُقُوقَ فِيهِنَّ، فَقَالَ كُلُّ مَنْ الْأَوْلِيَاءِ: أَنَا أَحَقُّ، أَوْ اسْتِعَارَةٌ مِنْ حِقَاقِ الْإِبِلِ، أَي: انْتَهَى صِعْرُهُنَّ وَ نَصِيصُ الْقَوْمِ: عَدَدُهُمْ وَ النَّصَّةُ: الْعُصْفُورَةُ، وَبِالضَّمِّ: الْحُضَلَةُ مِنَ الشَّعْرِ، أَوْ الشَّعْرُ الَّذِي يَقَعُ عَلَى وَجْهِهَا مِنْ مُقَدَّمِ رَأْسِهَا، وَحِيَّةٌ نَصْنَاصٌ: كَثِيرَةُ الْحَرَكَةِ. وَنَصَّصَ غَرِيمَهُ وَنَاصَّهُ: اسْتَفْصَى عَلَيْهِ، وَنَاقَشَهُ، وَانْتَصَّ: انْتَبَضَّ، وَانْتَصَبَ وَارْتَفَعَ. وَصَنَّصَهُ: حَرَكَهُ، وَقَلَّلَهُ. وَنَصَّ الْبَعِيرُ: أَنْبَتَ رُكْبَتَيْهِ فِي الْأَرْضِ وَتَحَرَّكَ لِلنُّهُوضِ<sup>1</sup>.

ومن هنا، يدل النص على معان كثيرة ومختلفة منها:

- الظهور والرفع والارتفاع، والانتصاب.

- التحريك وضم العناصر إلى بعضها البعض لتصبح شيئاً واحداً.

- بلوغ الأمر وإدراكه فهو والغاية والمنتهى والاستقصاء في الشيء.

انطلاقاً من الدلالة اللغوية المتعددة للنص في المعاجم العربية حاول صبحي ابراهيم الفقي أن يجعل لهذه الدلالات نصيب في الاستعمالات الاصطلاحية للنص، فيقول: "إننا لا نريد أن نحمل النص أشياء لا ينطق بها ولكننا نلاحظ أن الرفع والإظهار يعينان أن المتحدث أو الكاتب لا بد له من رفعه وإظهاره لنصه، كي يدركه المتلقي (المستمع - القارئ)، كذلك ضم الشيء، نلاحظ أن النص في كثير من تعريفاته هو ضم الجملة إلى الجملة بالعديد من الروابط، وكون النص أقصى الشيء ومنتهاه هو تمثيل أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها إذ نعد النص ممثلاً للمستوى السادس من مستويات علم اللغة المتعارف عليها"<sup>2</sup>.

أما عبد المالك مرتاض فيرى أن المفهوم اللغوي للنص الأدبي لم يعد يقتصر على الرفع والإظهار كما جاء في المعاجم العربية القديمة ويشير إلى ما أورده المعجم الوسيط بقوله "هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"<sup>3</sup> فحتى الدلالة اللغوية المعجمية أصبح تساير الاستعمال المعاصر.

2- الدلالة الاصطلاحية للنص: نَمِيزُ هُنَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ اتِّجَاهَاتٍ:

✓ عند علماء الأصول:

لا يخرج مصطلح النص عند هؤلاء عن القرآن الكريم، يقول نصر حامد أبو زيد: "إن البحث عن مفهوم النص ليس في حقيقته إلا بحثاً عن ماهية القرآن وطبيعته بوصفه نصاً لغوياً"<sup>4</sup>، وقد ذكر علماء

<sup>1</sup> مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م، مادة (ن.ص.ص)، ص1615 و1615.

<sup>2</sup> ابراهيم صبحي الفقي، المرجع السابق، ص28.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع - الجزائر، ط2، 2010، ص45

<sup>4</sup> حامد أبو زيد، مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب، ط1/2014، ص10

الأصول مباحث يطول ذكرها حول ماهية النص، ودلالة النص ومستوياته وما يتعلق بذلك من أحكام وأدلة شرعية سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات، وكل ذلك نتيجة تبصرهم وتدبرهم في كتاب الله قراءة وتفسيرا وفهما وتأويلا، فذكر الزركشي في البحر المحيط أن للنص خمس دلالات اصطلاحية:

"الأول: يطلق النص على مجرد لفظ الكتاب والسنة، فيقال: الدليل إما نص أو معقول، وهو في اصطلاح الجدليين، والثاني: ما يذكر في باب القياس وهو مقابل الإيماء، والثالث: نص الشافعي، فيقال لألفاظه نصوص باصطلاح أصحابه قاطبة، والرابع: حكاية اللفظ على صورته، كما يقال: هذا نص كلام فلان، والخامس: يطلق النص على ما يقابل الظاهر"<sup>1</sup>، يبدو أن النص الظاهر الذي ذكره الزركشي يشترك مع المعنى اللغوي لمادة (ن.ص.ص) كونها تدل على الظهور، والدلالة الأولى هي الشاملة لكل ما جاء في القرآن الكريم وكان له معنى مفيد بدء من الآية مهما كانت درجة وضوحها، فكل ما تضمنته المدونة القرآنية يسمى نصوصا، رغم أن المفسرون وعلماء الأصول وبحكم تخصصهم عملوا على حصر وتضييق مجال النص فصنّفوه أقساما بالنظر إلى درجة وضوحه، بين النص والظاهر والمجمل والمفسر والمحكم والمتشابه، وغايتهم في ذلك تفسير النصوص القرآنية بشكل مضبوط، وعدم وقوعها في دائرة التناقض، ومن أمثلة ما جاء في مفهوم النص ما ذهب إليه أبو الحسن البصري في المعتمد إلى أن الشافعي قصد بالنص الخطاب الذي يعلم منه الحكم بدون شرط فيقول: "أما النص فقد حدّه الشافعي بأنه خطاب يعلم ما أريد به من الحكم، سواء كان مستقلا بنفسه أو علم المراد به بغيره وكان يسمى المجمل نصا"<sup>2</sup>، فهذا وسّع مجال النص سواء كان محدد الدلالة أو دلالاته مرتبطة بنصوص أخرى تدخل معه في علاقة لتوضحه و تفسره.

- وذكر مُجَدِّ الشاوش نقلا عن التهاوني قوله: "دلالة اللفظ على الحكم في شيء يوجد فيه معنى يفهم لغة من اللفظ أن الحكم في المنطوق لأجل ذلك المعنى... وتسمى بفحوى الخطاب وبجسّن الخطاب"<sup>3</sup>، وبهذا ضيّق من مفهوم النص المتداول في العصر الحديث، حيث قصر النص على المحكم، وأخرج غيره من دائرة النصية لأنه محل للتأويل.

✓ عند علماء النص الغربيين:

أول ما ظهر مصطلح النص، كان من خلال دراستين بعنوان تحليل الخطاب 1952 للعالم اللساني زليخ هاريس لم يكن يتعدى في مفهومه أن النص متوالية من الجمل، تؤدي كل جملة معنى مستقلا وتستلزم في النهاية مع سابقتها ثم مع لاحقتها معنى كلي وواحد هو دلالة النص على طريقة التوزيعيين، وبعدها أصبح

<sup>1</sup> يحي رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية و الإجراء، عالم الكتب الحديث، ط1/2007، ص305

<sup>2</sup> يحي رمضان، المرجع نفسه، ص306

<sup>3</sup> مجد الشاوش، المرجع السابق ص 189.

أكبر وحدة لغوية خاضعة للتحليل بدل الجملة، سعى علماء اللغة أن يضعوا مفهوماً موحداً له، لكن يبدو أنه أمر صعب المنال، فمنهم من يدرسه على منهج نحو الجملة (بالمزج وهارفيج وايزنبرغ)، فيعتبر النص جملة كبرى، ومنهم من يرى على أنه وحدة دلالية مثل هاليداي الذي ركز على خاصية الترابط والتماسك بين جملة دون مراعاة لحجم النص، وآخرون يربطونه بالقدرة التواصلية، دون أن أنسى النقاد الأدبيين الذين كان لهم دور فاعل في توصيف النص (رولان بات، جوليا كرسيفا، باختين...) وبيان كل ذلك يتضح من التعاريف التالية:

يرى توماس بالمير أن "النصوص ليست أكثر من تتابعات من الوحدات الصرفية جيدة السبك، ويمكن علاجها بتوسيع نحو الجملة بواسطة وحدات صرفية وترقيمية"<sup>1</sup> ويقول عنه هارفيج: "النص تتابع مشكّل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدة لغوية"<sup>2</sup> أو "وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة"<sup>3</sup> توصل لهذا المفهوم من خلال أبحاث 1968، فظاهرة الإضمار يقصد بها ترابط الجمل عن طريق الإحالة بالضمائر، والاستبدال وهي وسائل نحوية تسهم في تكوين النص.

يراه ايزنبرغ isenberg "متوالية متماسكة من الجمل، كما نجدتها مستعملة في الاتصال اللغوي"<sup>4</sup>، اشتغل ايزنبرغ بفرضية الربط بين الجمل، فحاول توسيع مجال النحو التحويلي التوليدي، ليطبقه على النصوص، غير أنّ هذه الأخيرة خصائص تساعد في التأسيس لهذا النحو، وهي: "تعاقب أفقي للجمل - تحديد الجهة اليسرى واليمنى - الاستقلال النسبي - التناسق داخل تتابع الجمل - العلاقات الدلالية بين المكونات السطحية."<sup>5</sup>

استطاع ايزنبرغ وضع تصورات أولية حول قواعد تحكم النصوص (1968) بحيث طرح فكرة الرّبط بين الجمل وأثبت أن المتتاليات الجمالية تتعالق فيما بينها عن طريق مجموعة من العلامات والروابط النحوية والضمائر، وهو ما عبّر عنه بالتناسق داخل تتابع الجمل، كما اهتم بالترابط الدلالي ويتمثل في علاقات معنوية كالسببية والغائية، وعلاقة الكل بالجزء والتعميم وغيرها.

أما الاتجاه الوظيفي التداولي فتمثله الأنحاء الوظيفية كالنحو الوظيفي لـ (سيمون دايك)، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن التواصل من خصائص اللغات، فالوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق القدرة التواصلية، فالكلام في حياتنا اليومية أو غيره من أصناف الخطاب (مراسلات، مذكرات، نصوص شعرية أو نثرية، خطابات في شتى المجالات وصولاً إلى أعلى مراتب البلاغة والبيان) يستلزم عناصر التواصل كما ذكرها

<sup>1</sup> روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص102

<sup>2</sup> زنتسيسلاف و اورزنيال، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار القاهرة، ط1/2003، ص56

<sup>3</sup> فولفجانج هاينه من و ديتير فيهفيجر، المرجع السابق، ص27.

<sup>4</sup> فولفجانج هاينه من و ديتير فيهفيجر، المرجع نفسه، ص25

<sup>5</sup> فولفجانج هاينه من و ديتير فيهفيجر، المرجع نفسه، ص25

رومان جاكسون (مرسل ومرسل إليه- باث ومنتلقى- ورسالة وقناة التواصل ولغة واصفة)، ولهذا فإن التواصل لا يتم عبر جمل نحوية مستقلة ومنفصلة عن سياقها الاجتماعي، لذلك اتجه الباحثون إلى النصوص واتخذوها لبنة أساسية للوصف والتحليل فكانت فضاء واسعاً لبناء نماذجهم النصية.

ويبنى آلان تون فان دايك مفهومه للنص انطلاقاً من مقولات المدرسة التحليلية التوليدية، فيرى " أن النص بنية سطحية توجهها بنية عميقة دلالية"<sup>1</sup> فدلالة النص تتشكل على مستوى بنية عميقة مجردة يطلق عليها مصطلح البنية النصية الكبرى، أما البنية السطحية فيقصد بها المتواليات النصية المترابطة نحويًا، وتمثل هذه الأخيرة فعلاً إنجازياً معبراً عن البنية النصية الكبرى، إضافة إلى دور القراءة والتأويل، فالنص بالنسبة له بنية لسانية تكوّنها مجموعة من العلاقات النحوية والمنطقية والنفسية والدلالية والتداولية.

وإلى نفس الاتجاه يميل هاليداي و رقية حسن حيث "يكون التفكير في النص أصوب لا باعتباره وحدة نحوية بالتأكيد، ولكن بالأحرى باعتباره وحدة من نوع مختلف، إنه وحدة دلالية ووحدته هي وحدة المعنى في المقام والنسيج الذي يعبر عن الحقيقة التي يخبر عنها، باعتبارها راجعة بتمامها إلى المحيط الذي رسمت فيه."<sup>2</sup> فقد كان ينظر إلى النص في البداية على أنه وحدة نحوية كما هو الحال مع الجملة، فما يطبق على الجملة يطبق على سلاسل جمالية دون النظر إلى اعتبارات أخرى، لكن أثبتت الممارسات الكلامية نظرة مختلفة عما كان سائداً، لأن السياق أصبح له سلطة في توجيه المعنى، وسماه هاليداي المقام، يقول هاليداي: " أي قطعة من نص طويل أو قصير منطوق أو مكتوب، سوف تحمل معها إشارات عن سياقها، وعلينا فقط أن نسمع أو نقرأ جزء منها لنعرف من أين أتت هذه القطعة، بمعنى آخر أعطنا النص، ونحن نشكل سياق الحال منه"<sup>3</sup> ويترتب عن اعتبار النص وحدة دلالية، أنه غير مقيّد بطول معين، فقد يكون جملة أو دون الجملة أو يتجاوز الجملة وهذا ما عبر عنه بقوله: "وبالتأكيد، من جهة أخرى، أن النص لا يعرف إطلاقاً بطوله إن جملة مثلية أو عبارة حكمية أو مجلدات كثيرة هي نصوص على نفس الدرجة مع قولنا "التدخين ممنوع" أو للبيع"<sup>4</sup>.

كما أن للمقاربة التواصلية نظرة متميزة للنص، بحيث يعرفه شميت: " النص هو كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة الموضوع و يفى بوظيفة تواصلية يمكن تعريفها، أي يحقق كفاءة إنجازية يمكن تعريفها"<sup>5</sup> وهذا أيضاً ما سماه ديوجراندي ودرسلر بأن النص حدث تواصلية، وبدوره يؤكد

<sup>1</sup> زتسيسلاف و اورزنيال، المرجع السابق، ص56.

<sup>2</sup> باتريك شارودو-دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري-حمادي صمود، دار سيناترا للمركز الوطني للترجمة، تونس 2008، ص554

<sup>3</sup> صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ج1، ط2000، ص108

<sup>4</sup> باتريك شارودو -دومينيك منغنو، المرجع نفسه، ص554

<sup>5</sup> زتسيسلاف و اورزنيال، المرجع السابق، ص58

هارتمان Hartman على خاصية الاتصال: "النص علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"<sup>1</sup>، ويقصد بالوظيفة التواصلية أن يحقق النص علاقة التواصل بين الباث والمتلقي.

رغم اختلاف المقاربات في صيغة مفهوم النص كما أشارت إلى ذلك التعاريف السابقة، إلا أن المتبع في وصف نموذج النص لدى كل عالم وباحث، سوف يكتشف أن جل الاتجاهات النصية تبني نموذجها على الجوانب الثلاثة معا وهي: التركيب والدلالة والتداول بنسب مختلفة فنجد مثلا:

- نموذج إيزنبرج يضع للنص كليات وهي صفات جوهرية توجد في كل نص (الشرعية الاجتماعية-الوظيفية الاتصالية-الدلالية-مرجعية الموقف-المقصدية-متتالية التعبير-متتالية التركيب)<sup>2</sup>.
- نموذج فاندايك في كتابه النص والسياق، كان بحثا واستقصاءا في تتابع الجمل والدلالة والتداول
- نموذج هاليداي في كتابه الاتساق في اللغة الإنجليزية.
- نموذج دي بوجراند ودرسلر حول معايير النصية السبعة.

### ✓ عند اللسانيين العرب المحدثين:

لقد تبني المحدثون النظرية اللسانية النصية وما تتضمنه من مقولات، فاهتموا أولا بترجمتها إلى العربية، ثم عمدوا إلى التأليف فيها وشرحها، كل حسب التوجه الذي تبناه، يقول سعيد بحيري: "و يجب أن يوضع في الاعتبار أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاختلاف بين العلماء الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة"<sup>3</sup>، ومن بين التعاريف التي جاءت في كتابات الباحثين العرب، يقول سعد مصلوح: "أما النص ليس إلا سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليه، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله"<sup>4</sup>، وتعد هذه مقولة من أبسط المفاهيم وأضعفها نظرة للنص، إذ تحصره في الجانب الكمي والسطحي المتمثل في التابع الخطي لمجموع التراكيب الجميلية و بالتالي تجعل من النص جملة كبرى تنضوي تحتها مجموعة جمل صغرى.

ويذهب صلاح فضل إلى القول بأنه: "علينا أن نتبنى مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة، لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكيونته الدلالية"<sup>5</sup> يشير إلى ضرورة الاطلاع والتفقه في النظرية

<sup>1</sup> أحمد عفيفي، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 27.

<sup>2</sup> فولفجانج هاينه و ديتير فيهفيجر، المرجع السابق، ص 60.

<sup>3</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 107.

<sup>4</sup> أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 24.

<sup>5</sup> صلاح فضل، المرجع السابق، ص 211.

اللسانية النصية للخروج بمفهوم واسع للنص، ويخص بالذكر نوعين من المقاربات، النقد الأدبي عند رولان بارت والسيميولوجية عند جوليا كرسيفا، حيث أن النص وفق هذه المقاربات يتميز بالخصائص التالية:

○ أنه نشاط إنتاجي يعبر عنه باللغة عن طريق إعادة التوزيع لعناصر لغوية واقعة على مستوى البنية السطحية، وعناصر أخرى غير لغوية.

○ أن النص يدخل في تكوينه نصوص أخرى، فالنص نسيج من الاقتباسات والثقافات هذه النصوص تدخل معه في علاقات وتجعله منفتحاً على سياقات إجتماعية وتاريخية وتساهم في تفسيره وتأويله.

○ النص لا هوية له بعد موت مؤلفه مما يؤدي إلى تعدد دلالاته بتعدد مقروئته فالقارئ منتج للدلالة.

○ النص هو المكثف بذاته والمكتمل في دلالاته فلا شرط لحجم النص طالما يؤدي معنى.

أما مُجدّ خطابي فيعرف النص بأنه: "تشكل كل متتالية من الجمل - كما يذهب إلى ذلك هاليداي وحسن - نصاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين بعض هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وورد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة، يسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية، وتعلقه بما بعده علاقة بعدية"<sup>1</sup>

لقد تبنى مُجدّ خطابي مفهوم النص كما جاء في كتاب الاتساق في اللغة الإنجليزية لـ(هاليداي و رقية حسن)، حيث يركز على أهمية الإحالة ودورها في تكون العلاقات الدلالية و تماسك النص

### المبحث الرابع : جدلية النص و الخطاب

لقد ظلت مسألة النص والخطاب محل اجتهاد المفكرين والباحثين في هذا المجال ولم تنزل حتى الآن تطمح لإيجاد مفهوم واضح لها، فكثر التعاريف حول هذين المصطلحين ولد الكثير من الغموض واللبس وعدم استقرار في هذا العلم فقد انقسم الباحثون والمفكرون وعلماء اللغة فريقان، الأول يميز بين المصطلحين فيكون النص شيئاً مختلفاً عن الخطاب، بحيث يكون لكل واحد مفهومًا تبعاً للخصائص التي تميزه، بينما يرى الفريق الثاني أن النص والخطاب وجهان لعملة واحدة وسنعرض لمجمل التعاريف التي تكلمت في هذه القضية.

### -النص هو الخطاب :

أول من تكلم في الخطاب من علماء اللسان الأمريكي زليخ هاريس، من خلال مقاله الموسوم تحليل الخطاب **discours analys** سنة 1952 كان هاريس بنويًا توزيعيًا يحرص على الدراسة اللسانية داخل النسق وبعيداً عن كل السياقات، وبدأ التأريخ لهذا العلم انطلاقاً من المقال.

<sup>1</sup> محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1991، ص13



ويرى فان ديك أنّ: "أن مفهوم علم النص ليس بالغ القدم غير أنه ترسخ منذ عشر سنوات تقريبا، ففي المجال اللغوي الفرنسي سمي علم النص science du texte و في الإنجليزية سمي تحليل الخطاب discours analys<sup>1</sup> " مما يوحي أن النص والخطاب لا يختلفان في المفهوم ولكن يختلفان في مكان المولد، ويعلن عن هذا الترادف بين النص والخطاب بقوله: "توجد فوارق متسقة الاطراد بين الجملة المركبة وانتظام توالي الجمل وتسلسلها، وخاصة من نوع المستوى التداولي، ثم إن الجمل يمكن أن تتعلق بدلالة أو بمعنى جمل أخرى من العبارة نفسها حتى ولو كان ذلك ليس دائما مشابها في شيء لمعاني القضايا في تركيبها أو الجمل المؤلفة، وهناك أسباب أدت بنا إلى أن نسلم بأن العبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعا لوحدة أوسع ما تكون وأعني بذلك المتن أو النص، وهذا الاصطلاح الأخير إنما استعمل هنا ليفيد الصياغة النظرية المجردة المتضمنة لما يسمى بالخطاب"<sup>2</sup>

وهذا مُجّد خطابي في إطار حديثه عن خاصية الاتساق لم يميز بين النص والخطاب، بل وصفهما كونهما دالان يشيران لنفس المدلول أو المفهوم فيقول: "ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجة من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته"<sup>3</sup> وهكذا كلما ذكر الخطاب جعل النص معه لا يفرق بينهما، ويقصد بهما متواليّة من الجمل تفيد معنى مقصود، أما صبحي ابراهيم الفقي فيصرح بعدم التفريق بين المصطلحين (الخطاب والنص) حيث يقول: "وعليه فالوسائل التي تستعمل في التحليل النصي واحدة، فلا مبرر... لتقسيم اللغة إلى الخطاب والنص، فكلاهما فيما نرى لا فرق بينهما"<sup>4</sup>

وهذا العالم اللساني بول ريكول الذي نجده يعرف النص أنه "كل خطاب تم تثبيته بالكتابة" يميز بينهما في الشكل الخارجي إذ يكون الخطاب شفوي والنص مكتوب، وهذا المفهوم نجده مع القرآن الكريم حيث يصفونه بالخطاب تارة وبالنص تارة أخرى، حيث أنزل مشافهة مع النبي مُجّد صل الله عليه وسلم فكان خطابا، ثم دَوّن هذا الخطاب على المصحف الشريف فأصبح نصا مثبتا وفي كلتا الحالتين يبقى الخطاب أو النص مرتبطا بظروف إنتاجه وتفسيره وتأويله ولا فرق هنا بين نص و خطاب

<sup>1</sup> فان دايك، علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص14

<sup>2</sup> فان دايك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1/2000، ص19

<sup>3</sup> مُجّد خطابي، المرجع السابق، ص5 و6

<sup>4</sup> صبحي ابراهيم الفقي، المرجع السابق، ج1، ص36



و يذهب غريغاس إلى وجود اشتراك فعلي للفظتين في أداء المعنى ذاته، ويشير إلى أن "الخطاب والنص تستعملان تبعاً لذلك على ممارسات خطائية غير لغوية كالأفلام والطقوس المختلفة والقصص المرسومة، وعليه نقول أن الاختلاف لا يمس مضمون اللفظة<sup>1</sup>

ترى جوليا كريستيفا Julia Kristiva أن "النص الأدبي خطاب يخترق حالياً وجه العالم والإيديولوجيا والسياسة<sup>2</sup>، فتسوي كريستيفا بين النص الأدبي والخطاب، فهي تخص النص الأدبي وهو مجال تخصصها وتستبعد أنواعاً أخرى من النصوص من صفة الخطاب، بينما المفهوم اللساني للنص يشمل جميع النصوص دون استثناء.

أما روجر فاوولر Roger Fowler فقد ورد عنده تداخلاً بين مصطلحي النص والخطاب في تحديده لمعالجة الأدب بوصفه خطاباً إذ يجمعهما في قوله: "إن كل نص خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدد لقارئ ضمني محدد الهوية<sup>3</sup>.

يرى فان دايك أنه "يبدو النص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفعل تواصلية، وهو كذلك مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوحيه<sup>4</sup>.

### -النص مختلف عن الخطاب:

هناك من يميزون بين النص والخطاب وتختلف مرجعية كل واحد في ذلك تبعاً للاتجاه والمنهج الذي يتبناه منهم على سبيل المثال لا الحصر:

يشترط إيميل بنفيسست في الخطاب وجود ركنين أساسيين هما المتكلم المسؤول عن فعل التلفظ وفعل التأثير في المستمع فيعرف الخطاب أنه "كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما"<sup>5</sup> يدخل ضمن كلمة التلفظ جميع الملفوظات الشفوية دون استثناء على كافة المستويات من الكلام اليومي إلى أعلى مراتب البيان، شرط أن تتجاوز حدود الجملة ويصدر من شخص تكون له صفة المتكلم موجهة إلى متلق حاضر مستقبل للخطاب، كما أن المتكلم يستعمل آليات الاقناع حتى تؤثر في المستمع، وتجعله يدرك مقصدية المتكلم، فالخطاب يرتبط بالسياق وظروف إنتاجه، وبمفهوم المخالفة لما جاء عند بنفيسست، فإن النص يختلف عن الخطاب من حيث أنه إنتاج كتابي وليس شفوي، يصدر عن شخص يسمى الباث أو المرسل وموجه إلى متلق غائب غير حاضر أثناء بث النص.

<sup>1</sup> نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط2009، 1، ص20.

<sup>2</sup> محمد العبد، النص و الخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط2005، 1م، ص9.

<sup>3</sup> محمد العبد، المرجع نفسه، ص8.

<sup>4</sup> سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن-السردي-التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1997/3، ص16.

<sup>5</sup> سعيد يقطين، المرجع نفسه، ص19.

ميشال فوكو يذهب إلى أن الخطاب أعم من النص فيقول بشأن الخطاب أنه: "مصطلح لساني متميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، وبشموله لكل إنتاج ذهني سواء أكان نثرا أم شعرا منظوقا أم مكتوبا، ذاتيا أم محسوسا في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد"

يقول عبد المالك مرتاض " ثم لم لا يكون النص خطابا، والخطاب نصا؟ ذلك شيء قيل به ولكننا نحن نأبي القول به، فالنص لدينا أشمل وأرحب، أما الخطاب فتصنيف داخلي، تفصيل من مجمل، وفرع من أصل كبير، النص هو كل كتابة على وجه الإطلاق في حين أن الخطاب نوع لتصنيف الكتابة تخصص فني داخلي في تجنيسها"<sup>1</sup>.

- وأهمها ما ذهب إليه جون ميشال آدم J.M.Adam بأن الفارق الجوهرى بينهما هو السياق، إليك معادلته:

$$\left. \begin{array}{l} \text{الخطاب} = \text{النص} + \text{ظروف الإنتاج.} \\ \text{النص} = \text{الخطاب} - \text{ظروف الإنتاج}^2. \end{array} \right\} \text{و يتضح من هذه المعادلة أن الخطاب أشمل من النص}$$

وهذا ما يؤكد دوميستيك مانغينو في كتابه المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب بأنه "ينظر إلى الخطاب من حيث هو ارتباط النص بسياقه"<sup>3</sup>. فالخطاب له صلة مباشرة بالسياق أو ما يعرف بظروف الإنتاج، وإلى نفس المعنى ذهب أحمد المتوكل مستندا إلى أدبيات الأنحاء الوظيفية إذ يميزون بين النص والخطاب بقوله: "... لعل السبب في هذا التفضيل هو أن مصطلح الخطاب يوحي أكثر من مصطلح النص بأن المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية (عبارة أو مجموعة من العبارات) تحكمها قوانين الاتساق الداخلي (الصوتية والتركييبية والدلالية والصرفية)، بل كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية (بالمعنى الواسع)"<sup>4</sup>

### -تداخل النص مع الخطاب:

حاول العلماء والباحثون الخوض في مسألة الفصل بين النص والخطاب بالبحث في خصائص ومميزات التي يستقل بها كلا المصطلحين على مستوى التنظيم، وهذا ما دلّت عليه الصيغ التعبيرية المختلفة للتمييز بينهما، لكن شدة التداخل بينهما قوية، فيتفقون في أمر يذكره محمد العبد: " يظل التمييز بين النص والخطاب من زاوية كون النص في الأساس بنية، في مقابل كون الخطاب في الأساس موقف هو التمييز السائد في

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، المرجع السابق ص12.

<sup>2</sup> إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م-2009م، ص23

<sup>3</sup> دوميستيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1428هـ-2008م، ص38.

<sup>4</sup> أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص،- دار الأمان، الرباط، 2001، ص16.

أدبيات نظرية النص وتحليل الخطاب، بيد أن الإلحاح على ربط النص بمقاصده ووظائفه مما يعيد هذين المصطلحين في الاستعمال إلى دوائر متشابكة يبدو فض الاشتباك بينهما أمراً عسيراً.<sup>1</sup>

### المبحث الخامس: نماذج الوصف والتحليل في نحو النص:

لقد وجد علماء اللغة أن النصوص تشترك مع الجمل في مجموعة من الخواص وهي:

- "لا يمكن تحديد عدد نهائي للجمل أو النصوص في لغة مفردة.

- الجمل مثل النصوص ترسم صوراً لأشياء، ويكون لها طابع الزمنية

- كلتا الوحدتين لها بناء داخلي، وتتكون من عناصر لكل منها علاقة بالآخر.

- تتجمع الجمل والنصوص في أنواع على أساس نموذج محدد، وتصبح الأنواع نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها<sup>2</sup>، لذلك كثرت محاولات سطحية في تحليل متتاليات جمالية متخذة النحو التوليدي التحويلي وأسسها نجحاً في الوصف والتحليل والتفسير، فوجد فرضية الربط بين الجمل لـ (إيزنبرج 1968)، ومحاوله هارفيج 1968 حول النصوص بوصفها سلاسل من الإضمار فاكشف أن خاصية الإضمار (الاستبدال) تحقق وحدة سياق النص.

أما أهم النماذج التي اشتغلت بالنصوص من خلال دراسات تطبيقية وكوّنت مقولات نظرية فنجد:

### - النموذج الأول: تجزئة النص عند وينريتش (H.Weinrich)

حاول وينريتش\* أن يكون نظرية نصية نحوية عندما قرّر أن يتجاوز حدود الجملة ويصف التابع الجملي، خاصة وأنه يقوم بتحليل النصوص الأدبية ويعتمد على فرضية مفادها أنه لا يمكن دراسة الأفعال والأسماء والحروف إلا من خلال النظر في نص كامل وليس جملة، فاهتدى إلى نموذج نحوي لتحليل النصوص يقوم على مستويين<sup>3</sup> الأول يكون وفق أقسام الكلام، والثاني على مستوى عناصر الجملة و يتم ذلك على جدول تجزئة النص، تقوم طريقة التحليل كما شرحها سعيد بحيري على تقسيم النص إلى أفعال بسيطة ومركبة (علماً أن الأفعال تتكون من إنجاز وزمن فهي تشكل الأساس في تكوين البنية النصية) إلى جانب العناصر اللغوية الأخرى، وتوضع عناصر التجزئة في جدول يضم رموزاً رأسية، وهي عبارة عن أرقام تدل على أفعال النص مرتبة، ورموز أفقية وهي عبارة عن ثنائيات نحوية موزعة على مجموعة من الأسطر، تحمل كل مقولة رمزا يعبر عن ثنائية نحوية مثل (النفي والإثبات) و مقولة شخص التواصل (المتكلم والمخاطب)، مقولة

<sup>1</sup> محمد العبد، المرجع السابق، ص 11.

<sup>2</sup> فولفجانج هاينه، ديتر فيهفجر، المرجع السابق، ص 23.

\* وينريتش هارالد (1927) عالم لسانيات و أديب و أستاذ جامعي من أصل ألماني، يعمل على تحليل النصوص الأدبية من مؤلفاته: النحو النصي للغة الفرنسية، الوعي اللغوي و القراءات الأدبية، ليتي فن و نقد النسيان، عد الوقت

<sup>3</sup> ينظر: سعيد بحيري، المرجع السابق، ص 194

العدد (الجمع والمفرد)، مقولة الزمن وتعد من أكثر المقولات تعقيدا في الوصف لأن اللغة الألمانية تتضمن أزمنة السرد أو الوصف، وهي الحال والمستقبل والزمن التام، وهناك أزمنة النص وهي الماضي والشرط والماضي المركب، وثنائية (المبني للمعلوم والمبني للمجهول) و يخص أسطر تتضمن العلاقات بين الأفعال والأسماء، وفي مرحلة ثانية يطرح وينريتش تجزئة أخرى سماها التجزئة النصية المتحولة، بحيث يصف التحولات التي تطرأ على الفعل داخل كل الثنائيات، ويدخل الروابط ضمن الجدول لأنها تساهم في تفسير العلاقات بين جمل النص فمنها ما تفيد الربط ومنها ما تؤدي معلومات إضافية، يملأ جدول التجزئة حسب معلومات النص من أجل الحصول على وصف إحصائي أولا تتم على أساسه عملية تفسير وتحليل العلاقات بين جمل النص، والبحث عن تحقق النصية و إثبات التماسك النحوي والدلالي، رغم الجهود التي بذلها ونريتش في بناء نموذج، غير أنه يراه قاصرا<sup>1</sup> للأسباب التالية:

- أن تطبيقه على النصوص المطولة يكون صعبا، لأنه سيضم عدد كبير من عناصر التحليل (الثنائيات)
- أنه يصف ويحلل التابع الجملي (النصوص) على المستوى النحوي ولذا يستكمل بجدول تجزئة فونولوجي وآخر دلالي.

<sup>1</sup> سعيد بحيري، علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات-، ص210



## -النموذج الثاني: نحوية النص عند فان دايك (T.A.Van dijk)

يسمى كذلك آجرومية النص، أسس فاندايك\* نموذجاً لتحليل النصوص على مقولات نحو الجملة، حيث استبدل البنية العميقة والبنية السطحية بمصطلح البنية الكبرى والبنية الصغرى، وأخذ بمفهوم الحدس اللغوي واستفاد من مقولات أصحاب الدلالة التوليدية أمثال ماكولي وفليمور، غير أن فان دايك يجد أن نحو الجملة يظل غير كاف ولا يملك الآليات المطلوبة لوصف النصوص وتحليلها وتفسيرها وهذا الأمر يرجعه إلى الأسباب التالية:

1- وصف التمثيل الدلالي للجملة يفتقر إلى الأبنية التجريدية، وهذا الأمر يؤثر على التمثيل النحوي والمورفولوجي لهذه الأبنية الدلالية<sup>1</sup>، بمعنى أن الأنحاء السابقة أهملت العلاقات الدلالية العميقة التجريدية بين الجمل ومتتاليات الجمل، فكانت بعيدة عن الوصف والتحليل، لأنّ النص ليس متوالية جمالية نحوية، ولكن وحدة دلالية كلية.

2- أن مستخدم اللغة لا يتواصل إلا في إطار نصوص وليس جملاً، لذلك يجب إدخال عناصر تداولية وسياق وهنا يظهر أنه وسع مجال النحو بإضافة المستوى التداولي يساعد على فهم النصوص وتفسيرها.

3- ونقلاً عن سعيد حسن بحيري أن فاندايك أورد في مقالة بعنوان (جوانب من نحو النص) " أن بعض الظواهر اللغوية مثل التحويل إلى صلة والتحويل إلى ضمير، وتشكيل النبر و الربط والبؤرة والتفسير والفرض المسبق وعلاقات الزمن في الأنحاء السابقة، كانت تفتقر إلى إطار أوسع لتدرس فيه دراسة معمقة ومثمرة يكون متجاوز للجملة ويقصد النص، لأنها ظواهر في حقيقتها نصية<sup>2</sup>

إن عملية التحليل كما جاءت في نموذج فاندايك تنطلق من دراسة العلاقات الناتجة عن تتابع الجمل أو الوقائع -على اعتبار أن الجملة تدل على واقعة- فلقد وجد أن السلاسل الجمالية تتحول إلى قضايا منطقية، وهذا عن طريق الفهم والتفسير الدلالي والمنطقي، بحيث ينشأ مجموعة من العلاقات الدلالية داخل النص.

إن وجود الروابط النحوية بين السلاسل الجمالية لا تكف للكشف عن دلالة النص، لكن فاندايك يركز على الترابط الدلالي ويعطيه الأولوية في التحليل على المستوى التركيبي (النحوي)، ويرى أن هذا الترابط الدلالي

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع نفسه، ص. 221.

\*تون فاندايك(1943) من أصل هولندي، أستاذ لدراسات الخطاب بجامعة أمستردام و جامعة برشلونة و محاضر على المستوى الدولي، باحث في مجالات لغويات النص، تحليل الخطاب أسس ست(06) مجلات دولية، من مؤلفاته: بعض جوانب نحو النص، النص و السياق 1977، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات 1980 و مؤلفات كثيرة في مجال الخطاب  
<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع نفسه، ص 221.

يعتمد على مسألة العلاقات الدلالية بين القضايا الداخلية في الجمل، وفي كافة أشكال الخطاب، فيكون الترابط من خلال وجود علاقات الاستلزام المنطقي وعلاقات التعليل والسببية والوصل وغيرها، ويورد فندايك الكثير من الأمثلة في كتابه النص والسياق حول قضية الترابط الدلالي من خلال دراسة العلاقات بين الأحداث المدلول عليها في النص مثلا فيصل إلى بعض النتائج وهي أن:

-الأحداث ترابط إذا استوفت شروطا معينة من الترتيب الزمني.

-الأحداث ترابط إذا كان هناك تجانس في العوالم الممكنة

وينشأ الترابط الدلالي بشكل أفقي، إما بوجود روابط إحالية مثل الضمائر وأسماء الإشارة وغيرها، وإما بين معاني الجمل أي بصورة ضمنية، كما بحث كذلك في الخواص التداولية البراجماتية، وكشف عن دورها في مسألة الترابط النصي وأهم هذه الخواص نجد: (سياق الموقف، المشاركون في الخطاب من متكلم ومخاطب، الزمان، المكان ..) ولكل خطاب سياقه الخاص به والذي يجعله مترابط ومتماسك، لذلك وصفت محاولات فندايك بوجه بأنها محاولات متقدمة إلى حد بعيد في شرح عمليات الترابط (النحوي) بين المتواليات النصية والتماسك الدلالي بين الأبنية النصية ودور القراءة والتأويل<sup>1</sup>.

أما عن المصطلحات التي صيغت في هذا النموذج نجد:

### ❖ الأبنية النصية الكبرى:

يقصد بها موضوع النص أو موضوع الخطاب أو موضوع الحوار، فالمتتاليات الجملية عندما تتمتع بالترابط النحوي على المستوى الأفقي الخطي وتعتبر دلالية عن معنى وترتبط بسياق وموقف اتصالي بين مستخدمي اللغة من متكلم ومستمع تكون قد كونت لنفسها بنية كلية شاملة تسمى دلالة النص، وجاء في كتاب بلاغة الخطاب وعلم النص أن "البنية الكبرى للنص تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص"<sup>2</sup>، ونقلنا عن سعيد بحيري "يقدم فندايك تصورا أوليا عن تلك البنية الافتراضية، إذ إن دراسة الأبنية الكبرى في إطار علم لغة النص تعد في رأيه ذات أهمية جوهرية، فثمة أسباب لا حصر لها توجب علينا أن للنص - كالجملية على حد سواء - بنية عميقة مجردة، فيمكن أن تنجز نصوص ما من خلال تحويلات، ويمكن أن يكون لها من خلال بنية سطحية أو البنية السطحية ذاتها تفسيرات مختلفة، ويمكن أن تعاد صياغتها بعدة طرق"<sup>3</sup>.

وهذا ما دفع بـ(فندايك) إلى افتراض نموذج نصي للكفاءة اللغوية كما فعل تشومسكي مع الجملة النحوية، لأن مستخدم اللغة قادر على إنتاج نصوص قصيرة أو طويلة أو كلام مطول، وقادر أيضا على عملية

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع نفسه، ص 220

<sup>2</sup> صلاح فضل، المرجع السابق، ص 257.

<sup>3</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 249

اختصار هذه النصوص وعملية استرجاعها من الذاكرة بصيغ مختلفة دون التفكير في دلالة كل جملة على حدة، والبنية الكبرى للنص ليست ثابتة فقد تتغير من شخص لآخر بسبب اختلاف الخبرات والمعارف والاهتمامات وإن كان مستخدمو نفس اللغة ينساقون وراء تفسير واحد كما هو الحال في تفسير النصوص القانونية، أما الوصول إلى هذه البنية الكبرى يكون من خلال تطبيق ما يسمى بالقواعد الكبرى على جمل النص فعندما تقوم بتحرير ملخص لمقال ما، فإنك تستخدم هذه القواعد بشكل عفوي أو مقصود لتحصل على البنية الكبرى الشاملة (موضوع المقال).

### ✓ القواعد الكبرى:

هي أربعة قواعد للوصول إلى الأبنية الكبرى للنصوص كما حددها فنديك في كتابه المترجم علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، وهي "الحذف والاختيار تستخدمان للإلغاء، والتعميم والتركيب أو (الإدماج) وهما للإحلال أو الاستبدال (الإبدال في العربية) وتؤدي هذه القواعد الكبرى كلها مبدأ الاستلزام الدلالي، فما يصدر عن المتكلم من نصوص منطوقة أو مكتوبة، انطلاقاً من الكلام اليومي والكلام المطول والمحاضرات والروايات والتشريعات وغيرها، يخضع لهذه القواعد بصورة تلقائية.<sup>1</sup>، فالمعرفة المشتركة بين المتخاطبين في مجتمع محدد، والمواضعة بينهم في استخدام الألفاظ والعبارات خاصة في الكلام اليومي، والاستعمال المستمر وغير المنقطع والمطول في الكلام، يجعلهم يستخدمون هذه القواعد دون أن يشعروا بها، وذلك حتى يكون الكلام أكثر وضوحاً.

### 1- الحذف:

فلا يحذف المتكلم من كلامه إلا ما كان زائداً، بحيث لا يؤثر الحذف في مضمون النص، فالمعلومات التي قد يستغني عنها المتكلم تعد ثانوية بالنسبة لمدار الحديث ويعطي مثالا عن نص ترد فيه هذه الجملة:

"أ/ مرت فتاة ب/ترتدي ثوبا ج/كان الثوب أصفر اللون"<sup>2</sup>

فإذا كان مضمون النص لا يتأثر بما ترتديه الفتاة ولونه، فيحذف القول الثاني والثالث تلقائياً ويبقى في النص عبارة "مرت فتاة"، فرغم أن كل الجملة صحيحة نحويًا، إلا أن الاستغناء عن الجمل العبارات التي لا تؤثر في مضمون النص يكون أفضل من ذكرها، إلا إذا كان ذكرها له ما يبرره.

<sup>1</sup> ينظر: فان دايك، المرجع السابق-علم لغة النص- مدخل متداخل الاختصاصات، ص81

<sup>2</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص 82



2- الاختيار:

هذه القاعدة الثانية تفيد الإلغاء وتقوم على الحذف لمعلومة وضرورة ذكر معلومة أخرى والحذف لا يكون دائما

لمعلومة غير أساسية، وإنما يكون كذلك للمعلومة التي تدخل ضمن المسلمات الدلالية بالنسبة للتصورات

كما في المثال التالي: "أ/حجز تذكرة السفر ب/حصل على موعد السفر ج/سافر إلى العاصمة بالطائرة"<sup>1</sup> يمكن حذف القضيتان (أ) و (ب) لأنها إجراءات تدخل ضمن المعرفة المشتركة بين المتكلم والمستمع، فعندما تسمع القضية الثالثة يتصور في ذهن كل واحد أنه تم الحجز وتحديد الموعد قبل ذلك فهي إجراءات تسبق السفر بالطائرة، وتبقى القضية (ج) وهي السفر إلى العاصمة، أما إذا أضيفت قضية رابعة من مثل د/لكنه لم يسافر، فلا يجوز حذفها وذكرها ضروري لأنها تستدعي ذكر أمور أخرى منها أسباب عدم السفر، فالقضية هي التي تحدد الحذف أو غيره.

3- التعميم:

هو حذف من نوع آخر، يكون مجموعة تشترك في مميزات أو صفات واحدة، يدخل التعميم ضمن عمليات التجريد، فعوض أن أقول اشتريت بيانو وكمان وطبل، أستغني وأحذف الكلمات التالية بيانو وطبل وكمان، فأقول اشتريت آلات موسيقية، لأنهم يشتركون في نفس الصفة.

4- التركيب (الإدماج):

يسمى صلاح فضل التكوين والبناء وتؤدي دور القاعدة الثانية بحيث تحذف العناصر وتدمج في مفهوم مركب ولا يفقد النص دلالاته، كقولك:

(أ) نويت الصيام (ب) امتنعت عن الأكل والشرب (ج) صمت يوما في رمضان

فتحذف القضية الأولى والثانية لأنهما مدجتان ضمنا ضمن القضية الثالثة لأن الصيام هو امتناع عن الأكل والشرب ومسبوق بنية.

❖ التابع الجملي:

يقصد به سلاسل الجمل المتتابعة بشكل أفقي تكون مجموعة من القضايا بالمفهوم الرياضي، فيدخل فاندايك معارف المنطق الرياضي بطرحه لمصطلح القضية، لتصبح القضية مفتاح للتصور، ويؤكد على "أن تتابع الجمل يقوم على قيود معينة، لا تتصف بالنحوية فحسب، بل وبالمقبولية أيضا ليضمن جودة السبك"<sup>2</sup> فالوصول إلى البنية الكبرى الشاملة أو الكلية يبدأ في التشكل عندما تتحول جمل النص المترابطة نحويا مع

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع السابق- النص والسياق، ص85

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص225

بعضها على مستوى الذهن إلى مجموعة من القضايا تُعبر عن دلالة تلك الجمل المترابطة مما يفضي بالمتلقي إلى فهم موضوع النص أو الخطاب، يقول فان دايك: "لقد تمت إعادة بناء مفهوم موضوع (جزء من) الخطاب كقضية مستنتجة من ضم مجموعة قضايا معبر عنها في متواليته، وفي حالة ما إذا كان أكثر من قضية تستوفي هذا الشرط أمكننا أن نتحدث عن بدائل الخطاب، ومجموعة هذه البدائل تسمى مجموعة ذلك الخطاب، وحسب تعريفنا فإن الموضوع يجب أن يستنتج من المتواليته ككل"<sup>1</sup> ويمكن أن يجري استخدام لغة مختلفون تطبيقات مختلفة لهذه القواعد فتحصل على بنيات دلالية مختلفة، تدخل فيها عوامل مختلفة تتجمع في القراءة والتأويل من المستمع أو القارئ.

### ❖ الأبنية العليا:

عندما يتعلق الأمر بالسرد أو الحكاية (القصة) أو النصوص الحجاجية لا يكون الأمر سهلاً للوصول إلى البنية الكبرى الشاملة (موضوع النص) حيث أن استيعاب وفهم مثل هذه النصوص يكون على مراحل واتباع استراتيجية تخطيطية، لذلك اقترح فان دايك مفهوم الأبنية العليا<sup>2</sup> ويقصد بها مخططات إنتاج وتفسير النصوص.

### ✓ المبادئ العامة للتحليل النصي عند فان دايك:

بعد البحث والاستقصاء حول الوصف اللغوي للنصوص والذي جمع فيه فاندايك بين التحليل السيمانطيقي (الدلالي) والتحليل التداولي، وتوصل إلى مجموعة من المبادئ العامة تحكم نظرية النص على النحو التالي:

1- "تستعمل النصوص دائماً في سياق خاص، يتطلب تحليل النص وفهمه في النتيجة تحليلاً متزامناً للسياق وفهمه.

2- يعد التحليل (النصي و/أو السياقي) إنتاجاً وهذا يعني إذن، أنه يعد في ذاته نصاً لذات محللة: إن مثل هذا التحليل ليس نتيجة للمميزات الموضوعية الملاحظة للنص وللسياق إذن فقط، ولكنها أيضاً وخصوصاً "بناءً" (عقلي) لمميزات تنسبها الذات المحللة بشكل تفاعلي إلى النص أو إلى السياق، وإن هذا ليصح بالنسبة للقارئ أو المستمع الذي يقترب حدساً من النص، كما يصح بالنسبة إلى الباحث العلمي.

3- يعد التحليل نصاً أو ما نسميه "النص - الوصف" والذي يجب أن يولد في النتيجة وأن يفهم في لسان معين وسياق تواصلية معين، وهذا يعني أنه يجب على التحليل إذن أن يلي الضوابط التواصلية

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع السابق- النص والسياق، ص 190

<sup>2</sup> كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص-مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر، ط2005، ص1، ص71

للجماعة التواصلية المعنية بهذا الأمر، وهكذا سيتوجب على التحليل العلمي أن يلبي ضوابط "التواصل العلمي" ومعاييره، وإن أمرا كهذا ليستلزم من بين أشياء أخرى أن يكون التحليل قابلا للفهم وأن يكون في مقدوره أن يعيد إنتاج نفسه وأن يكون واضحا ونسبيا قدر الإمكان، وأن يكون مؤسسا نظريا وأن يكون أخيرا متجها نحو قضايا وأهداف مطروحة بشكل مسبق.

4- تمتلك النصوص ضروبا مختلفة من المميزات، وإنه لمن الملائم إذن تمييز مستويات مختلفة من التحليل، وسندرس في كل مستوى من مستويات التحليل "البنى" المائزة لهذا المستوى وسيأخذ هذا مكانا في مختلف الميادين النسبية أو النظريات النسبية لعلم النص، وستقيم مستويات التحليل هذه في إطار "وصف نصي أكثر اندماجا" علاقة بعضها مع بعض، ويمكن لكل مستوى من هذه المستويات أن يرتبط بشكل مستقل أو غير مستقل بمميزات سياقية معينة.

5- وسنميز بالطريقة نفسها، في تحليل السياق ضروبا مختلفة من السياق، سنقيم بشكل عام تمييزا بين سياق تداولي، وسياق نفسي (إدراكي وعاطفي)، وسياق اجتماعي - ثقافي حيث تأخذ السياقات التاريخية والسياقات الاجتماعية الاقتصادية مكانها.

6- ويتم صنع الوصف البنيوي للنصوص والسياقات بمصطلحات مثل الفئات، والوحدات المنتمية إلى هذه الوحدات وكذلك بمصطلحات الضوابط، والمواصفات أو الاستراتيجيات التي تحدد العلاقات بين الفئات، وذلك مثل الطريقة التي تستطيع فيها هذه الفئات أن تتوالف فيما بينها في النص<sup>1</sup>

يعتمد تحليل النصوص بصورة أساسية على السياق، فهو الذي يؤثر في تغير مجرى الأحداث والمواقف، بحيث يرتبط كل نص بموضوع وأشخاص مشاركين وزمان ومكان، والسياق يمثل جملة العلاقات التي تحرك النصوص وتجعلها تحقق التواصل، فهناك من يعتبر النص والسياق وجهان لعملة واحدة، فلا نص من دون سياق يوجهه ولا سياق من غير نص يتحرك فيه، والسياق نوعان السياق النصي وسياق الموقف، فالقاضي يصدر أحكاما قضائية وعبرة عن نصوص في المقام الأول، لكن أحكامه تختلف من نص لآخر تبعا لحديث كل قضية انطلاقا من الفعل المجرم والأشخاص المشاركين في الفعل والزمان والمكان ونتيجة تفاعل هذه العناصر يتشكل السياق الذي بموجبه يصدر القاضي حكمه القانوني القضائي.

وتحليل النصوص يسند إلى ذات محللة ويقصد بها باحثا متخصصا في اللسانيات النصية غرضه المساهمة في تكوين نظرية نصية تصف القدرة التواصلية بين الناس، وينتج عن عملية التحليل نص مولد يسمى النص الواصف (التحليل) وينتجه الباحث بناء على منهج علمي وضوابط تحكم مجموعة لسانية معينة وهي

<sup>1</sup> فان دايك، النص بنى ووظائف-مدخل أولي إلى علم النص، تر/منذر عياشي، العلاماتية و علم النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2004، ص1، ص141

ثلاث فئات من المعرفة ذكرها فاندايك<sup>1</sup>: \*معرفة العالم الذي تؤول فيه العبارة، \*معرفة المقامات المتنوعة للسياق \*معرفة اللغة المستعملة (قواعد في الاستعمالات والمواضعة على الفعل المشترك الإنجاز)

وتحليل النصوص يستوجب في نظره توسيع النحو بإضافة مستوى ثالث هو المستوى التداولي، يهتم بالفعل الكلامي وبالسياق التواصلي الذي ينجز فيه والآثار المترتبة عليه لتحقيق القدرة التواصلية، فهناك ثلاثة مستويات لتحليل النصوص: نحو ودلالة وتداول.

### النموذج الثالث: التحليل التوليدي للنص عند بتوفي (S.J.Petofi)

يطلق عليه أيضا التحليل النحوي-الدلالي للنص، لأنه أقرب للنحو منه للدلالة، ويميز حسن سعيد بحيري بين هذا النموذج و نموذج فان دايك في نقطتين مهمتين:

- "نموذج بتوفي نحوي في المقام الأول حيث يبدأ الوصف عنده من البنية النحوية ليصل إلى تحديد البنية الدلالية، بخلاف نموذج فاندايك الذي ينطلق من التفسير الدلالي ليصل إلى التفسير النحوي.
- بتوفي لا يفرق بين بنية كبرى وبنية صغرى كما هو الحال لدى فاندايك، حيث عدت الأولى دلالية مجردة والثانية نحوية فعلية، وإنما يقابل بتوفي بين بنية أفقية وهي بنية نحوية فعلية وبنية عليا هي بنية دلالية مجردة كما سيأتي بيانه<sup>2</sup>.

كان اهتمام جانوس بتوفي منصباً على نحو تشومسكي ونحو أصحاب الدلالة التوليدية<sup>3</sup> في دراسة كفاءة المتحدثين والمستمعين من خلال إنتاج الجمل وتلقيها، بتوفي يرى النص جملة، لأن العملية التواصلية تتم بين متحدث ومستمع، ومن خلال تتبعه لتطورات نحو الجملة عامة وجد أن ثمة اختلافاً بين النحويين في إدراج المكون الدلالي لتفسير الجمل، حيث كان يراه تشومسكي مكوناً ثانوي إلى جانب المكون الصوتي، ويبقى النحو أساس التحليل، فيتم توليد البنية التحويلية أولاً ثم يقدم التفسير الدلالي، في حين يذهب أصحاب الدلالة التوليدية إلى أن المكون الدلالي في نفس الدرجة والأهمية مع النحو لذا فالتمثيل النحوي والدلالي للتراكيب يقع على مستوى البنية العميقة والبنية السطحية معاً.

حاول بتوفي أن يؤسس نحواً للنص، فسميت نظريته ببنية النص/بنية العالم، و وصف نموذجه بالمعقد بدرجة كبيرة، حيث تضمن مكونات مبنية على قواعد المنطق الرياضي وأسس فلسفية ومعرفية وعناصر تداولية، محاولاً إبراز التفاعل بين بنية النص والعوالم المحتملة من خلال عناصر التواصل الجوهرية الثلاثة وهي

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع السابق-النص والسياق، ص260

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص265.

\* أصحاب مدرسة الدلالات التوليدية و هم: مكولي(1976)، لبيكوف(1970)، كوك(1980)، جاكندوف(1972)، احتجوا بأن البنية العميقة في نموذج تشومسكي لا تستطيع ضبط الاختلافات الدلالية في التراكيب المنفية و المبنية للمجهول، و اقترحت مناهج للجوانب الدلالية فنجد المنهج العلائقي الدلالي<sup>3</sup>(جاكندوف) والمنهج الدلالي التصنيفي (كوك 1979)

المنتج والنص والمتلقي، اكتشف بتوفى هو الآخر أن بعض الظواهر اللغوية لا توصف إلا في إطار أوسع من الجملة مثل مسألة التحويل إلى ضمير، والعلاقة (موضوع/محمول)

تتم عملية الوصف النحوي-الدلالي للنص من خلال عمليتين: هما عملية تأليف النص وتكوينه، وعملية تفكيكه أو تحليله، ويشكل المعجم مكونا حيويا مهما في نموذج، فهو يؤدي وظيفة قاموس ثنائي اللغة، أي الوحدات الخاصة بعملية التأليف والوحدات المستعملة في عملية التفكيك.

### النموذج الرابع: التحليل الإجرائي للنصوص ل(دي بوجراند):

لقد أقام ديوجراند نموذجه النصي بدع الاطلاع الواسع على النماذج التي سبقته وكذا المفاهيم التي أثارها الباحثون خلال فترة السبعينيات، فرأى أنه يغلب عليها الطابع النحوي فيرى أن "آخر صورة تصوّرها بتوفى 1979، تشتمل على شبكة من المكونات مثل: المعجم، لغة التعيد، اللغة الطبيعية، والوصف، والتفسير، والصوغ، والتركيب، والتحويل، والتمثيل"<sup>1</sup>، وأنّ بناء نموذج عالم النص يشترك فيه طرفا الاتصال مرسل النص ومستقبله، وبالتالي يكون قد أغفل أن الغاية من النصوص هو تحقيق الكفاءة التواصلية، لذلك يقدّم نموذجا نصيا تجريدي قائم على علم اللغة الإدراكي، وبهذا فهو يتفق مع فاندايك في أن علم لغة النص متداخل في الاختصاصات مع علوم أخرى تساهم في نجاح وظيفته المتمثلة في دراسة بنية النصوص، ويرى أن بناء نموذج عالم النص يكون عن طريق تفاعل مجموعة المفاهيم المختزنة في ذهن مستعمل اللغة مع مجموعة المفاهيم والوقائع والعلاقات المدرجة على مستوى سطح النص، فيكون الوصف والتحليل في نموذجه الإجرائي مركز على أطراف التواصل الثلاثة: المرسل والنص والمستقبل، وأهم شيء يهتم به هو تحقيق القدرة التواصلية، و من المفاهيم التي جاءت في نموذجه

### 1- التعلق أو الربط الإجرائي (procedural attachment)<sup>2</sup>

لقد تبني ديوجراند فكرة التعلق الإجرائي عن بوپروف و فينوغراند، حيث "تقوم هذه الفكرة على آليات مزوجة الأنماط التي تتحرى قيام ملاءمة معقولة بين المواد المخزونة والمواد الحالية"، فيقصد بها استخدام المخزون المعرفي الذي تحتفظ به الذاكرة عبر الزمن حسبما يقتضيه الموقف التواصلية، ومن أجل تفسير وفهم هذا التعلق الإجرائي سواء من جانب منتج النص أو من جهة مستقبله، يقترح ديوجراند أسلوبان لتمثيل عمل الدماغ البشري في عملية الفهم أو الإفهام، الأول يكون بالمعالجة الآلية للمعلومات على مستوى الحاسب الآلي وهذا يدخل ضمن مجال الذكاء الاصطناعي والأسلوب الثاني توظيف مباحث علم النفس

<sup>1</sup> روبرت دي بوجراند، المرجع السابق، ص 114

<sup>2</sup> روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص 201

المعرفى الذي يدرس العمليات الذهنية التي تعمل على اكتساب المعرفة وتخزينها واسترجاعها واستخدامها في جميع الوضعيات والمواقف التواصلية بنجاح.

### 2- استراتيجيات الإنتاج والتلقي:

يميز ديوجراندي بين الاستراتيجية التي ينتهجها منتج النص في تشكل نصه، حيث ذكر أن ذلك يتم عبر مراحل سّمّاها بالأطوار، لا تخضع بالضرورة لعامل الزمن والتوالي في ظهورها وتكوّنها، فهي تتصف بالتداخل التفاعلي فيما بينها " وهذه الأطوار: هي التخطيط والتصوير والتطوير والتعبير والتشكيل النحوي"<sup>1</sup>، أما الأطوار الأربعة الأولى فتمثل مجموع الإجراءات التي يقوم بها المنتج على مستوى الذهن بتفعيل مختلف القدرات الذهنية والعمليات الإدراكية والعقلية - أنعم الله بها على البشر- في استحضار واستثارة المفاهيم والعلاقات المتعلقة بتجربته الشخصية ومعرفته الخلفية بهدف إنتاج الأفكار وتنظيمها وترتيبها وهنا يتدخل مبدأ القصدية بصورة تلقائية، فتظهر على سطح النص (التشكيل النحوي) نية المنتج وقصده أثناء عملية التلقي، لأنه لا وجود للنص إلا بفعل القراءة.

في المقابل يفترض ديوجراندي أن المتلقي هو الآخر يعتمد نفس الأطوار لكن بطريقة عكسية ودينامية، مبتدءاً بالتشكيل النحوي الذي يظهر على السطح، ومنه ينفذ إلى المستوى الداخلي بما يتضمنه من علاقات بين جملة، حتى يكشف عن مقاصد المنتج وهنا يظهر عمل الذاكرة لدى المتلقي، بحيث يؤكد ديوجراندي ودرسلر على "غلبة الاحتفاظ ببنى السطح في مواقع التخزين القصير الأمد والاحتفاظ بالمحتوى التصوري في مواقع التخزين الطويل الأمد"<sup>2</sup> ليتحقق التواصل.

### 3- مفهوم النصية:

ظهر مفهوم النصية مع ديوجراندي وهي خاصية تميز النص عن غيره من التتابعات لجمل منعزلة، والنصية يقصد بها صاحبها أن النص يظهر نوعاً من الترابط أو التماسك بين أجزائه فيكون أشبه بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لا ترى فجوة بين لبناته، فالنص من وجهة نظر المؤلف لا يمتحننا غير الترابطات إن على مستوى البنية السطحية للنص ويسميه الترابط الرصفي وإن على مستوى البنية التحتية للنص ويسميه الترابط المفهومي لأنه يتعلق بالمعنى.

والنصية لا تشترط لتحقيقها حجماً محدداً من الجمل في النصوص، لأن النص قد يكون مجموعة من الجمل وقد يكون كلمة وقد يكون علامة أخرى غير لسانية كلوحة إخبارية ولكن النصية موجودة حينما

<sup>1</sup> ديوجراندي و دريسلر ، المرجع نفسه، ص66

<sup>2</sup> ديوجراندي و دريسلر، المرجع نفسه، ص71

تحقق النصوص التواصل بنجاح بين المتخاطبين (باث وملتق)، فيرى دي بوجراندي أن الصفة المميزة للنص هو وقوعه في الاتصال، كلما كان موضوع النص أو الخطاب يدخل ضمن المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب انعكس ذلك على البنية التعبيرية السطحية بحيث يغلب عليها الاقتضاب بواسطة الحذف أو الاختزال باللجوء مثلا لاستعمال الألفاظ الكنائية، أما في حالة انعدام المعرفة المشتركة للموضوع بين الطرفين أو في حالة وقوع اللبس أو سوء فهم من جانب المتلقي، يحتاج المتكلم إلى تقديم شروحات وتفسيرات من أجل إفهام المتلقي أو المخاطب بمقصده، ويكون بذلك النص قد حقق نصيته.

من جهة أخرى يرى ديوجراندي إلى أن اختلاف القراء في فهم النص الواحد لا يفقد النص خاصيته النصية، بل على العكس من ذلك، متى تم الفهم والإفهام والوصول إلى دلالة معينة، كان ذلك علامة على وجود الترابط بنوعيه.

### النموذج الخامس: أسس النظرية النصية عند جان ميشال آدم:

لقد عرضت الباحثة خولة طالب الأبراهيمي لمقترحات اللغوي الفرنسي جان ميشال آدم بشأن المبادئ التي تقوم عليها النظرية النصية، والتي تكون محلا لكل تحليل لساني ومن هذه المبادئ<sup>1</sup>:

**1- الطبيعة النصية لممارساتنا الكلامية أو الخطابية:** فالتواصل بين المتخاطبين لا يتم إلا عبر نصوص منطوقة أو مكتوبة، وهو أمر تعبر عنه الملكة النصية للمستمع المتكلم، وكما أن المعرفة المشتركة بين المتخاطبين ويسمىها جان آدم الفضاءات الذهنية، تساهم في تدعيم هذه الممارسات الكلامية فيسهل التواصل اللغوي بين أطرافه.

**2- النصية شروطها وقوامها الترابط والاتساق والانسجام:** لقد أجمع علماء النص على أن النصوص تتصف بالاتساق النحوي والانسجام الدلالي فهما وجهان لعملة واحدة، فالأول يخص المبنى عن طريق ربط المتواليات الجمالية بمختلف الوسائل النحوية كاستخدام الروابط والإحالة والحذف والتكرار وغيرها، والثاني يخص المعنى، بحيث تؤدي مختلف العلاقات المعنوية في النص وظائفها الدلالية تبعا للسياق التواصلية وكذا البعد التداولي لتكشف عن محتوى النص.

**3- ضرورة التمييز بين نصية محلية ونصية عامة:** فالتحليل النصي يتباين من نص لآخر حسب اللغة التي كتب بها النص ونوعه، فكل لغة خصائص لسانية تميزها عن غيرها، رغم أن علماء النص يحاولون إيجاد قواعد، وآليات كلية وعامة تطبق على جميع النصوص، وتبقى مظاهر الترابط والتماسك تختلف من نص

<sup>1</sup> ينظر: خولة طالب الأبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص 168



لآخر، فالنص العربي يختلف عن النصوص الأجنبية، إذ يتضمن أدوات تماسك نحوية ودلالية وسياق يشترك فيها مع جميع النصوص كالإحالة والحذف، فهذه نصية عامة، وله آليات أخرى يختص بها تحقق نصيته محليا.

### ❖ خاتمة الفصل التمهيدي:

حاولت في هذا الفصل أن أستجمع المفاهيم الكبرى والمتعلقة بنظرية النص اللسانية، هذه النظرية التي تمثل نموذجا إرشاديا بمفهوم توماس كوين في كتابه بنية الثورات العلمية، فنظرية النص نموذج لساني دعت إليه الثورة العلمية ليحل محلّ لسانيات الجملة، بعدما أصبحت نماذج نحو الجملة قاصرة في وصفها للغة بالمنهج الذي اتبعته، فلقد ركزت على الجملة واعتبرتها أكبر وحدة لغوية في التحليل اللساني متناسية الغاية الأساسية من اللغة وهي التواصل.

فأول ما انطلق منه هذا البحث هو بيان الفروق التي تفصل نحو الجملة عن نحو النص، وهذا للكشف عن عدم كفاية نماذج نحو الجملة في وصفها للغة وابتعادها عن الهدف الرئيسي من استعمال اللغة وهو التواصل والتبليغ، فمن المآخذ التي حملت على نحو الجملة، أن الكلام بين البشر يتم عبر نصوص وليس جملا منعزلة، كما أن تبليغ جملة واحدة يكون بطرق مختلفة تبعا لعوامل تظهرها عناصر التواصل من باث وملتق وهذا ما يجعل دراسة الجملة منعزلة لا يعطي للتواصل قيمته الحقيقية، لأنه يعزل الجملة عن عوامل كثيرة تدخل في وصفها وتفسيرها خاصة المجتمع الذي تتحرك فيه، وعوامل أخرى تتعلق بالمتكلم والمتلقي.

إنّ البحث في ماهية نحو النص سواء ما تعلق بالمصطلح أم بالمفهوم، فقد اتضح أن الكتابات المترجمة هي التي تروي ظمأ الباحث -عندما لا يتسنى له قراءة الكتب باللغة المصدر لعدم معرفته باللغة، أو عدم توفر المادة الأصلية- لأن هذا العلم ليس عربي المنشأ، فهو وليد مدارس لسانية أوروبية وأمريكية وقد ظهر بتسميات مختلفة حتى أنه طرح هذا التعدد إشكالية في المصطلح، لكن يبقى المفهوم واحد وهو علم يدرس الأبنية النصية ويبحث في تماسكها النحوي والدلالي والتداولي ووظيفتها في تحقيق التواصل اللغوي بين أطرافه، كما أنه علم متداخل الاختصاصات مع علوم أخرى تساهم في أداء وظائفه.

حرص الباحثون الغرب في هذا العلم على الاشتغال بالنص واعتبروه أكبر وحدة للتحليل الألسني، فبحثوا في أنواع النصوص لتحديد هويته، وقد عرضت لمعاني النص في المعاجم الغربية والعربية، ثم وقفت على دلالاته الاصطلاحية عند من درسوا النصوص وهم على التوالي: علماء الأصول، واللسانيين الغرب ثم العرب المحدثين في مختلف كتاباتهم وكيف ظهر اتجاه كل باحث من تعريفه للنص بين الاتجاه الدلالي والتداولي والاتصالي والسيميولوجي واللينوي، وفي هذه الجزئية تبين أن التراث العربي البلاغي والأصولي كان له قصب السبق في الحوض والكلام بشأن النصوص وهذا من خلال اعتكافهم على تدارس القرآن الكريم فكان



مصدر قوتهم وبلاغتهم وحجاجهم، فأظهروا الإبداع في مؤلفاتهم حول مفهوم النص وأنواعه ووظائفه وخصائصه لفظا ومعنا، وقضية البناء النصي شكلا ومضمونا وتأويلا ومظاهر التماسك النصي، وخصوصيات التعبير القرآني، وكلام يطول ولا ينتهي حول النص القرآني فكلماته لا تنفذ.

إن مسألة تحديد مفهوم للنص صعبة للغاية لكثرة ما قيل حوله، الأمر الذي قاد الباحثين فيه إلى الكلام حول علاقة النص بمصطلح الخطاب وانقسموا إلى اتجاهين، الأول يعتبر النص والخطاب مصطلحان لمفهوم واحد، والثاني ميز بينهما، والاختلاف بالرأي دلالة على عمق النظر في التحليل.

لقد أثبتت النظرية النصية وجودها ودورها الهام والإيجابي في دراسة التواصل اللغوي وفي مساندة متطلبات هذا التواصل برسم قواعده وشروطه وإدخال عوامل غير لسانية ترتبط به، فلقد أطلق المخصصون في بناء النظرية العنان لأفكارهم فصنعوا نماذج لوصف النصوص وتحليلها فأقاموا علما جديدا هو لسانيات النص له مصطلحاته ومفاهيمه ومنهجه ومبادئه وأسس وقواعده التي تجعله علما لسانيا بامتياز.

# الفصل الأول

## جهود علماء العربية في تحليل النص القرآني والتأسيس لنظرية نصية

- 1- مناهج البحث في النص القرآني قبل ظهور نظرية النظم.
- 2- الدراسات البلاغية و البيانية المؤثرة في الفكر البلاغي لعبد القاهر الجرجاني
- 3- مفاهيم نحو النص في نظرية النظم للجرجاني
- 4- التحليل النصي للنص القرآني عند الزمخشري

كان لظهور القرآن الكريم في حياة العرب ثورة علمية، وفكراً جديداً، ومنهجاً مختلفاً في العقيدة والحياة، وقد اشتغل العرب والعجم في معرفته، شكلاً ومضموناً، فأدهشهم نظمه قبل مضمونه، وأولهم الشعراء فراحوا يتحدثونه بكلام لا يسمن ولا يغني من جوع، وكثير كلام النحاة والنقاد والبلاغيين والمفسرين والأصوليين وغيرهم عن إعجاز القرآن الكريم بالإجماع، فسلك كل اتجاه منهجاً يثبت من خلاله تفرد القرآن الكريم من جهة نظمه وتأليفه، فوجدوا أنفسهم يبحثون في مسائل لغوية تتجاوز الجملة وتعلق بمصير متواليات جمالية حين اكتشفوا البناء اللغوي المتين والمتناسك بين آياته وسوره.

### المبحث الأول: مناهج البحث في النص القرآني قبل ظهور نظرية النظم

لقد بدأ الاهتمام بأساليب التعبير القرآني منذ أواخر القرن الثاني للهجرة، بسبب التأثير الشديد والعميق لهذا النص في نفوس العرب، بما جاء فيه من سحر في البيان، وأسرار في الكلام، وغريب في الألفاظ وصدق في المعاني، وتنوع مواضعه بين التشريع والقصص والإخبار عن الغيبات، فكان العرب أقدر الناس على قراءته وفهمه وإدراك مظاهر الإعجاز فيه، لكونه جاء بلسانهم.

### منهج التعامل الأولي مع النص القرآني:

كانت البدايات الأولى من الاهتمام بالنص القرآني في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ثم الصحابة رضوان الله عليهم تقتصر على تفسير الآيات والسور، وقد كان الصحابة يتخرجون من الخوض في القرآن الكريم بالشرح والتفسير مهابة ومحافة هذا النص المقدس، لأنه ليس من كلام البشر، ومن ذلك ما أخرجه أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَفَلَكُمَّ آبَاءٌ ﴾ عيس 31، فقال: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"<sup>1</sup>، بينما نجد ابن عباس رضي الله عنهما يفسر القرآن الكريم ويستند على كلام العرب من الشعر، ثم انتشرت مدارس التفسير.

### مراحل الدرس القرآني عند محمد زغلول سلام:

لقد صنف الباحث محمد زغلول سلام الدراسات التي اشتغلت بالدرس القرآني تفسيراً ولغة ونحواً وبلاغة وإعجازاً إلى ثلاثة جداول<sup>2</sup>، ويقصد بها المراحل التاريخية لتطور البحث في الدرس القرآني من خلال ما صدر من كتب وأبحاث نظرية وتطبيقية.

<sup>1</sup> محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، ط1، ص 31

<sup>2</sup> ينظر: محمد زغلول سلام، المرجع نفسه ص 36

تدخل ضمن تخصص علوم القرآن، حيث اعتمدت الدراسات على المنهج التفسيري كما أصلوا له حيث اعتمدوا على تفسير القرآن بالقرآن، فقد جاء في كتب علماء الأصول مقولة مشهورة " فأحسن الطرق التفسير، أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فصل في موضع آخر وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في " <sup>1</sup> ثم التفسير بالاستناد لأحاديث رسول الله ﷺ، ثم بأقوال الصحابة، ثم التابعين محترمين هذا التدرج في السند، واشتهر في هذه الفترة تفسير الطبري

### الجدول الثاني: مرحلة الدراسات النحوية و اللغوية

فتناول أهل اللغة والنحو ألفاظ القرآن ومعانيها بالبحث والتحقيق والكشف عن أسرارها خاصة غريب الألفاظ، واستندوا لأجل ذلك على معهود العرب في كلامها فكانت لهم خرجات ميدانية للبادية والإمام باللهجات المختلفة للقبائل العربية وجمعوا الشواهد لحفظ اللغة، والملاحظ في كتاباتهم هو اتخاذهم عناوين مشتركة، إذ نجد "معاني القرآن" عند كل من الكسائي والأخفش وأبو جعفر الرعاسي والنضر بن شميل والمازني والفراء والزجاج وأبو علي الفارسي وأبو جعفر النحاس وقطرب، ونجد "ألفاظ القرآن" عند أبو عبيدة، والدوسي وابن قتيبة، واليزيدي ومُجَّد بن سلام الجمحي وأبو عبد الله بن عرفة، إضافة إلى كتابات أخرى متعلقة بجوانب أخرى في لغة القرآن، ومن الدراسات اللغوية المتقدمة والمتطورة في لغة القرآن، مجاز القرآن ل(أبي عبيدة)، ومشكل القرآن (ابن قتيبة)

### الجدول الثالث:

بدأ الدرس اللغوي عهدا جديدا وتمييزا من خلال قراءتهم لنصوص القرآن وإعجابهم الشديد بسحر بيانه وبديع نظمه وتأليفه، فكانت نصوصه كالبيان المرصوص، وعنوا بالقضايا البلاغية عناية فائقة كشفت عن أسرار الإعجاز في هذه النصوص حين قارنته بأساليب العرب وفنونها في القول، واشتهرت هذه الفترة كتابات حول الإعجاز البلاغي للقرآن والكثير منها حمل عنوان إعجاز القرآن عند كل من: مُجَّد بن يزيد الواسطي، وعلي بن عيسى الرماني، حمد بن مُجَّد بن ابراهيم الخطابي، وأبو بكر بن الطيب الباقلائي، كما لا يخف على أحد الدور الذي قام به المعتزلة في الإشهار لقضية الإعجاز في القرآن وانقسامهم بين القول بالصرف من عطاء بن واصل النظام وبين إظهار لأسرار الإعجاز في القرآن.

### المبحث الثاني: الدراسات البلاغية و البيانية المؤثرة في فكر البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني

<sup>1</sup> عبد القادر الحسين، معايير القول والرد لتفسير النص القرآني، دار الوثقائي للدراسات القرآنية، دمشق، ط2، 2012، ص578.

لم تكن نظرية النظم وليد العدم فقد شغلت بال النحاة والنقاد وأهل البلاغة فنجد سيبويه يصنف الكلام إلى أقسام بالنظر إلى موقع الألفاظ واتصالها بالمعاني فيقول: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن، ومحال، و مستقيم كذب، و مستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيتك غدا. وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بأخره فتقول: أتيتك غدا و سأتيتك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكبي زيدا يأتيتك، وأشبهه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"<sup>1</sup>.

واعتمد عبد القاهر الجرجاني وهو يصوغ نظريته في النظم على الجهود الفكرية لسابقيه، نذكر منهم الجاحظ والخطابي والرماني والواسطي، القاضي عبد الجبار، حيث بحثوا في أساليب الكلام المختلفة، خاصة وجوه الإعجاز القرآني وفي البلاغة القرآنية فأثبتوا تميزها وتفردتها عن باقي الخطابات العربية من الشعر أو النثر.

### 1-النظم عند الجاحظ:

يشهد للجاحظ رصيده العلمي الغزير من خلال ما قدمه من كتب تنوعت بين الأدب والنقد والبلاغة والإعجاز القرآن، كان سليلط اللسان ضد كل نتاج أدبي رديء لا يتوافق مع مقاييس البلاغة والذوق الأدبي العربي الراقى، خاصة مع اختلاط العرب بالعجم، وقد كان معروفا بمذهبه النقدي في مناصرة اللفظ على حساب المعنى في الشعر، يقول الجاحظ: "فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"<sup>2</sup>، وهذا لا يعن أنه يقلل من شأن المعاني حين يراها مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي بل المعاني مرتبطة بالألفاظ وتتحقق في طريقة النظم فالشعر كان صنعة العرب وديوانهم الذي يروي حياتهم وأمجادهم ومفاخراتهم وأنسابهم وحروبهم وغزاهم وحكمهم وهجاءهم ورتاءهم وأيامهم و...، فنجد قطعة من الشعر تصور في مخيلة شاعرها أو متلقيها لوحة فنية، فالشعر صناعة بالألفاظ الشريفة لتدل على المعاني الراقية، وتحدث عن نظم الشعر، قال: "أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفرغا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"، وقد سار على مذهبه الكثيرون مثل ابن بشر الأمدي وابن رشيق وأبي هلال العسكري، يقول الأمدي: "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ... أن الخطب الراقية والأشعار الراقية، ما عملت لإفهام المعاني فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنما يدل حسن الكلام وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه وجودة

<sup>1</sup> سيبويه عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (دط)، (طت)، ص 8.

<sup>2</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: فوزي عطوي، مكتبة محمد حسين النوري، دمشق، ج 3، ط 1، 1968، ص 132.

مطالعه وحسن مقاطعه وبديع مباديه، وغريب معانيه- على فضل قائله و فهم منشييه، وأكثر هذه الأوصاف ترجع إلى الألفاظ دون المعاني...ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة ، والخطيب في الخطبة، والشاعر في القصيدة...بيالغون في تجويدها ويغلون في ترتيبها، ليدلوا على براعتهم وحنقهم بصناعتهم ... ولو كان الأمر في المعاني لطحوا أكثر ذلك فربحوا كذا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً..<sup>1</sup>

وقد كتب الجاحظ في الإعجاز القرآني كتاباً سماه "نظم القرآن" غير أنه مفقود بإجماع العلماء فيذكر الخياط المعتزلي عن الكتاب: "ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم على نبوته غير كتاب الجاحظ"، وقال أيضاً: "فمن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة وكتابه في الإخبار وإثبات النبوة وكتابه في نظم القرآن، علم أن له في الإسلام غناء عظيماً لم يكن الله عز وجل ليضيعه له".<sup>2</sup>

إن براعة الجاحظ في التمييز بين الكلام الجيد البليغ عن الكلام الرديء، لن تنقصه البراعة في تمييز البلاغة القرآنية عن غيرها من الخطابات والكلام ، وينزلها المكانة التي تليق بها، يقول الجاحظ: "إن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة ليتبين له في نظامها ومخرجها ، وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه وليس في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين، ألا ترى أن الناس يتهياً في طباعهم ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم (الحمد لله) و(إنا لله) و(على الله توكلنا) و(ربنا الله) و(حسبنا الله و نعم الوكيل)، وهذا كله في القرآن غير أنه متفرق غير مجتمع، ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان"<sup>3</sup> فكان القرن الثالث للهجرة بداية الخوض في المباحث البلاغية لقضية الإعجاز القرآني حيث بدأ التأليف في غريب ألفاظ ومفردات القرآن.

## 2-النظم في كتاب النكت في إعجاز القرآن للرماني:

يميل الرماني إلى الفكر الاعتزالي فهو ينطلق من الدال ليصل إلى المدلول ولا يختلف عن الجاحظ، ويعرف البلاغة أنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" وبعدهما يقسم البلاغة إلى ثلاث طبقات يجعل بلاغة القرآن الكريم هي أعلى مراتبها، فلم يستطع أحد أن ينظم مثل ما جاء في القرآن من أساليب الكلام لذلك اشتغلت به العقول والأفهام من أهل البلاغة والبيان، فأظهرت إعجازه من وجوه عدة

<sup>1</sup> أبو هلال العسكري، في الصناعتين الكتابية و الشعر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981، ص 57.

<sup>2</sup> حاتم الضامن، نظرية النظم تاريخ و تطور، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979، د.ب.ط، ص12.

<sup>3</sup> أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2010، ص22

يحصرها الرماني في سبع جهات: "ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة".<sup>1</sup>

إن دراسته العميقة لبلاغة القرآن الكريم كانت مثمرة وله فيها وجهة رأي صائبة ونظرة ثاقبة، فقد ميز الرماني بين نوعين من الدلالة وهما دلالة الأسماء والصفات، ودلالة التأليف، فيرى أن الأولى متناهية ومحدودة، بينما الدلالة الثانية فيصفها كونها غير متناهية وتستمر في إنتاج الدلالة يقول الرماني: "وحسن البيان في الكلام على مراتب، فأعلاه مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرهان، والبيان في الكلام لا يخلو من أن يكون باسم أو صفة أو تأليف من غير اسم للمعنى أو صفة كقولك "غلام زيد"، فهذا التأليف يدل على الملك من غير ذكر له باسم أو صفة كقولك قاتل تدل على مقتول وقتل من غير ذكر اسم أو صفة لواحد منهما، ولكن المعنى مضمن بالصفة المشتقة، وإن لم يكن له صفته، ودلالة الأسماء والصفات متناهية، فأما دلالة التأليف فليس لها نهاية، ولهذا صح التحدي فيها بالمعارضة ليظهر المعجزة"<sup>2</sup>

ويشبه الرماني دلالة التأليف في القرآن بالعدد في كونه لا يصل إلى نهاية، وهنا يكمن حسن البيان وتظهر الميزة في النظم وحسن التأليف في الألفاظ على طريقة مخصوصة تؤثر في نفس المتلقي وفهمه وتفاعله مع النص القرآني، ويورد الرماني آيات من القرآن يبين من خلالها دلالة التأليف وأثرها في بلاغة هذا النص، قال تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْبُونَ ﴿١٤﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ السدخان [25، 26]، فهذا بيان عجيب يوجب التحذير و الاغترار بالإمهال، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ السدخان [40] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ السدخان [51]، فهذا من أحسن الوعد والوعيد، وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس [78، 79]، فهذا أبلغ ما يكون من الحجاج"، وقال تعالى: ﴿ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزخرف [67]، وهذا أشد ما يكون له من التنفير عن الخلة إلا على التقوى، وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة ق [19-22]، وهذا أبلغ ما يكون من التذكير.

<sup>1</sup> أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله أحمد و محمد زغول سلامة، دار المعارف مصر، ط1976، 3، ص 109

<sup>2</sup> أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، المرجع نفسه، ص107

وبهذا فإن الألفاظ المنعزلة عن التركيب لا تجزئ فيها المعارضة ولا يظهر فيها الإعجاز، بل اللفظة تستمد حسنها وجمالها وتأثيرها في النفس من خلال توقعها المناسب بحسن جوارها مع ما قبلها ومع ما بعدها، حيث تنشأ مجموعة من العلاقات بين الألفاظ سواء على مستوى الأفقي بسبب تراصها في المستوى النحوي وفي الجهة الأخرى أي المستوى الرأسي حيث تظهر المعاني متدفقة من غير حد، وهذا المجهود الفكري الذي توصل إليه الرماني لاق قبولاً و مكاناً له في تصور الجرجاني، يقول سعيد حسن بحيري: "إن فكرة دلالة التأليف غير المتناهية التي جاء بها الرماني أثرت في وضوح تصور الجرجاني وعمقه حول دور العلاقات في تشكيل القيم."<sup>1</sup>

### 3-النظم في كتاب بيان إعجاز القرآن للخطابي:

يقول الخطابي في بيان إعجاز القرآن: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، ولا أشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي في أعلى درجات الفضل في نعوتها"<sup>2</sup>، لقد تحول الخطاب من الكلام عن البلاغة العربية إلى وصف بلاغة النص القرآني، حيث جعله في أعلى مراتب الكلام، حيث أن طريقة نظمه مخصوصة جمعت بين شرف الألفاظ وفصاحتها، وجزالتها وتوقعها وبين دقة المعاني وتطورها، فكان النظم لديه حسن التأليف وشدة التلاؤم والتشاكل بين اللفظ والمعنى، ولا يدرك ذلك إلا أهل البلاغة والبيان فأدركوا إعجاز القرآن البلاغي.

يذهب الخطابي أن هناك من طعنوا في النظم القرآني حين قالوا: وقد يدخل بين الكلامين ما ليس من جنسهما ولا قبيلهما، نحو قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٧﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٨﴾ لَا تُحْرِكُهُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٩﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٣﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٤﴾﴾ القيامة [14-21]، حيث اعتبروا أن الآيات 16 و 17 و 18 و 19 تخل بالنظم فلا تتوافق مع ما قبلها أو مع ما تلاها من الآيات وهذا أمر يجافي أصول الكلام والخطاب عند أهل اللغة والبيان، فيكون النص القرآني مفتقداً للتماسك والترابط سواء على المستوى النحوي أو الدلالي.

رداً على هذا الافتراء يقول الخطابي: "هذا عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره في قوله تعالى لَا تُحْرِكُهُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٩﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٢٢﴾، لم يجوز تركه ولا تأخيره عن وقته كقولك

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية و تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص 180  
<sup>2</sup> أبو سليمان الخطابي، ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلامة، دار المعارف مصر، ط3، 1976، ص 27



للرجل وأنت تحدّثه بحديث فيشتغل عنك، ويقبل على شيء آخر، أقبل على واسمع ما أقول وافهم عني، ونحو هذا من الكلام، ثم تصل حديثك ولا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول قاطعاً له، إنما تكون به مستوصلاً للكلام مستعيداً له، وكان رسول الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا نزل الوحي وسمع القرآن حرك لسانه يستذكر به، فقيل له: تفهم ما يوحى إليك، ولا تتقلبه بلسانك، فإننا نجمعه لك ونحفظه عليك، وقد روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: "لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ" <sup>1</sup> " كان يحرك لسانه مخافة أن يتفلسف منه" إن الخطابي يدافع عن الوحدة البنائية للنص القرآني بمنطق أهل البلاغة والبيان فقد أثبت أن هذا النص المعجز لم يخرج عن معهود العرب في كلامها، فعملية التواصل بين المخاطب والمتلقي لا تتحقق بسهولة إذ يراعى حال المتلقي ومدى انتباهه واهتمامه بالخطاب والمرسل المكلف بالوحي، فهي عناصر تواصلية تميز الخطاب القرآني، ورسولنا الكريم كان على درجة من الاهتمام للوحي المنزل بلغت به أن يتلقفه معنى ومبنى، من حيث أنه سيكون مبلغاً لهذا القرآن في المرحلة الجديدة لعملية التواصل مع المكلفين بتعاليم القرآن، ففي قوله تعالى: "لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ" <sup>2</sup> إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ <sup>3</sup> فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ <sup>4</sup> ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ <sup>5</sup> خلق لنوع من الاستقرار النفسي للنبي الكريم وجعل حالة تلقيه للنص القرآني تتم بطريقة ناجحة، وذلك يدخل ضمن الاستراتيجية التوجيهية للخطاب، وليس كلاماً حشواً للنظم القرآني.

#### 4- النظم في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني:

يذكر أبو بكر محمد بن الطيب الباقلااني أن الدراسات التي سبقتها في الكتابة عن إعجاز القرآن ترى الإعجاز من ثلاثة وجوه: "وجه أول: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه.

وجه ثان: في أن النبي صل الله عليه و سلم كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴾ <sup>[48]</sup> العنكبوت

وجه ثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متنه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه" <sup>2</sup>، ويفصل الباقلااني في هذا الوجه الأخير والذي يهيم البحث، حيث ذكر مجموعة من المعاني تتعلق بتفرد النظم القرآني عن كلام العرب رغم أنه نزل بلسانهم، وقد نقلها أحمد صقر عن الباقلااني كما يلي: "فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه:

<sup>1</sup> أبو سليمان الخطابي، المرجع نفسه، ص 40 و 51

<sup>2</sup> أبو بكر الباقلااني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 2، ص 49.

-منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد".

-ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر.. وهذا المعنى هو غير المعنى الأول، فتأمله تعرف الفصل.

-والمعنى الثالث: أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ويشتمل عليها وإنما هو على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا. وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه من وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف. وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة، تفاوتاً بينا، ويختلف اختلافاً كثيراً، ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة، وغاية البراعة، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر.<sup>1</sup>

-المعنى الرابع: أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بينا في الفصل والوصل والعلو والنزول، والتقريب والتباعد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه من القول عند الضم والجمع، وكذلك يختلف سبيل غيره عند الخروج من شيء إلى شيء، والتحول من باب إلى باب. والقرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة-يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد. وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف.

-والمعنى الخامس: أن نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا.

-والمعنى السادس: أن الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجاوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم- موجود في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع و البلاغة.

<sup>1</sup> أبو بكر الباقلائي، المرجع نفسه، ص69

- والمعنى السابع: أن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحد، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع.

- والمعنى الثامن: أن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع وتتشوق إليها النفوس، ويرى وجه رونقها باديا، غامرا سائر ما تقرن به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد. وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه، وواسطة عقده، والمنادى على نفسه بتميزه، وتخصه برونقه وجماله، واعتراضه في حسنه ومائه.

ولولا هذه التي بناها، لم يتحير في أهل الفصاحة، ولكانوا يفزعون إلى العمل للمقابلة، والتصنع للمعارضة... فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك - علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور، لعلمهم بعجزهم عنه، وقصور فصاحتهم دون.

- المعنى التاسع: أن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانية وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا، ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم.

- والمعنى العاشر: أنه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبا إلى الأفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مطمع مع قربه في نفسه، ولا موهم مع دنوه في موقعه - أن يقدر عليه، أو يظفر به.<sup>1</sup>

لم يختلف الباقلاني عن سابقه من علماء الإعجاز في بلاغة القرآن، حيث استخدم مصطلح النظم ويقصد به بديع التأليف والرصف وترتيب الخطاب، يقول في هذا الشأن: "ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما في نظمها وإحكام رصفها، وليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة، ومترتبة في الوجود وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات في السماء، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض"<sup>2</sup>، ويدل هذا الكلام أن الرصف لا يقتصر على تعلق الحروف بعضها ببعض داخل اللفظ، ولكن يكون الأمر

<sup>1</sup> أبو بكر الباقلاني، المرجع نفسه، ص 70 و 71

<sup>2</sup> أبو بكر الباقلاني، التمهيد، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، (دط)، 1957، ص 151.

كذلك مع الألفاظ داخل الآية، ومع الآيات داخل السورة، ومع السور داخل المصحف، فكل وضع بقصد بحيث يكون النص القرآني مترابطاً من حيث المبني.

كما أنه استخدم مفاهيم لسانية حديثة تخص علم النص، منها: وجوه الخطاب، أساليب الكلام، لكنه لم يصل إلى مفهوم واضح في قضية النظم كما فعل الجرجاني، ولم يحدد لنا المزية في أسلوب القرآن هل تعود للفظ أم للمعاني؟ وكيف يكون بديع التأليف وحسن الرصف لتظهر البلاغة القرآنية في أعلى مراتبها، أنظر مثلاً إلى تحليله البلاغي في قوله تعالى ﴿ فَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [96] الأنعام فيقول: "أنظر إلى هذه الكلمات الأربع -أي مقاطع الآية: فالق الإصباح، جعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسبنا، ذلك تقدير العزيز العليم، التي ألف بها، واحتج بها على ظهور قدرته ونفوذ أمره، أليس في كل كلمة منها في نفسها غرة، وبمفردها درة، وهو مع ذلك بين أنه يصدر عن علو الأمر، ونفاذ القهر، ويتجلى في بهجة القدرة، ويجمع السلاسة إلى الرصانة، والسلامة إلى المتانة، والرونق الصافي، ولست أقول شمل الإطباق المليح، والإيجاز اللطيف، والتعديل والتمثيل، والتقريب والتشكيل، وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه، لأن العجيب ما بينا من انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة، أو وجه قصيدة، أو فقرة، فإذا ألفت ازدادت حسناً وإحساناً، وزادت إذا تأملت معرفة وإيماناً"<sup>1</sup> رغم ما أظهره الباقلاني من روعة في الوصف على مستوى التنظير، إلا أن تحليله للآية لا يظهر العلاقات التي نتجت عن الرصف والضم والتأليف بين المقاطع حتى يتضح الترابط النصي، فيكشف عن مواطن الحسن في النظم.

يبدو أنه مهتم بإثبات الإعجاز من زاوية تنصرف إلى نفي كل ما قيل حول القرآن من أباطيل من خلال عقده فصولاً في كتابه الإعجاز تتعلق بالإخبار عن الغيبات وقصص الأولين ونفي الشعر ونفي السجع، ويرى نصر حامد أبوزيد أن الباقلاني يستند على دليل خارجي فربط الإعجاز بالتحدي "وقد تصور الباقلاني أن توجهه بالهدم على قصائد امرئ القيس والبحثري من شأنه أن يثبت له دعوى (الإعجاز) ومفارقة القرآن لكلام البشر، ولكنه لم يدرك أن مفارقة الإعجاز لا بد أن تستند إلى قوانين يمكن للبشر فهمها حتى تثبت دلالة النص على نبوة النبي، ويثبت العجز الذي صاحب التحدي، وهو مفهوم لا يكاد يختلف كثيراً عن مفهوم الصرفة"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار و أثره في الدراسات البلاغية، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف، (دط)، ص465.

<sup>2</sup> نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص152.

## 5- النظم في كتابات القاضي عبد الجبار:

لقد طرح القاضي عبد الجبار في حديثه عن البلاغة مجموعة من القضايا أهمها:

## 1/ الفصاحة :

أولى القاضي عبد الجبار المعتزلي الفصاحة عناية كبيرة بنظم النص القرآني والكلام عموماً يقول: "ولذلك لا يصح عندنا-يعني المعتزلة- أن يكون اختصاص القرآن بطريقة من النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ومتى قال القائل: وإني وإن اعتبرت طريقة النظم، فلا بد من اعتبار المزية في الفصاحة، فقد عاد إلى ما أردنا"<sup>1</sup> ويقدم القاضي عبد الجبار في بيان الفصاحة التي بها يفضل بعض الكلام على بعض في الجزء الخاص من كتابه بإعجاز القرآن، رأي شيخه أبي هاشم الجبائي: "إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً، فإذاً يجب أن يكون جامعاً لهذين الأمرين، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف، إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم واحداً، وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه، لأنه الذي يتبين في كل نظم وكل طريقة، وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء: يسبق إليه، ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء، فساويه في ذلك النظم، ومن يفضل عليه يفضل في ذلك النظم"<sup>2</sup>

وهنا أثير جدل حول بلاغة القرآن الكريم، فهل يستمد النص القرآني بلاغته من الفصاحة؟ أم من

النظم؟ أم من تأليفه على طريقة مخصوصة في النظم؟

أما أبو هشام الجبائي فيقصر بلاغة الخطاب أو النص على الفصاحة التي يفضل بها بعض الكلام على بعض، ويقصد بها جزالة اللفظ وحسن المعنى، ويستبعد النظم المخصوص الذي قال به الجاحظ المعتزلي والرماني والباقلاني وغيرهم، ويبرهن على صحة رأيه في تمييزه بين نثر الخطيب ونظم الشاعر وأن الفصاحة قد تتحقق في كلام الخطيب أكثر مما تكون في نظم الشاعر رغم طريقة هذا الأخير المخصوصة من حيث التزامه قواعد نظم الشعر (الوزن و البحر و القافية)، أما إذا كان الشأن بين أهل الصنعة (الشعر) فيحصل التفاضل بينهم على أساس الفصاحة من جزالة اللفظ وحسن المعنى.

و يضيف القاضي عبد الجبار على كلام شيخه الجبائي فيقول: "إن العادة لم تجر بأن يختص واحد بنظم دون غيره، فصارت الطرق التي عليها يقع نظم الكلام الفصيح معتادة، كما أن قدر الفصاحة معتاد، فلا بد من

<sup>1</sup> القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، الجزء 16، (دط)، (دت)، ص 196

<sup>2</sup> القاضي عبد الجبار، المرجع نفسه ص 197.

مزية فيهما، ولذلك لا يصح عندنا (يريد المعتزلة في عصره) أن يكون اختصاص القرآن بطريقة في النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ومتى قال القائل: إني وإن اعتبرت طريقة النظم فلا بد من اعتبار المزية في الفصاحة فقد عاد إلى ما أردناه<sup>1</sup> فيرى القاضي عبد الجبار أن نظم الشعر لم يعد طريقة مخصوصة لانتشار الشعر وكثرة نظمه بالطرق المعهودة عند العرب، فتبقى الفصاحة هي المعيار في بلاغة الكلام وتفاضل بعضه على بعض.

ويصف القاضي عبد الجبار الفصاحة في الكلام بقوله: "واعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، و لا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز أن تكون هذه الصفة بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، و لا بد من الاعتبار في كل كلمة، ثم لا بد من الاعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض، لأنه قد يوجد لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه، إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه، دون ما عداها"<sup>2</sup>

يتضمن هذا القول مجموعة من المسائل يطرحها القاضي بخصوص الفصاحة و هي:

- لا تحوز اللفظة منفردة خارج التركيب صفة الفصاحة، بل تكون لها الدلالة اللغوية المعجمية.

- أما عندما توجد داخل التركيب (جملة أو نص) أي عندما تأخذ موقعها بحيث تجاورها ألفاظ سابقة وأخرى لاحقة، وهنا تخضع لخاصيتين، الأولى أن تكون لها رتبة نحوية تدل عليها حركات إعرابية وما ترسمه من فروق في العبارات فتكون مسندا أو مسندا إليه أو فضلة والثانية أن تؤدي غرضا محددًا يريده المتكلم وهنا تعمل عملها في الأسلوب فتظهر المزية من خلال استخدامات مخصوصة في الأداء مثل التقديم والتأخير، الحذف، المجاز...، فيصبح الكلام على هذه الحال فصيحًا.

- ويقصد بالمواضعة ليس المواضعة اللغوية وإنما الإبدال، يقول نصر حامد أبو زيد: "وليس تفسيرنا للإبدال عند عبد الجبار قائمًا على التخمين، فهو يشير إلى هذا البعد أحيانًا باسم المواضعة التي تتناول الضم"<sup>3</sup>

## 2/ المزية في الألفاظ وليست في المعاني:

يربط عبد الجبار في بلاغة الكلام بين جزالة اللفظ وحسن المعنى، يقول في هذا السياق: "إن قال (قائل): فقد قلت إن في جملة ما يدخل في الفصاحة حسن المعنى، فهلا اعتبرتموه؟ قيل له: إن المعاني وإن كان

<sup>1</sup> شوقي ضيف، البلاغة - تاريخ و تطور، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، 1995، ص116

<sup>2</sup> القاضي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 199

<sup>3</sup> نصر حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص 155

لا بد منها فلا تظهر فيها المزية وإن كانت تظهر في الكلام لأجله، ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر والمعنى متفق، وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع، والمعبر عنه في الفصاحة أدون، فهو مما لا بد من اعتباره، وإن كانت المزية تظهر بغيره، على أنا نعلم: أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فيذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عند الألفاظ التي يعبر بها عنها، على ما ذكرناه، فإذا صحت هذه الجملة فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال الذي به تختص الكلمات أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع أو الحركات التي تختص الإعراب فبذلك تقع المباني، و لا بد في الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الآخر أن يكون إنما زاد عليه بكل ذلك، أو بعضه<sup>1</sup>، يضع القاضي عبد الجبار نفسه في موضع الجدل مع من يرونه يفضل حسن المعنى في الفصاحة، ليجيب على من يهمله الأمر من المتكلمين المعتزلة خاصة، فيطرح فكرة التزايد ويجعلها في حساب الألفاظ دون المعاني.

وفي إطار حديثه عن إعجاز القرآن يعلن القاضي عبد الجبار أيضا نصرته للفظ بقوله: "وقد علمنا أن لا معتبر بالمعاني في هذا الباب، سواء لورودها على طريق الإبداع أو السبق، فالتحدي بالقرآن لا يصح أن يصرف إلى هذه الوجوه على أنه قد بينا أن التحدي وقع بالقرآن لا بالمعاني، وبيننا أنه الذي يبين فيه التفاضل دون المعاني، وإن كان حسن المعاني كالشرط، وكالمؤثر في هذا الباب"<sup>2</sup>

ويعقب عليها عبد القاهر بقوله: "وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه، غير أن تجعل تزايد الألفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، لأن التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ونطق لسان محال"<sup>3</sup>، وفي نفس الموضوع يقول عبد القاهر: "إنهم قالوا- يريد عبد الجبار- إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فتراهم في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معاني النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا"<sup>4</sup>

### 3/النظم:

ثم ينتقل عبد الجبار إلى طريقة تأليف الكلام، فيقول: "ولا يمتنع في اللفظة الواحدة أن تكون إذا استعملت في معنى تكون أفصح منها إذا استعملت في غيره، وكذلك فيها إذا تغيرت حركاتها، وكذلك القول في جملة من الكلام... وهذا يبين أن المعتبر في المزية ليس بنية اللفظ، وأن المعتبر فيها ما ذكرناه من الوجوه، فأما حسن النغم وعدوبة القول فمما يزيد الكلام حسنا على السمع، لا أنه يوجد فضلا في الفصاحة... ولا

<sup>1</sup> القاضي عبد الجبار، المرجع السابق، ج16، ص199 و 200

<sup>2</sup> القاضي عبد الجبار، المرجع نفسه، ص199.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، المرجع السابق ص118

<sup>4</sup> شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص118



فضل فيما ذكرناه بين الحقيقة والمجاز، بل ربما كان المجاز أدخل في الفصاحة، لأنه كاستدلال في اللغة... وكذلك فلا معتبر بقصر الكلام وطوله وبسطه وإيجازه، لأن كل ضرب من ذلك ربما يكون في الفصاحة في بعض المواضع من صاحبه<sup>1</sup> وواضح أنه لا يجعل للفظه صفة أدبية من حيث هي لفظة مفردة، أو على الأقل لا يجعل لها شأنًا في الفصاحة، ويلاحظ أنها قد تكون في موضع أفصح منها في موضع آخر، ويشرح ذلك عبد القاهر: "اتضح إذن اتضاحًا لا يدع للشك مجالًا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة... ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"<sup>2</sup>

ويرى لغويو المعتزلة وبلاغيوها أن المزية في الصياغة اللفظية أكثر منها في المعاني، ويستندون على بعض الحجج ذكرها أحمد أبو زيد بقوله: الحجج التي اعتمد عليها المعتزلة في صحة نظريتهم في النظم:

- تأليف الألفاظ و صياغتها مجال لا حد له لإظهار المهارة والبراعة في حسن البيان وميدان للابتكار والاختراع في اللغة.

- المعبرين من الفصحاء يعبران عن معنى واحد، ويكون أحدهما أفصح من الآخر، ولو كان الأمر في الفصاحة يتعلق بالمعاني لما وقع التفاوت بينهما، وقد يعبر الفصيحيان عن معنيين أحدهما حسن، والمعنى الآخر خسيس، ومع ذلك يصح من الناحية البيانية أن يحكم للذي عبر عن المعنى الخسيس بأنه أفصح من الآخر، ولو كان الأمر في الفصاحة عائدا إلى المعنى لما صح ذلك.

- والحجة الثالثة هي حجة التفسير و المفسّر، وهي من أقوى الحجج التي يحتج بها المعتزلة على خصومهم، وخلصتها أن قيمة الكلام الفصيح لو كانت عائدة إلى المعنى لكان التفسير في مرتبة النص المفسر فصاحة، شعرا كان ذلك النص أو قرآنا، لأن التفسير يؤدي معنى النص المفسر<sup>3</sup>

### المبحث الثالث : مفاهيم نحو النص في نظرية النظم للجرجاني

#### أولا : النظم لغة:

اتفقت في المعاجم اللغوية العربية على أن النظم لا يخرج عن معنى التأليف والضم والإقران والاتساق، بترتيب وترابط، قال ابن فارس: "النظم أصل يدل على تأليف شيء"، وجاء في لسان العرب: "النظم: التأليف، ونظمت اللؤلؤ، أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر، ونظمته، وكل شيء قرنته بآخر أو

<sup>1</sup> شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص118

<sup>2</sup> شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص119.

<sup>3</sup> أحمد أبو زيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة و إعجاز القرآن ، دار الأمان للنشر، الرباط، ط1، 1989، ص78 و 79.



ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، والنظم: المنظوم وصف بالمصدر،... وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام، والانتظام: الاتساق.

وذهب الزمخشري في أساس البلاغة في مادة (نظم): "ومن المجاز: نظم الكلام، وهذا نظم حسن، وانتظم كلامه وأمره، وليس لأمره نظام إذا لم تستقم طريقته"<sup>1</sup> وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر: "نظم القرآن: أي عباراته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة"<sup>2</sup>، وعليه يطلق النظم على ترتيب وتنظيم الأشياء الحسية مثل اللؤلؤ، وكذا تأليف وترتيب وتنظيم الكلام لفظاً ومعنى ومنه القول عن قول الشعر كلام موزون ومقفى، لأنه يعتمد طريقة مخصصة في شكله ومعناه.

### ثانياً: النظم في دلائل الإعجاز للجرجاني:

لقد جاءت نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم مفصلة في كتابه دلائل الإعجاز رغم أن محقق الكتاب الأستاذ محمود شاكر يرى أنه يفتقد إلى التبويب والتقسيم والتصنيف، وقد قسم الكتاب إلى جزأين، الأول خصّه بالتنظير أو قل بالرد أولاً على فساد الفكر المعتزلي في اللغة والبيان وإعجاز القرآن وخاصة أفكار القاضي عبد الجبار في الفصاحة والنظم، ثم تقديمه البديل وهو نظريته في النظم بالحجج والبراهين، والقسم الثاني تضمن المباحث البلاغية التي تقوم عليها نظريته التي تضمنت مفاهيم تتعلق بالتماسك النحوي والبلاغي للجمل والنصوص.

### 1- الجزء النظري في دلائل الإعجاز:

لقد تأثر عبد القاهر الجرجاني بأفكار من سبقوه خاصة الجاحظ والباقلاني والقاضي عبد الجبار، ثم ساهم بإبداعه المتميز في النحو والبلاغة بإثراء النظم بمفاهيم أساسية تبين كيفية التعامل مع النصوص سواء بإنتاجها أو فهمها بمنهج جديد هو نظرية معاني النحو.

وقبل أن يخوض عبد القاهر في بيان مفاهيم نظريته في النظم، تصدى للرد على ما رآه فساداً في الرأي من الذين سبقوه في مسألة الفصاحة والبلاغة ومسألة النظم، واعتبر قولهم في هذه المسائل يشوبه النقص وعدم الوضوح، فيقول: "لا يكفي في تفسير الفصاحة، أنها خصوصية في نظم الكلم، وضم بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة، أو على وجوه تظهر بها الفائدة... بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم وتعدّها واحدة واحدة، وتسمّعها شيئاً فشيئاً"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أبو القاسم بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1998، ص284.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (نظم)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص2237.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، ط3، 1992، ص36 و37.

لقد اختلف علماء اللغة في بيان أثر الألفاظ والمعاني في إعطاء الكلام قيمته الدلالية، خاصة أن قضية الإعجاز في نظم القرآن الكريم أحدثت نقاشاً محتمداً في الفكر النقدي والبلاغي أيضاً، حيث طرحت قضية الأفضلية بين اللفظ والمعنى، أما الجرجاني فلا يقر بتلك الأفضلية، ولا تظهر مزية أحدهما على الآخر ويعلق على قولهم في النظم بقوله: "ولكن بقي أن تعلمونا مكان المزية في الكلام، وتصفوها لنا، وتذكروها ذكرا كما ينص الشيء ويعين... ولا يكفي أن تقولوا: إنه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة، بل تبيينها وتذكروا لها أمثلة"<sup>1</sup>، فرأى أن كلامهم في مفهوم النظم غير واضحة إذ تفتقد للحجج المنطقية تنم عن فكر بلاغي متخصص وتفتقد للشواهد النصية في شعر العرب ونثرها.

### مراحل إنتاج الكلام عند الجرجاني:

بعدهما أثبت الجرجاني عدم وضوح مفهوم النظم عند من سبقوه، حيث اكتفوا بأنه ضم الكلام بعضه بعضاً على طريقة مخصوصة، وضع في كتابه دلائل الإعجاز فصولاً يشرح فيها نظريته في النظم شرحاً مفصلاً مع الإكثار من الشواهد الشعرية والقرآنية، ويرى تمام حسان أن النظم في منظور الجرجاني هو نظم المعاني النحوية في النفس، والمعاني النحوية تقع في طوائف منها ما يلي:

- 1- معاني أقسام الكلم كالحديث والزمن والاسمية والاستعلاء وابتداء الغاية والعطف والاستدراك إلخ.
- 2- معاني الصيغ كالطلب والضرورة والاتخاذ والمطاوعة إلخ.
- 3- معاني أبواب النحو كالإسناد والتعدية والظرفية والغائية والملابسة والنسبة إلخ.
- 4- معاني أساليب الجمل كالخبر والتأكيد والشرط والإنشاء والطلب والتعجب إلخ<sup>2</sup>.

ويعر إنتاج الكلام عند عبد القاهر بأربع مراحل: النظم والبناء والترتيب ثم التعليق كمرحلة أخيرة، ويعرف تمام حسان النظم "أن يعتمد المتكلم إلى اختيار ما يناسب غرضه من هذه المعاني إذ يوردها على خاطره قبل أن يبني لها الكلمات (فكرة البناء) أو يرتب هذه الكلمات (فكرة الترتيب) أو ينشئ بينهما العلاقات بواسطة الربط والمطابقة (فكرة التعليق)، فالنظم إذاً هو إيراد المعاني المتعلقة بغرض المتكلم على خاطره استعداداً للدخول فيما يتلو ذلك من المراحل، ومرحلة النظم مرحلة نفسية خالصة"<sup>3</sup>

أما البناء والترتيب فيتم على مستوى الذهن فتتكون الكلمة وتأخذ رتبها النحوية في التركيب، ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي تعليق الكلمات والجمل بضم بعضها لبعض بطريق الربط، فتأخذ صوراً مختلفة كالفصل والاعتراض والاستتار والحذف وغيرها، إضافة إلى مساهمة القرائن السياقية والخارجية على وضوح الكلام.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 36

<sup>2</sup> تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب، عالم الكتب، القاهرة، ج1، ط1، 2006، ص334.

<sup>3</sup> تمام حسان، المرجع نفسه، ص 335

ويشبهه سعيد حسن بحيري نظرية النظم الجرجانية "أنها عملة ذات وجهين لا يمكن الفصل بينهما، الوجه الأول نفسي يضم الدلالة أو المعنى النفسي، ويتكون فيه قصد المتكلم، أو غرض الكلام على مستوى الاختيار، والوجه الثاني لغوي يضم الألفاظ المنطوقة حيث تتلاحم الدلالات المعجمية بالدلالات السياقية على مستوى التأليف، ويعبر عن نظرية النظم بالمخطط التالي:

عملية نفسية سابقة-----عملية لغوية لاحقة

تقع خارج اللغة-----تقع داخل اللغة

دلالات نفسية-----ألفاظ منطوقة

اختيار الدالة (أو المدلول)-----التأليف بين الدلالات المعجمية والدلالات النحوية السابقة

قصد المتكلم-----النص اللغوي"<sup>1</sup>.

### ❖ مقولات نظرية النظم عند الجرجاني:

#### أولاً : توخي معاني النحو

من المقولات التي أسسها لجرجاني والتي تعد عمود نظرية النظم قوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"<sup>2</sup>، فلا يظهر نظم في الكلام إلا إذا صاحبه الصحة النحوية، ويقصد بها التزام قوانين علم النحو أثناء الصياغة اللفظية، إذ تنشأ علاقات نحوية بين أجزاء الكلام، فالصحة النحوية يعتبرها الجرجاني ميزان الفصل بين صحة الكلام وفساده، فيقول: "فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظمه أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه"<sup>3</sup>، ويذكر شواهد شعرية على فساد النظم عند المتنبي وأبو تمام حيث أحلّا فيها بأحكام علم النحو، ويقصد الجرجاني بالعلاقات النحوية: التقديم والتأخير والحذف والإضمار والإعادة والتكرار والتعريف والتنكير والفصل والوصل وغيرها كثير خاصة في القرآن الكريم، ويقول بحيري نقلاً عن ابراهيم سلامة: "وجب أن تفهم عنه أنه لا يقصد الإعراب ولا اللغة وإنما يقصد النحو الجمالي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص200

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص81

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص78

<sup>4</sup> سعيد بحيري، المرجع نفسه، ص207.

ويخلص سعيد بحيري إلى " أن النظم يكمن في المعاني الناتجة عن العلاقات النحوية، وفي المعاني الإضافية التي يستخرجها المتلقي بجهد عقلي ونظرة ثاقبة وروية، إنه يكمن باختصار في تقابل المعنى الذي قصد إليه المتكلم، والمعنى الذي فسره المتلقي، أو في تسخير التشكيل اللغوي في كفاءة تفسيرية (لدى المخاطب) للوصول إلى الكفاءة الإبداعية (لدى المتكلم)، وهكذا لا يمكن الفصل في نظريته بين عمليات ثلاث:

الأولى ----- غير لغوية (نفسية) ----- قصد المتكلم

الثانية ----- لغوية ----- الأداء اللغوي

الثالثة ----- ما وراء لغوية ----- تفسير المتلقي.<sup>1</sup>

### ثانياً: معرفة العلة والأسباب

لقد رأى عبد القاهر في كلام من سبقوه من أمثال الجاحظ وعبد الجبار والرماني أن تفسير النظم يتأسس على طريقة التأليف والترتيب وعلى الإعراب وكذا الموقعية، وهذه أوجه المزية في النظم ولاشك في ذلك، غير أن الجرجاني تجاوز ذلك إلى ضرورة معرفة العلة والأسباب وراء ذلك الترتيب والإعراب والموقعية، وبهذه النظرة العميقة تكون معالجته لقضية الإعجاز أكثر تبصراً مقارنة بما سبقه، وذلك حين نظر إلى ضرورة معرفة العلة والأسباب من وراء ذلك يقول الجرجاني "فأما.... من كان لا يفتقد من أمر "النظم" إلا الصحة/ المطلقة، وإلا إعراباً ظاهراً، فما أقل ما يجدي الكلام معه، فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به، والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره، ومزاحفه من سالمه، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه..."<sup>2</sup> وذكر مثالا بتحليله الآية [44]/هود

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾، يقول الجرجاني: "هل تشك إذا فكرت في هذه الآية فيتجلى لك منها الإعجاز ويبهرك الذي ترى وتسمع، إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة والرابعة، وهكذا إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأن الفضل نتاج ما بينهما وحصل من مجموعها.

- وإن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟

<sup>1</sup> سعيد بحيري، المرجع نفسه، ص 209 و 210

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 291

-قل "ابلي" واعتبرها وحدها من غير أن تنتظم إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها  
-وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت، ثم في أن كان النداء  
بـ"يا" دون "أي"، نحو "يا أيتها الأرض" ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف" دون أن يقال: "ابلي الماء"، ثم أن  
أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: "وغيض الماء"  
فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدالة على أنه لم يغيض إلا بأمر أمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله  
تعالى: "وقضي الأمر"، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو "استوت على الجودي"، ثم إضمار  
السفينة" قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة بـ"قيل" في  
الفاحة، أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيئة تحيط بالنفس  
من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني  
الألفاظ من الاتساق العجيب؟

-فقد اتضح إذن اتساقها لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من  
حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما  
لا تعلق له بصريح اللفظ<sup>1</sup>.

### ثالثا: التعليق

يرى محمد عبد المطلب أن "التركيب عند عبد القاهر له جانبان، العلاقة الأصلية المتكونة من المسند  
والمسند إليه، ثم العلاقة الجديدة التي أضفها عليه الاستعمال"<sup>2</sup>، ولقد لخص الجرجاني علاقات الكلم كما  
جاءت في علم النحو، فيقول: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب  
من بعض، والكلم: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام:

- تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بحرف، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خيرا عنه أو حالا  
منه أو عطفًا بحرف، أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل  
ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول أو بأن يكون تمييزا.

-وأما تعلق الاسم بالفعل فبأن يكون فاعلا له أو مفعولا، فيكون مصدرا قد انتصب به... ويقال له المفعول  
المطلق، أو مفعولا به... أو ظرفا مفعولا فيه زمانا أو مكانا.. أو مفعولا معه.. أو مفعولا له.. أو بأن يكون

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 46

<sup>2</sup> محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية لوجمان، ط1، 1995، ص 74.

منزلاً من الفعل منزلة المفعول وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز المنتصب عن تمام الكلام.. ومثله الاسم المنتصب على الاستثناء.

- وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب: إحداها أن يتوسط بين الاسم والفعل فيكون ذلك في حروف الجر التي من شأنها أن تعدي الأفعال إلى ما لا تتعدى إليه بأنفسها من الأسماء.. وكذلك سبيل الواو بمعنى (مع).. وكذلك حكم إلا في الاستثناء فإنها عندهم بمنزلة هذه الواو الكائنة بمعنى (مع) في التوسط.
- والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به العطف وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل الأول.
- والضرب الثالث تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه<sup>1</sup>.

فالتعليق يعد من الأصول في علم النحو، فيتم من خلاله الربط بين العناصر اللغوية في شكل نظام وقوانين يحكمها علم النحو، حيث ينشأ عن ذلك الربط مجموعة من العلاقات المعنوية وهي العلاقات السياقية مثل علاقة الإسناد والتعدية والغائية والمصاحبة والتفسير والتبعية وغيرها.

يخلص سعيد بحيري إلى أن نظرية عبد القاهر تتشكل من مكونات جوهرية ثلاثة هي: قصد المتكلم والبناء اللغوي للنص، وقدرة المتلقي، ويدخل في تشكيل كل مكون مجموعة من العناصر والعوامل والعمليات، فعملية إنتاج النص تمثل مرحلة أولى تقابلها عملية تفسيره كمرحلة أخرى، وبينهما عملية وسطى هي تشكل النص، ويرى أنها عمليات شديدة التداخل بحيث يؤدي أي خلل في أية مرحلة إلى استحالة الفهم ومنه استحالة التواصل، وقد وضع سعيد بحيري لها المخطط التالي<sup>2</sup>:

مرحلة أولى ----- مرحلة وسطى ----- مرحلة أخيرة

عملية إنتاج النص (غير لغوية) / تشكل النص (لغوية)      عملية تفسير النص (غير لغوية)

## 2- الجزء التطبيقي لنظرية النظم:

لقد اعتمد عبد القاهر من خلال تصورات وأفكاره التي طرحها في نظرية النظم، على مجموعة من الأدوات والمعايير يبرهن من خلالها، ويجسد هذه الأفكار في مجموعة من المباحث التطبيقية وفق ما تسمح به قوانين النحو، ليقف على سر الإعجاز اللغوي في النصوص الأدبية وكذا في النص القرآني بصورة خاصة، وهذا ما تضمنه الجزء التطبيقي من كتاب دلائل الإعجاز.

يرى عبد القاهر الجرجاني أن تأليف الأبنية اللغوية يقوم على عنصرين أساسيين هما: عنصر الاختيار الذي يختص بالمستوى الصرفي المعجمي، أي اختيار ألفاظ بعينها من المعجم اللغوي لأداء دلالات سبق

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص5 إلى 7.

<sup>2</sup> سعيد بحيري، المرجع السابق، ص219.

تصورها في الذهن والنفس، وعنصر التأليف الذي يختص بالمستوى النحوي، وقد نص على ذلك الرماني في كتابه النكت في إعجاز القرآن، حين فرق بين دلالة المفردة ودلالة التأليف.

ويرى أن تماسك النص يظهر عندما يكون هناك اتصال بين المكونات الخارجية للأبنية اللغوية وبين قصدية المتكلم المنتج لتلك الأبنية، وهنا يقوم دور المتلقي في تتبع قصد المتكلم باستخدام أدوات تفسيرية للعلاقات القائمة بين الأبنية وتفسير الدلالات المختلفة نحوية وسياقية، ويشير محمد عبد المطلب إلى العلاقة القائمة بين المنتج والمتلقي، فيقول: "وموقف الجرجاني من المتلقي ينسجم مع مفهومه للنظم، على معنى أن وجوده يأتي تاليا للمبدع، مع مقابلة وحدة الإبداع بتعدد القراءات، وهو تعدد يسمح باستخلاص نوعية محددة ذات ممارسات فكرية تهيء لها قدرا من التمييز بين الجيد والرديء، لأن حضور النص يستدعي حضور مواجهة تعتمد على الطلب والإلحاح، حتى يبوّح النص بكينونته"<sup>1</sup>

لقد درس عبد القادر الأبنية اللغوية في ثلاث مستويات: اللغة العادية، لغة الشعر، لغة القرآن الكريم، ورغم أن النصيب الأوفر كان للغة الشعر، ويظهر ذلك في كثرة الشواهد الشعرية، إلا أن الباحثين يجمعون أن الإعجاز في القرآن الكريم لا يختلف قليلا عن كثيره، فأصغر آية مثل أكبر سورة في قوة الإعجاز لا تفاوت في روعة النظم القرآني، يقول أحمد درويش: "فمادام النظم يصلح تفسيرا للقرآن، وللنصوص الأدبية الأخرى، فإنه لا بد أن تتفاوت درجاته، لأن نظم الشعر وبلاغته لا تتساوى مع نظم القرآن وبلاغته، وداخل دائرة النصوص الشعرية ذاتها لا تتساوى درجات النظم، فبعض الشعر يعد في درجة عالية من النظم وإحكام البناء، والبعض الآخر يعد في درجة أقل جودة وإحكاما، وإن كان داخلا في إطار النظم، وما دام النظم درجات مختلفة، فإن النظم كله بمختلف درجاته يعد مستوى من مستويات الأسلوب الرفيع، لا ترقى إليه كل الأساليب الأدبية، فقد يكون هنا أسلوب صحيح، وداخل في دائرة الأساليب الأدبية، ولكنه لا يعد داخلا في دائرة النظم بل يمكن تفسير جماله بطريقة أخرى من طرق تفسير الجمال الأسلوبي مثل اللفظ أو المعنى"<sup>2</sup>

وهكذا تبرز خصوصية معالجة عبد القاهر الجرجاني لدرجات النظم من خلال إدراكه العميق للفروق الدقيقة بين مستويات لغوية مختلفة، وتفسير قوة إحكام وتماسك نص دون آخر، وتفسير علة وضع مكون في علاقة دون أخرى، وتفسير التلاؤم والتناسب بين العلاقات، وكذلك العلاقة بين الصياغات أو الأغراض والمقامات.

<sup>1</sup> محمد عبد المطلب، المرجع السابق، ص 18

<sup>2</sup> أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998، (دط)، ص 109

• مظاهر التماسك النصي عند الجرجاني:

وقد فطن الجرجاني لمظاهر التماسك النصي في قوله: "...وينظر في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل، ويتصرف في التعريف والتوكيد، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلا من ذلك في مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له."<sup>1</sup> وقد فصل القول فيها بالشرح والتمثيل والتحليل على النحو التالي:

❖ التقديم و التأخير:

عقد عبد القاهر فصلا مطولا للتقديم والتأخير في كتابه دلائل الإعجاز، ويقصد بالتقديم والتأخير وضع اللفظ سواء كان مسندا أم مسندا إليه في غير مكانه الأصلي والذي خصّه به علم النحو وقوانينه، فيقدم ما أصله التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، واعتنى الجرجاني بهذا المبحث البلاغي أيما اهتمام، ويظهر ذلك في كتابه من حيث كثرة الأمثلة والتحليلات وثبات القاعدة، ولزوم تحقيق الفائدة في جميع أحوال المتكلمين، فتناول هذا الإجراء بالشرح وبيان علله، فأول شيء بدأ به أنه علّق تقديم اللفظ وتأخيره بقصدية المتكلم، وجعله على وجهين: "تقديم على نية التأخير، وتقديم ليس على نية التأخير، ففي الوجه الأول لا يتغير الحكم الإعرابي للفظ المتقدم ولا جنسه، كالخبر المقدم على المبتدأ، أو المفعول المقدم على الفاعل، أما في الثاني، ينتج عن التقديم أن اللفظ المقدم يأخذ أحكاما جديدة في النحو، إعرابا غير إعرابه الأصلي ويخرج إلى باب آخر في النحو والبلاغة"<sup>2</sup>

- أهمية التقديم والتأخير:

لقد اهتم النحاة بقضية التقديم والتأخير في اللغة، وما لها من تأثير في تغير الجمل من حيث المعنى، يذكر الجرجاني نقلا عن سيبويه قوله: "كانوا يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهملهم ويعنيانهم"<sup>3</sup> فقصر رؤية علماء اللغة إلى التقديم والتأخير في أنه يستخدم للعناية والاهتمام، لكن الجرجاني يرى أنهم لم يوفوا هذه المسألة حقها من الدرس واستهانوا بها، وكذلك فعلوا في أبواب أخرى كالحذف والتكرار، والإظهار والإضمار، الفصل والوصل، ويرفض مبدأهم في التقديم والتأخير أساسه الإفادة والعناية والضرورة الشعرية، لذلك يبدأ عبد القاهر ببيان مواضع التقديم والتأخير في الكلام مستندا للغة العرب والنص القرآني.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 81 و 82  
<sup>2</sup> ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 106  
<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 107.



ويختلف الاستفهام بالهمزة، من حيث إذا اقترن بفعل أو اقترن باسم، يقول الجرجاني: "فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت (أفعلت؟) فبدأ بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، نحو: (أبنت الدار التي كنت على أن تبنيها) أو (أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟)، وإذا قلت: (أ أنت فعلت؟) فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه، نحو: (أ أنت بنت هذه الدار؟) أو (أ أنت قلت هذا الشعر)"<sup>1</sup>

يضع الجرجاني قاعدة ثابتة يستدل بها المتلقي أثناء تحليله للنصوص على الكشف عن الغرض الأصلي للاستفهام بالهمزة وهو التقرير، حيث أنه تختلف وظيفة الاستفهام بالهمزة بالنظر إلى اللفظ المجاور لها، فإذا كان فعلاً، كان غرض المستفهم بها شك في حدوث الفعل من الشخص متردداً فيه، فيطلب جواباً بالإيجاب أو السلب، أما إذا كان اللفظ المجاور لها اسماً كانت عناية المستفهم متجهة نحو الفاعل شك في أنه من قام بالفعل. وهكذا يكون لموقع العنصر اللغوي أثر في وجهة المعنى في الاستفهام بالهمزة.

وتتضمن الجملة الاستفهامية بالهمزة قرائن لغوية تؤثر في صحتها، نحو قولك: أ أنت قلت شعراً قط؟ فهناك خرق للقاعدة العامة لأن العنصر اللغوي (قط) جعل الفعل دالاً على الإطلاق، وهنا أصبح الفاعل معينا لا شك في ذلك، ولا يكون الاستفهام صحيحاً بإزالة (قط).

ويرتبط الغرض البلاغي من هذا الاستفهام باللفظ المقدم أو المقترن مع همزة الاستفهام، فإذا تقدم الفعل فإن التقرير أو غيره يتجه إليه، وإن تقدم الاسم فكذلك يتجه الغرض البلاغي إليه، يخرج الاستفهام بالهمزة عن غرضه الأصلي الذي وضع له وهو التقرير إلى أغراض ومعان أخرى يدل عليها السياق سواء اللغوي أو المقامي خاصة الإنكار والتوبيخ مثلما سيتضح في النصوص القرآنية.

#### • أغراض الاستفهام بالهمزة في النص القرآني:

ومما أورده الجرجاني عن الاستفهام بالهمزة: "واعلم أنّ هذا الذي ذكرت لك في الهمزة بالاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير، فإذا قلت: (أأنت فعلت ذلك؟) كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل"<sup>2</sup>، وبرهن على مقولته بالاستناد على قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا بَرِّهِيمُ ﴾ [الأنبياء 62]، إن الأمر هنا لا يتعلق بشك أو تردد في وقوع الفعل وإنما إقرار بحدوث فعل تحطيم الأصنام، حتى أنه أجاب عقب هذه الآية، قوله تعالى ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَتُّوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء 63] وما أن

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 111.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 113

همزة الاستفهام جاءت مقرونة بضمير مخاطب فهذا يعني أن الشك والتردد يتعلق بالفاعل وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام، أهو أم غيره، والقصد من الاستفهام هو إقرارهم بأنه الفاعل، لأنه لا أحد كان يسفه ويكفر بألتهم إلا هو والدليل على ذلك جوابه في قوله تعالى: "بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا"، فلم يتهم شخصا بل حجرا صنما، والتهمة توجه للبشر وليس الحجر، وهذا أمر دلّ عليه المقام المحيط بالسورة، واختصّ به النظم القرآني.

وهناك مواضع أخرى جاءت نصوصها بغرض الإنكار فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة أين يكون المقام يمس المشركين والمنافقين، ومنها قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس 59]، تتضمن الآية جملتان استفهاميتان، الأولى (أَرَأَيْتُمْ) حيث اقترنت همزة الاستفهام فيها بالفعل، والثانية (إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ) اقترنت باسم الجلالة الله، لكن المقام العام الذي وجدت فيه هذه الآية يجعل المعنى والغرض البلاغي يدور بين الإقرار والإنكار، إقرار في تحريم بعض رزق الله وتحليل بعضه فهذا الفعل وقع منهم، وإنكاره جل شأنه لحصول إذن منه في فعل ذلك، وأنه افتراء على الله، ومن جهة أخرى إقرار بأن الإذن لا يكون إلا منه وحده سبحانه وتعالى عما يشركون، كما تتخذ الآية هذا الوصف انطلاقا من عناصر لغوية خارج السورة، وهو قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [الأنعام 136] وهنا يلعب المتلقي دورا مهما في إثبات تناسب البنية اللغوية مع المعنى المراد.

### ب/ التقديم والتأخير في النفي:

يبدأ بذكر القاعدة العامة فيقول: "إذا قلت (ما فعلت)، كنت قد نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت (ما أنا فعلت)، كنت نفيت عنك فعلا أنه مفعول"<sup>1</sup> فيميز عبد القاهر بين حالتين في التقديم والتأخير: تقديم مع النفي للفعل وتقديم مع النفي للاسم.

#### 1- دلالة التقديم مع النفي للفعل:

حيث يتقدم الفعل على الاسم في الجملة المنفية (ما فعلت)، إذ يتجه المعنى إلى نفي فعل لم يثبت أنه مفعول نحو قولك (ما ضربت زيدا/ ما قلت شعرا/ ما رأيت أحدا)، ففي هذه الجمل يترتب على النفي أمران: الأول عدم ارتكاب الفاعل لضرب زيد ولقول الشعر ولرؤية أحد)، والثاني أن هذه الأفعال لم يكن لها وجود أصلا.

#### 2- دلالة التقديم مع النفي للاسم:

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 124

هنا يتقدم الاسم على الفعل بعد النفي في جملة (ما أنا فعلت) ويتجه المعنى إلى نفي فعل ثبت أنه مفعول، ويقدم لذلك الأمثلة التالية: (ما أنا ضربت زيدا/ ما أنا قلت شعرا) فالاسم المقدم هنا ضمير المتكلم (أنا)، وتقدم على الفعل بعد أداة النفي (ما)، وينتقل النفي من الفاعل إلى المفعول ويترتب على النفي أمران: الأول نفي الضرب عن الفاعل وثبوته على زيد، ونفي قول الشعر عن الفاعل وثبوته أمر حتمي.

واشترط عبد القاهر في دلالة التقديم مع نفي الفعل أن يكون المفعول به نكرة فيقول: (ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاما كقولك "ما قلت شعرا قط" و"ما أكلت اليوم شيئا" و"ما رأيت أحدا من الناس" ولم يصلح في الوجه الثاني، فكان خلفا أن تقول: "ما أنا قلت شعرا قط" و"ما أنا أكلت اليوم شيئا"، و"ما أنا رأيت اليوم أحدا"، وذلك أنه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل، ورأى كل أحد من الناس، فنفيت أن تكونه"<sup>1</sup>، غير أن شرط العموم (أن يكون المنفي عاما) يجيزه في حال تقديم الفعل بعد النفي، ولا يجيزه في حال تقديم الاسم بعد النفي فيصفه بقوله (خلفا) أي لغوا من الكلام، بمفهوم المخالفة، ينفي الفعل عن الفاعل ويثبت له غيره، وهذا أمر محال، ويعقب على هذا الشرط ويرى فيه نوعا من التناقض فيقول: "وعلة ذلك، أن في تقديم الاسم إشارة واضحة إلى التخصيص وفي تنكير المفعول دلالة على العموم، وليس من شك في أن في الجمع بين دالتين الخصوص والعموم تناقضا بينا"<sup>2</sup>، ويذكر الجرجاني مثالا من الشعر يؤكد فيه أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل، يقول الشاعر

وما أنا أسقمت جسمي به \*\*\*\* ولا أنا أضمرت في القلب نارا<sup>3</sup>

فالسقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو (الشاعر) الجالب له

### 3- أثر تقديم الاسم وتقديم الفعل في النفي على المعنى:

أشار الجرجاني إلى حالتين يكون فيهما المعنى كاشفا على الكلام المستقيم وعن الكلام الذي يعتبره خلفا، وهما العطف والاستثناء، ويعطي أمثلة ليتضح مقصوده:

#### 1- العطف:

الجملة	أداة الوصل	نوع التقديم	النفي	المعنى
ما قلت هذا و	الواو	تقديم الفعل على الاسم في كلا الجملتين	النفي يقع على الفعلين في كلا الجملتين	لا يوجد تناقض في المعنى، لأن النفي وقع على الجملة المعطوفة

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص124

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص234

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص125

والجملة المعطوف عليها	( قلت - قاله )	لا قاله أحد من الناس
يوجد تناقض في المعنى، لأن النفي في (ج1) يتجه نحو الضمير . ويتجه في (ج2) نحو الفعل . وفي هذا إثبات وقوع الفعل و نفي وقوعه معا . وهذا يعتبره الجرجاني خلفا من القول .	النفي (ج1) يقع على الضمير و في (ج2) يقع على الفعل	ما أنا قلت هذا و لا قاله أحد من الناس

ويورد الجرجاني بنية عطف أخرى، تدل على معنى الاستدراك من خلال المثال التالي:

ما ضربت زيدا، ولكني أكرمته. حيث يتقدم الفعل على الاسم، ويعتبرها صحيحة، لأنها تنفي فعلا في (ج1) وتثبت فعلا آخر مختلف في (ج2)، بينما إذا تقدم الاسم على الفعل نحو قولك: ما زيدا ضربت، ولكني أكرمته، يعتبرها صحيحة بعيدة عن التناقض لأنها تنفي فعلا في (ج1) وتثبت فعلا آخر في (ج2) متعلقين بنفس الفاعل، ولكن إذا تقدم الاسم كما في المثال: ما زيدا ضربت، ولكن أكرمته. فتكون دلالة التركيب متناقضة مع دلالة الاستعمال، فينشأ عن تناقض المعاني فساد البنية، حيث ينصرف النفي في (ج1) إلى الاسم، وفي (ج2) إلى الإثبات في فعل آخر، ولا تكون صحيحة إلا إذا وقع الاستدراك على اسم آخر مثل: ما زيدا ضربت ولكن عمرا.

## 2- الاستثناء:

ويذكر عبد القاهر الجرجاني صورتين مختلفتين: الأولى صحيحة نحو "ما ضربت إلا زيدا" فيكون الكلام مستقيما، والثانية نحو "ما أنا ضربت إلا زيدا" اعتبرها لغوا من القول، وذلك لأن نقض النفي بـ(إلا) يقتضي أن تكون ضربته فهما يتدافعان<sup>1</sup>، فوجه الاستقامة في المثال الأول أن تقدم الفعل عن الاسم يثبت ضرب الفاعل لزيد من جهة، ونفي الضرب على غير زيد من جهة أخرى، فلا تناقض في المعاني، بينما اعتبر المثال الثاني لغوا لأن تقدم الاسم (الضمير) يقتضي نفي الفعل عن الفاعل، ونقض النفي بأداة الاستثناء يقتضي حصول الفعل منه، وفي هذا تناقض، ويعلق سعيد بحيري على الصورة الثانية بالشرح فيقول: "أن هناك تناقض في بنية الاستثناء، إذ يؤدي التخالف بين الدلالة النحوية الناشئة عن العلاقات بين مكونات الجمل، والدلالة العامة للاستعمال إلى تناقض في المعنى"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص126.  
<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص235.

ثم يعرض إلى تقديم المفعول وتأخيره على الفعل، ويرى أن تأخيره في جملة "ما ضربت زيدا" يجعل المعنى يتجه إلى نفي وقوع الفعل على المفعول أو عدم وجوده أصلاً، وإذا تقدم المفعول على الفعل "ما زيدا ضربت" فيتجه المعنى إلى نفي المفعول، أما في حالة وجود أكثر من جملة، فتكون الجملة "ما ضربت زيدا ولا أحداً من الناس" صحيحة وجملة "ما زيدا ضربت ولا أحداً من الناس" خلفاً من القول لأن فيها تناقض في المعاني.

أما حكم الجار والمجرور في جميع ما ذكره حكم المنصوب، فإذا قلت: "ما أمرتك بهذا" كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر، وإذا قلت "ما بهذا أمرتك" كنت قد أمرته بشيء غيره.<sup>1</sup>

### ج/ التقديم والتأخير في الخبر المثبت:

يأتي عبد القاهر الجرجاني إلى القسم الثالث لأقسام التقديم والتأخير ويقدم أهم المفاهيم التي تعلقته بلغة العرب في هذا الباب ويكشف عن المعاني والأغراض التي لأجلها كان التقديم والتأخير في الأبنية اللغوية الخبرية المثبتة، مستشهداً بكلام العرب الفصحاء من النثر ومن الشعر ومن القرآن الكريم، وهذا يثبت أن تقديم المسند إليه على خبره الفعلي، ليس أمراً اعتباطياً بل مقصوداً، يرمي من خلاله المتكلم إلى توصيل معلومة للسامع، بطريقة مخصوصة في التلفظ، ويرى الجرجاني أن تقديم المسند إليه على خبره الفعلي نحو "زيد قد فعل" و"أنا فعلت" و"أنت فعلت" يكون لغرضين، الأول يتجه مقصود المتكلم فيه إلى قصر الفعل وتخصيصه بفاعله وهو المسند إليه، والثاني يكون بغاية تأكيد المعنى في المسند إليه وتقويته.

### 1- التقديم لغرض القصر والتخصيص:

يكون المعنى المحصل من مجموع المكونات اللغوية في خبر المتكلم مطابقاً لقصده، فيتبين غرض تقديم الاسم على الفعل في الخبر المثبت بشكل ظاهر، يقول الجرجاني: "وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون أحد ومثال ذلك أن تقول (أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه)، تريد أن تدعي الانفراد بذلك، والاستبداد به، وتزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت"<sup>2</sup> فالجرجاني يضع المتلقي في مواجهة مع المتكلم، مادام الكلام موجهاً إليه، بحيث تقع على المتلقي مهمة فهم الخطاب وإدراك مضمونه، ويعمد المتكلم من جهته على أن يضمن خطابه المؤشرات اللغوية التي توجه ذهن المخاطب نحو

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 127.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 128.

الغرض الذي يريده، ومن هذه المؤشرات تقديم المسند إليه على خبره الفعلي، يقول الجرجاني (أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شففت في بابه)، واستشهد بقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٥١﴾﴾ التوبة [101]، فالله ينفي عن نبيه ﷺ وعن الناس جميعاً علمهم ومعرفتهم بأحوال المنافقين وأعمالهم، ويختص نفسه جل وعلا بعلم ذلك، ولهذا سيعذب المنافقين مرتين لعظم جرمهم، فالغرض البلاغي من تقديم المسند إليه (نحن) على خبره هو القصر والتخصيص، ويشير ابراهيم شادي إلى أن المتأخرين من أصحاب البلاغة يفسرون قول الجرجاني بين نوعين من القصر، الأول قصر إضافي في "دون واحد آخر" لأن المنفي خاص والثاني قصر حقيقي (دون أحد) لأن المنفي عام.

## 2- التقديم لغرض تأكيد المعنى وتقويته:

لقد وجد الجرجاني في لغة العرب مقاصد أخرى عند تقديم الفاعل على فعله غير الاختصاص من خلال قوله: "أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد، ومثاله قولك: (هو يعطي الجزيل)، و (هو يحب الثناء)، لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه عنه، وتجعله لا يعطي كما يعطي ولا يرغب كما ترغب، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه، وأن تمكن ذلك في نفسه"<sup>1</sup> إن هذا النوع من التقديم للمسند إليه يثير إشكالا بالنسبة لمتلقي الخطاب، لذلك وجب عليه أن يعمل فكره وذهنه في تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم من خطابه، وذلك بتتبع المؤشرات اللغوية المتمثلة في تقديم الفاعل على فعله باقتراحه المثال التالي: (هو يعطي الجزيل، و يحب الثناء)، لأن معنى التخصيص هو أول ما يواجه المتلقي في عملية الفهم، لهذا يقترح الجرجاني مؤشرات أخرى غير ظاهرة لكنها مساعدة على تبين معنى آخر يجده في المثال السابق، وهو أنه لا يوجد ما يدل على وجود نفي يجعل من الضمير مختصاً دون غيره بالعطاء وحب الثناء، وهذا يبعد المتلقي عن الاختصاص، ويفتح بصيرته لإدراك معنا آخر وهو التقديم لغرض التأكيد على المعنى، فمهمة المتلقي ليست سهلة، وفي هذا يقول سعيد بحيري نقلاً عن محمد عبد المطلب: "إن افتراض حضور المتلقي محاوراً،

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص129

ومتداخلا، ومتابعا، جعل عبد القاهر يتوجه إليه بالحديث في كثير من الأحيان، وكأن العلاقة بينه وبين الخطاب الأدبي لا تكون إلا من خلاله، كما أن العلاقة بين المبدع والمتلقي لا تكون إلا من خلال الخطاب<sup>1</sup> و يسوق الجرجاني في بيان هذا الغرض أمثلة من الشعر، منها:

قال الشاعر: هو يفرشون اللبد كل طمرة \*\*\*\* وأجرد سباح يبذ المغاليا

قال الشاعر: هم يضربون الكبش يبرق بيضه \*\*\*\* على وجهه من الدماء سائب

ف نجد أن الشاعر بدأ بذكر الضمير، فقدم الفاعل عن فعله لينبه السامع إليهم، لا لغاية القصر والتخصيص بهم والتعريض بغيرهم، ولكن الشاعر قدم ذكرهم لينبه المتلقي إليهم، فغايتة لا تخرج عن إطار المدح لهؤلاء القوم لإعجابه بهم، ويؤكد معنى كامن في نفسه، يقول الجرجاني: "إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم، ويعلم قصده إليهم بما في نفسه من الصفة، ليمتعه بذلك من الشك، ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه"<sup>2</sup>

وتعود فكرة التقديم إلى سيبويه حين قدم المفعول عن فعله، فرفعه بالابتداء ونصب فعله، وذكر أن الغاية من هذا التقديم تنبيه للمقدم، فكانت نظرتة نحوية خالصة، لكن عبد القاهر عالج هذه المسألة من منطلق مختلف أكثر تطورا حيث عبر بتقديم الفاعل عن فعله أو المسند إليه عن خبره الفعلي، فالبلأغة تتعلق بالمقامات، ومن خلال مدارسته للقرآن الكريم استخرج معاني ودلالات حول التقديم والتأخير، يقول الجرجاني: "وجملة الأمر ليس إعلامك الشيء بغتة غفلا مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمه إضمار"<sup>3</sup>

وقد ذكر عبد القاهر في الدلائل حالات يتقدم فيها الفاعل عن فعله، وغالبا ما يكون الفاعل ضميرا:

### 1- التقديم لغاية التقوية والتأكيد:

ويذكر في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج

[46]، وقوله تعالى أيضا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُلْقِي الْكُفْرُونَ ﴾ [المؤمنون 117]، ففي تقديم الخبر على

الاسم تأثير كبير على المبني اللغوي والمعنى الإيجائي والدلالي، بحيث يزداد الأسلوب من الناحية الفنية جمالا وروعة ويزداد المعنى قوة وتأثيرا في ذهن السامع وحضوره الإدراكي، فيحدث بذلك تماسك وترابط بين

<sup>1</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص 237

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 130/129.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 132



العناصر اللغوية بشكل متميز ومختلف عنه إذا بقيت (الأبصار) و(الكافرون) محافظة على مكانها النحوي كما في قولنا (الأبصار لا تعمى)، و(الكافرون لا يفلحون).

وذكر مواضع من القرآن الكريم، يكون فيها تقديم الحدث عنه مقصودا في مقامات معينة مثل مقام الإنكار نحو قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾** [75]، **آل عمران**، فقدم الضمير (هم) على فعله ليؤكد إنكارهم، وعلمهم أن ما يقولونه افتراء وكذب على الله، ومقام التكذيب في قوله تعالى **﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾** **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ** [61] **المائدة**، فهنا تقديم الضمير والذي يعود على المنافقين فيه، تأكيد وإبراز لما تكنه صدورهم، وهو كفرهم، فلم يدخل الإيمان قلوبهم حتى يخرج منها.

## 2- التقديم بعد واو الحال:

يستخلص محمد إبراهيم شادي من كلام الجرجاني، وانطلاقا من الأمثلة التي قدمها هذا الأخير حول التقديم والتأخير المسبوق بـ(واو الحال) أن: "حاصل ما سبق أن الفعل إذا جاء بعد واو الحال، وكان ماضيا، صح من غير بلاغة فيه، مثل (أتاني وقد طلعت الشمس)، والبليغ فيه أن يتقدم الاسم (أتاني والشمس قد طلعت)، أما إذا كان الفعل مضارعا، فلا يصح النظر إلا بتقدم الاسم وبناء الفعل عليه"<sup>1</sup>، وقد قدم الجرجاني أمثلة من النثر والشعر وآيات من القرآن الكريم، ليبرهن أن التقديم والتأخير من بلاغة الكلام وحسن نظمه، وقد علق هذه المسألة سعيد بحيري بقوله: "وقد تسوغ بناء الجملتين تارة تقدم الضمير وتارة بوقوع الفعل مباشرة بعد واو الحال الالتزام بقاعدة نحوية في المقام الأول تجيز هاتين الإمكانيتين مع الفعل الماضي. أما مع صيغة المضارع، فلا يصح فيها إلا أن يبني الفعل على اسم متقدم مثل (رأيتَه وهو يكتب)، فجملة: (وهو يكتب)، لها زمن مستمر، ولكن في إطار زمن الجملة الرئيسي، وهو الزمن الماضي، ويؤدي حذف الضمير إلى الانقطاع بين الزمنيين، وتصير هناك جملتان مستقلتان، ومن ثم تؤدي مخالفة تلك القاعدة النحوية التي تكون جملة غير صحيحة نحويا"<sup>2</sup>

ففي حالة الفعل الماضي، أورد الجرجاني قوله تعالى **﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾** **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ** [61]، في هذه الآية سبق الفعل الماضي بمؤكدين الأول (قد) التي تفيد التحقيق، والثاني تقدم الفاعل على الفعل، فأتى الكلام بليغا من حيث تضافر المؤكدات مع الفعل الماضي، إن المقام هو تكذيب الله تعالى للمنافقين، فهو يعلم سرهم وجهرهم، فقد آمنوا بألسنتهم، لكن لم

<sup>1</sup> محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، دار البقين، مصر، ط2، 2013، ص 212

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص242



يخرج الكفر من قلوبهم، فقد جاءت الآية في بناء لغوي بدیع ورائع، تكذبه ما جاء بعدها بما وصفه تعالى أنه حالهم ثابت لم يتغير دخولهم وخروجهم بالكفر، فكشف كذبهم ونفاقهم، فتقديم الضمير على الفعل إشارة لهم وتأكيد على إنكار إدعاءهم الإيمان.

والحالة الثانية والمتعلقة بالبنية اللغوية التي يكون فيها المسند إليه مع خبره الفعلي الذي فعله مضارع، أورد الجرجاني النصوص القرآنية التالية:

✓ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥ ﴾ **آل عمران [75]**، حيث تقدم ذكر الضمير تبيينها للمتلقى من الله تعالى يكشف من خلاله إنكار المكذبين وافتراءهم على الله بالكذب مع علمهم بذلك، فقدم الضمير أولاً ليوجه نظر المتلقي بسمعه وذهنه إلى هذه البنية اللغوية (وهم يعلمون) وحقق المؤشر اللغوي المتمثل في تقديم الاسم الضمير وبناء الفعل المضارع عليه بلاغة مؤثرة من حيث المبنى، الفعل المضارع يدل على الاستمرارية في الزمن، وحذف اسمه المتقدم عليه وهو الضمير (هم) يخل بالصحة النحوية للبنية اللغوية خلافاً للفعل الماضي الذي سبقت الإشارة إليه، ومن حيث المعنى، فتقدم الضمير مؤكداً ورابطاً بين كلام سابق وكلام لاحق، فوجوده ضرورة وغيابه فساد في المعنى، يقول الجرجاني: "...تجد المعنى لا يستقيم إلا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم"<sup>1</sup>، وهذه خصوصية في بناء المعنى لا يستقيم إلا بها، والتأكيد في الآية يدخل ضمن مقام التكذيب لعظم الجرم الذي صدر عنهم، ونقض إنكارهم، كما سبقت البنية اللغوية بـ(واو الحال).

✓ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِيَّ ءِالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ٣ ﴾ **الفرقان [3]**، فتقديم الضمير على فعله يزيد الآية قوة وتأكيدها على أن ما يدعونه آلهة خلق كسائر ما خلق الله تعالى، وقبل الضمير جاءت الواو لتبين حالهم. ونفس التحليل ينطبق على هذه الآيات.

✓ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٥ ﴾ **الفرقان [5]**

✓ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالظَّلِيرِ فَهَمُّ يُوزَعُونَ ١٧ ﴾ **النمل [17]**

✓ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ١٦٦ ﴾ **الأعراف [196]**

### 3- التقديم في الخبر المنفي:

يقول الجرجاني: "واعلم أن هذا الصنيع يقتضي في الفعل المنفي ما اقتضاه في المثبت، فإذا قلت (أنت لا تحسن هذا) وكان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول: (لا تحسن هذا)، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجاباً بنفسه، وأعرض دعوى في أنه يحسن حتى إنك لو أتيت بـ(أنت) فيما بعد (تحسن)

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 137.

فقلت: لاحتسنت أنت، لم يكن له تلك القوة"، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿المؤمنون [59]﴾، يشرح هذه الآية مُجَدِّ إبراهيم شادي فيقول: "المحدث عنه في الأصل هو اسم الموصول (الذين)، لكن ترتب على انفصال الضمير (هم) من الفعل (يشركون)، وتقدمه عليه أن يبنى عليه الفعل مع اسم الموصول، وأدى هذا إلى تأكيد نفي الشرك عنهم، وهذه الصياغة شائعة في سورة المؤمنون"<sup>1</sup>.

وقوله ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يس [7]﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأنفال [55]﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿القصص [22]﴾

### ❖ الحذف:

وضعه عبد القاهر في المرتبة الثانية بعد التقديم والتأخير، ويعرفه بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"<sup>2</sup> فالحذف يقتضي من المتكلم أن يسلك طريقة في صياغة الكلام، ملتزما بالإيجاز، ويكون الحذف في مواضع بعينها وليس أمرا عشوائيا وإلا حدث خلل وتصدع في بناء الكلام ينتج عنه فساد في المعنى، ويشبه الجرجاني من يتقن الحذف بمن يحترف السحر إذ بالحذف يظهر الكلام أكثر جمالا وروعة من الإفصاح عن المحذوف، فتنبهر به العقول والألباب.

ويظهر الجمال البلاغي للحذف من خلال طرح البديل أي ذكر المحذوف، وذلك حتى يستشعر المخاطب حلاوة المحذوف، بحيث يصنع موازنة بين حالة الحذف وحالة الذكر، ويستعمل في ذلك أدوات يقيس بها بلاغة الحذف وهي: اللسان والطبع البلاغي والسمع، فيعرف من خلالها فضيلة الحذف، يرى سعيد بحيري "أن الحذف ظاهرة لغوية بارزة في اللغة العربية، ويؤدي البحث في أبنيتها وصوره إلى الكشف عن بعض أسرار النظم، غير أن قيمة هذه الظاهرة اللغوية التي تستلزم الوقوف على دقائقها، تتطلب قدرة خاصة لدى المفسر"<sup>3</sup>.

لم يكتف الجرجاني بوصف الظاهرة وإنما درس الحذف فبحث عن أسباب اختيار الحذف والعدول عن الذكر، وميز بين الأغراض المختلفة للحذف والتي تجعل المتكلم يؤثر استخدام أبنية الحذف في مختلف الخطابات، ودور العناصر اللغوية وغير اللغوية في تفسير البنية المحذوفة، ونجد الجرجاني يكثر من لغة الشعر في تفصيل مسائل هذا الباب.

<sup>1</sup> مجد إبراهيم شادي، المرجع السابق، ص 213.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني المرجع السابق، ص 146.

<sup>3</sup> سعيد بحيري، المرجع السابق، ص 247.

1- أسباب الحذف:

ذكر الجرجاني في أسرار البلاغة أسباب الحذف بقوله "أن الكلام إذا امتنع جملة على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف أو إسقاط مذكور، كان على وجهين:

-أحدهما: أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم، ومثاله أنك لو رأيت (سل القرية) في غير التنزيل، لم تقطع بأن ههنا محذوفاً، لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت وباد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً، أو لنفسه متعظاً ومعتبراً: (سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا).

-الوجه الثاني: أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بحذف من أجل الكلام نفسه، لا من حيث غرض المتكلم به ، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزأي الجملة"<sup>1</sup>

يميز الجرجاني بين نوعين من الحذف في اللغة العربية، الأول يعود إلى قصد المتكلم والمعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب، وهذه قرائن غير لغوية تقع خارج النص، والأصل في الكلام الحذف، لذلك وجد أن جملة (سل القرية) في القرآن الكريم تختلف عنها إذا قيلت في مقام آخر وبقصد مختلف، والثاني أن الحذف يعود لسبب نحوي فيخضع لقواعد النحو، فدرس النحاة مسائله وكشفوا مواضع الحذف وجوبا وجوازا، وهذا النوع من الحذف هو ما اعتنى به عبد القاهر الجرجاني وبين أسرار ومحاسنه في بلاغة الكلام وأصول النظم.

2- أنواع الحذف في اللغة العربية :

➤ الحذف في الجملة الاسمية:

وجد عبد القاهر أن الكلام العربي يكثر فيه حذف المبتدأ، فقصر الحديث على عليه، من خلال الأمثلة الشعرية الكثيرة التي أوردتها، ويبدأ بالقول: "وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر، وأنا أكتب لك بدينا أمثلة مما عرض فيه الحذف ثم أنبهك على صحة ما أشرت إليه، وأقيم الحجة من ذلك"<sup>2</sup> ومن الأمثلة التي جاءت في هذا الباب، شاعر يخاطب امرأته و قد لامته على الجود:

قال سمية: قد غويت، بأن رأيت \*\*\*\*حقا تناوب مالنا و وقود

غنيٍّ أحمرك لا أزال أعوده \*\*\*\* ما دام مال عندنا موجود<sup>3</sup>

فالحذف موجود في البيت الثاني، وهو حذف للمبتدأ (ذاك)، والتقدير (ذاك غني)، وحذفه أحسن من ذكره.

-و قول الشاعر بكر بن النطاح في جارية يحبها:

العين تبدي الحب و البغضا \*\*\*\* وتظهر الأبرام والنقضا

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص421 و 422.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق (دلائل الإعجاز)، ص 146

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 152

درة ما أنصفتني في الهوى\*\*\*\* ولا رحمت الجسد المنضى

غضبي ولا والله يا أهلها\*\*\*\* لا أطعم البارد أو ترضى

الحذف موجود في مطلع البيت الأخير والتقدير (هي غضبي)، فأضمر المبتدأ وكان في الحذف حسن وجمال في النظم أفضل من أن يذكر، فالذوق البلاغي يقتضي تغييب الضمير (هي)، يقول الجرجاني: "فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به"<sup>1</sup>، وهكذا يتحقق في الحذف أمران:

-عدم وقوع فساد نحوي، أي تحقق شرط الصحة النحوية.

-الأثر النفسي أي الحكم القيمي، ويستند الأول إلى أحكام النحو، أما الثاني فيرتكز على حس المخاطب، وذوقه وقدرته على تقدير قيمة ذلك الحذف.

### ➤ الحذف في الجملة الفعلية:

قبل الحوض في العناصر التي شملها الحذف في اللغة العربية ولغة القرآن، أوضح الجرجاني عناصر الجملة الفعلية المكونة من (فعل + فاعل + مفعول) وعلاقات هذه العناصر مع بعضها، وتحديد علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل وعلاقة التعدي بين الفعل والمفعول، ثم تحديد العنصر الذي يقع عليه الحذف فيكون حذفه أبلغ من ذكره، وهنا يظهر فعل المخاطب ومدى فهمه للعنصر المحذوف، فيقول الجرجاني: "وهنا أصل يجب ضبطه، وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه، حاله مع الفاعل، فكما أنك إذا قلت (ضرب زيد)، فأسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلاً له، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق، كذلك إذا عدت الفعل إلى المفعول فقلت (ضرب زيد عمراً)، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول، وبالتالي وقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما، إنما كان من أجل أن علم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما، فعمل الرفع في الفاعل، ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب في المفعول، ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه"<sup>2</sup>

### 1- حذف المفعول لإثبات معنى الفعل لا غير:

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 153

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 153

وجد الجرجاني أن أغراض المتكلمين لها دور في حذف المفعول أو ذكره فيقول: "اعلم أن أغراض الناس في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلاً في أنك لا ترى له مفعولاً، لا لفظاً ولا تقديراً"<sup>1</sup>

فمن أغراض الحذف إثبات الفعل للفاعل والعناية بالفاعل دون الالتفات إلى المفعول، ويورد الجرجاني أمثلة يتضح من خلالها مقصده في حذف المفعول بقوله: "ومثال ذلك قول الناس: "فلان يحل و يعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع" وكقولهم: "هو يعطي ويجزل، ويقري ويضيف"، المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة، من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت: "صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد، وأمر ونهي وضر ونفع" وعلى هذا القياس"<sup>2</sup>، كما يستشهد الجرجاني بنصوص قرآنية منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۝﴾ النجم [43، 44]

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝﴾ غافر [68]

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ الزمر [9]

فالأفعال التي وردت في الآيات القرآنية وهي (أضحك، أبكى، أمات، أحيا) كلها أفعال متعدية إلى مفعول في طبيعتها النحوية، غير أن المفعول محذوف في كل حالة، وهذا لغرض محدد وهو إثبات معاني هذه الأفعال لله عز و جل، وهي الإضحاك والإبكاء والإحياء، والإماتة، فقصد المتكلم بالقرآن يتجه إلى غرض آخر وهو اختصاص الله تعالى بهذه الأفعال، وذكر المفعول يغير حتما المعنى وغرض الشارع، يقول الجرجاني: "وهكذا في كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، فإن الفعل لا يتعدى هناك، لأن تعديته تنقص الغرض وتغير المعنى"

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا

خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ

إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝﴾ القصص [23، 24]، يقول الجرجاني في هذه الآية، أنه وجد حذفاً للمفعول في أربعة مواضع ذكرها الجرجاني بقوله: "إذ المعنى، وجد عليه أمة من الناس يسقون (أغنامهم أو

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 154

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 154

مواشيهم)، وامرأتين تذودان (غنمهما)، وقالتا لانسقي (غنمنا) فسقى لهما (غنمهما)<sup>1</sup>، فكان الإضمار أبلغ من الذكر، وعلاقة التعدي بقيت محل تقدير يدل عليها الفعل المطلق، واقتصر على إثبات الفعل للفاعل، فترجح علاقة الإسناد على علاقة التعدي.

## 2- قصد التعدي للمفعول مع حذفه:

قال الجرجاني: "أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم، إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، وينقسم إلى جلي لا صنعة فيه، وخفي تدخله الصنعة، فمثال الجلي قولهم: "أصغيت إليه" وهم يريدون "أذني"، وأغضيت عليه، والمعنى "جفني"<sup>2</sup>، لقد أثبت الجرجاني في كلام العرب أن حذف المفعول يدل عليه سياق الحال ويميز بين قسمين من الحذف: حذف جلي ظاهر، وآخر خفي تدخله الصنعة والإبداع، فيظهر جماله الفني و ذوقه البلاغي، فراح يذكر في هذا النوع الكثير من الشواهد الشعرية منها قول البحترى يمدح الخليفة المعتز:

شجو حساده وغيظ عداه \*\*\*\*\* أن يرى مبصرا و يسمع واع

يكشف البحترى الحقد والبغض الذي يكنه الحساد للخليفة المعتز، فحذف المفعول في قوله (أن يرى مبصرا ويسمع واع) والتقدير أن يرى مبصرا محاسنه وأوصافه، ويسمع واع أخباره، وهكذا حصل على معنى شريف وغرض محدد وفي التزام الحذف من البحترى نظرة ثاقبة والتفاتة ذكية، لأنه إذا ذكر المفعول به وهو المحاسن والأخبار والأوصاف وكلها تتعلق بالخليفة المعتز، في المقابل يكون بذكرها تعريض وتجريح بالخليفة المستعين بصورة غير مباشرة، فظهر في الحذف إثبات الفعل للفاعل فقط، فالحذف في هذا البيت كان أفصح وأبلغ من الذكر، ولا يمكن أن يتعرف المخاطب جمالية الحذف وغرضه الخفي إلا من خلال دراسة السياق والظروف المحيطة بالشاعر، يقول الجرجاني: "أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه، إما بجري ذكر، أو دليل حال، إلا أنك تنسيه نفسك، وتخفيه، وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول"<sup>3</sup>

وذكر الجرجاني أبيات من الشعر لطيفيل الغنوي يشيد فيها بمواقف بني جعفر مع قبيلته ونبيل خصالهم و مروءتهم:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت \*\*\*\*\* بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا، و لو أن أمنا \*\*\*\*\* تلاقى الذي لاقوه منا مللت

هم خلطونا بالنفوس و الجأوا \*\*\*\*\* إلى حجرات أدفأت و أظلت

<sup>1</sup> محمد إبراهيم شادي، المرجع السابق، ص 241

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 155

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 155 و 156

فالحذف كان مقصودا في أربعة مواضع هي (ملت/ ألقأوا / أدفأت/ أظلت)، والتقدير (ملتنا أمهاتنا)/ (ألقأونا بنو جعفر)/(أدفأتنا وأظلتنا الحجرات)، فحذفت نون الجماعة (نا) وهي المفعول المقصود وهم قوم طفيل، وقد أضفى هذا الحذف جمالا ورونقا على هذه الأبيات أحسن من ذكره، والقصد من الحذف هنا هو إثبات الأفعال لأصحابها، والإشادة بخصالهم النبيلة التي يتصف بها بنو جعفر.

### ➤ الإضمار على شريطة التفسير:

هناك وجه آخر من وجوه الحذف البلاغي ويسميه الإضمار، ذكره الجرجاني في كتابه بقوله: "هذا نوع منه آخر: اعلم أن ها هنا بابا من الإضمار والحذف يسمى "الإضمار على شريطة التفسير" وذلك مثل قولهم: أكرمني وأكرمت عبد الله"، أردت: "أكرمني عبد الله و أكرمت عبد الله"، ثم تركت ذكره في الأول استغناء بذكره في الثاني، فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر، وشيء لا يعبأ به"<sup>1</sup> ويستعين في هذا النوع بالشواهد شعرية، كقول البحري: لو شئت لم تفسد سماحة حاتم\*\*\*\*\*كرما و لم تهدم مآثر خالد فقد حذفت في البيت عبارة (ألا تفسد)، واستدل عليها بقرينة لغوية وهي قوله (لم تفسد) والتقدير (لو شئت ألا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها)، وبهذا يتفادى التكرار في اللفظ والمعنى، ومثلها في قوله (ولم تهدم) فهي معطوفة على الجملة الأولى و كليهما مرتبطان بفعل المشيئة، والمخدوف في الشطر الثاني (ألا تهدم)، ومن الشواهد القرآنية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ النحل [9]، والتقدير لو شاء الله أن يهديكم، هداكم أجمعين، وقوله تعالى ﴿ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ﴾ ﴿ الأنعام [35] والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم، فكان من الأفضل الاستغناء على دلالة الأول وذكره بعد ذلك، وتبين أن المخدوف والمذكور يشيران إلى دال واحد:(الهداية) في الآية الأولى ، و(الجمع) في الثانية ، ويكون الحذف بعد فعل المشيئة، وتقع القرينة الدالة عليه في جواب الشرط.

### ➤ تأثير فعل المشيئة (شاء) في ذكر المفعول وحذفه:

لقد وجد الجرجاني أثر فعل المشيئة على ذكر المفعول وحذفه في كلام العرب فيتوجب ذكر المفعول متى كان في الكلام أمر عظيم وشيء جديد يخرج عن عادة العرب، كما في قول الشاعر:

و لو شئت أن أبكي دما لبكيتة\*\*\*\*\*عليه و لكن ساحة الصبر أوسع "<sup>2</sup>

فالأصل في البكاء أن يكون بالدمع، لكنّ الحالة التي بلغها الشاعر من فقد محبوبه، وصلت به حتى جفت دموعه، و وجد في الدماء طريقا للبكاء، فجاء بأمر غير مألوف، وهو البكاء دما، فكان ذكر المفعول وهو

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 163  
<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 164



المصدر المؤول من (أن أبكي) أحسن وأفصح وأبلغ من إضماره حتى يستأنس به المخاطب وتألفه الأذن، أما إذا كان الكلام أمراً عادياً ومتداولاً، فلا أثر لفعل المشيئة وبالتالي وجب الحذف، قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٣١﴾، والتقدير لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي قلنا، فكان اسم الإشارة متضمناً لكل القول المذكور سابقاً، وحذف المفعول بالتبعية، وهذا فيه ربط السابق باللاحق بطريق الإحالة القبلية لتظهر مزية النظم بشكل بديع و يكون النص أشد وقعاً على أذن السامع.

ويحسن حذف المفعول لفعل المشيئة (شاء) بعد حروف الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣٩﴾ الأنعام [39] فالتقدير من يشأ إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله، فحذف المفعول بعد حرف الشرط وارد في اللغة العربية.

### ❖ الفصل و الوصل:

يعد هذا المبحث البلاغي من المفاهيم النصية التي ظهر فيها التماسك النصي بالمفهوم الحديث لعلم النص، درسه الجرجاني فوجده باباً دقيق المسلك، وصعب المأخذ لغموضه، ولا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص، ومنهم من جعل البلاغة هي معرفة الفصل والوصل، ويعرفه عبد القاهر بأنه "ما يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى" <sup>1</sup> إن الحديث عن فصل الجمل ووصلها يعد مبحثاً هاماً في البلاغة العربية، حيث تجاوز فيه الجرجاني عمل النحاة وأحكام النحو المتعلقة بوصف الجملة، واهتم بتتابع الجمل ودرس العلاقات المختلفة التي تنشأ عن هذا التتابع الجملي، وميّز فيها بين التتابع الذي يحقق كلاماً ذا فائدة وبين التتابع الفاسد معتمداً في ذلك على ما نطق به اللسان العربي، وهذه المسألة تعد من المفاهيم الأساسية التي انطلق منها نحو النص، فقد تكلم المؤسس الفعلي لنحو النص (تون فان دايك) عن الأحكام التي تتعلق بوصف الجمل المتتابعة، حيث اتخذ من النحو والدلالة منهجاً في التحليل يقول: "ويجب أن يقدم انسجاماً مع أهداف النحو، وصف لتتابع الجمل يعد أساساً للمنطوق اللغوي، ما التتابعات الجميلية الممكنة الموجودة في لغة ما، وكيف تحدد البنية النحوية والدلالية لجملة أو عدة جمل في التتابع...، وعلى الرغم مما قيل أيضاً من ورود علاقات مورفولوجية وتركيبية بين جمل التتابع، فإنه يتضح أن العلاقات بين الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثم يستند فيها إلى معنى الجمل والإحالة" <sup>2</sup>، ويميز فان دايك بين الجمل المركبة والتتابع الجملي من جهة وبين التتابعات

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 222

<sup>2</sup> فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص 46



الجمالية الممكنة والأخرى المستبعدة ولا يكون ذلك إلا بوصف للعلاقات الناشئة عنهما من الجوانب الدلالية والنحوية أيضا، وهذا يسميه بقيود ترابط التتابعات.

ولقد وضع عبد القاهر الجرجاني أحكام الفصل والوصل فوجد أن الجمل فيه على ثلاثة أضرب:

- 1- "جملة حالها مع التي قبلها، حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة شبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.
  - 2- وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في الحكم ويدخل معه في المعنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه، فيكون حقها العطف.
  - 3- وجملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم، لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركة له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأسا، وحق هذا ترك العطف البتة.
- فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين فاعرفه"<sup>1</sup>.

#### • الوصل ( العطف):

وبدأ بإظهار عمل العطف وفائدته على الاسم المفرد، لأنه يشرك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم الإعرابي لاشتراكهما في نفس الفعل فتتحقق بذلك الصحة النحوية ويحاول أن ينتقل بعمل العطف إلى الجمل و يبين أحكام هذا

العطف من الناحية النحوية والبلاغية، فيقول: "إن الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين :

أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع الفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا، والإشراك بها في الحكم موجودا، فإذا قلت: "مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح" كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة، ونظائر ذلك تكثر، والأمر فيها يسهل والذي يشكل أمره الضرب الثاني: وذلك أن تعطف على الجملة العاربية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك "زيد قائم وعمرو قاعد"، و"العلم حسن و الجهل قبيح" ولا سبيل لنا إلى أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك، فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 243

العطف والمغزى منه، ولم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف، فتقول: "زيد قائم، وعمرو قاعد" بعد أن لا يكون هنا معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين الأولى والثانية فيه؟<sup>1</sup>

لقد استخرج الجرجاني الأحكام النحوية والبلاغية التي تقتضي عطف الجمل على بعضها، فوجد:

- أن يكون العطف بين الجمل بأدوات الربط النحوية أشهرها تداولاً في الكلام الواو (و)، فينشأ عن علاقة الربط جملة معطوفة وجملة معطوف عليها، وهنا يميز بين عمل الواو وأدوات الربط الأخرى وهي ( الفاء- ثم- أو -أم- بل- لكن،.....) حيث أنه يقتصر عمل الواو في العطف على إشراك الجملة اللاحقة مع الجملة السابقة في الإعراب لاشتراكهما في المعنى، بينما تضيف الأدوات الأخرى إلى ذلك العمل، فائدة أخرى، يقول الجرجاني: "واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني، مثل أن(الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ و(ثم) توجبه مع تراخ و(أو) تردد الفعل بين الشيئين، وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة(....) وليس (للاو) معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعته فيه الثاني الأول"<sup>2</sup>

- النظر إلى الجملة الأولى التي تسمى في عرف النحويين المعطوف عليها وتتضمن متحدث عنه أو مخبر عنه، فهي التي يقاس عليها في إثبات حكم العطف والربط، فإذا كان لها محل من الإعراب، تأخذ الحكم الإعرابي للاسم المفرد، وتأخذ الجمل المعطوفة حكم الجملة الأولى.

- أن تكون أداة الربط موجودة وظاهرة في التركيب وتؤدي معنى الربط وليس معنى آخر مثل واو الحال.

- أن توجد مناسبة بين الجمل التي تدخل في مجال العطف سواء معطوفة أو معطوف عليها، بحيث تنشأ علاقات دلالية بين الجمل تقتضي وجود علاقة السببية بينها أيضاً، وإلا فسد العطف وانقطع الاتصال يقول الجرجاني في هذه المسألة: "...إن جئت فعطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب، ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل بحديثه لم يستقم، ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله :

لا و الذي هو عالم أن النوى\*\*\*\*صبر وأن أبا الحسين كريم

وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر"<sup>3</sup>

إن اتصال الجملتين (أن النوى صبر) و (أن أبا الحسين كريم) لا يشوبه عيب من حيث الصحة

النحوية فالجملة الثانية تأخذ الحكم الإعرابي للجملة الأولى وهي أنها واقعة في محل رفع صفة، بينما المستوى

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 224

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني المرجع نفسه، ص224

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 225

الدلالي يكشف عن وجود خلل في كلام أبي تمام، فلا توجد أية علاقة دلالية بين الجملتين، فحبل الوصل بينهما منقطع والصحة الدلالية مفقودة، والمشكل الذي يظل قائماً، هل يتحقق العطف بالصحة النحوية أم الصحة الدلالية؟

يرى الجرجاني بضرورة وجود تناسب بين الجمل من حيث الدلالة حتى يتم العطف بينها، ويظهر التماسك في المعنى قبل المبنى فيقول: "كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول، فلو قلت (زيد طويل القامة وعمرو شاعر) كان خلفاً، لأنه لا مشكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر وإنما الواجب أن يقال: (زيد كاتب و عمرو شاعر)، و (زيد طويل القامة وعمرو قصير)"<sup>1</sup>، وهذا أمر تؤكد عليه كل الدراسات التي تهتم بالدلالة، يقول جون لاينز: "إن علينا أن لا نعد استقامة النحو مطابقاً لقبول الجملة، فالجمل جميعها سليمة التركيب نحويًا، والتركيب الدلالي السليم شرط في القبول، وكذلك موافقة الجملة للسياق شرط أساسي أيضاً"<sup>2</sup>

### • ترك العطف بين الجمل:

لا يتم الربط بين الجمل إلا في وجود أدوات نحوية أهمها حرف العطف والربط الواو، غير أن السياق قد يفرض الاستغناء عن هذه الأداة واستبعادها بين الجمل، وقد ذكر الجرجاني الحالات التي يترك فيها العطف ليظهر التماسك والترايط بين الجمل، فإذا عمل العطف في هذه المقامات فسد المعنى واختل البناء اللغوي، وهي:

### 1- التوكيد والبيان مع التوكيد:

يورد الجرجاني شواهد قرآنية لا يظهر معها الربط والعطف بين الآيات، لأن المقام الذي جاءت فيه توكيد لما قبلها سواء كان توكيداً بإثبات أمر، أو توكيداً وإثباتاً لنفي، وترك العطف في تلك المواضع هو الواجب في الاستعمال، لأن الآيات المؤكدة تعمل على تفسير وبيان حال لما قبلها من هذه الشواهد.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة، 1، 2]، فقوله (لَا رَيْبَ فِيهِ) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله (ذَلِكَ الْكِتَابُ) والتقدير (هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب)

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة، 6، 7] فقوله (لا يؤمنون) و(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) مؤكدان لقوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 225

<sup>2</sup> جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص133

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ البقرة [8، 9] من فآلاية (9) تأكيد لحال من يقول أنه آمن ولم يؤمن، فكانت بمثابة تفسير و كشف لحالهم.

- ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ١١ البقرة 14

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ١٥ البقرة [15]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَآتَىٰ مَسْئِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلْيَسٍ ﴾ ٧ لقمان [7]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ٣١ يوسف [31]

كما يكون الإثبات والتأكيد بـ (إن) و(إلا)، بحيث يتعلق بإثبات وتأکید جملة منفية سابقة.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ١٦ يس [69]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ٤ النجم [3، 4]

## 2- القطع و الاستئناف:

لقد استسهل بعض العلماء أن يرجعوا ترك العطف إلى سبب القطع والاستئناف، ويرى عبد القاهر في ذلك عيبا وغفلة منهم فيقول: "...وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا: (إن الكلام قد استؤنف و قطع عما قبله) لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك، ولقد غفلوا غفلة شديدة"<sup>1</sup> لأنهم نظروا إلى ظاهر النص، واعتبروا أن كل استئناف يعد معنى جديدا وابتعدوا عن العلاقات المعنوية التي تسهم في تماسك النص القرآني وهذا أمر يرفضه الجرجاني، ومما هو أصل في هذا الباب أنك ترى الجملة وحالها مع التي قبلها، حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عارض فيها، صارت به أجنبية مما قبلها"<sup>2</sup>، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ١١ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ

وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ البقرة [14، 15]، فجملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) تدخل ضمن مقولة المنافقين، بينما (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) خبر من الله تعالى فيما سيفعل في شأنهم، فالجملتان لا تشتركان في الحكم حتى يتم العطف بينهما بالواو، بل كانت الجملة الثانية ردا على مقولتهم واعتراضا، فوجب قطع الأولى وإنهاءها باستئناف جملة خبرية، تكون جوابا على كلامهم، وإدراج الواو بينهما يفسد المعنى، وطريقة الحوار تستدعي القطع والاستئناف بين المتخاطبين.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 231

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 231

"يكون القطع والاستئناف بأداة الاستفتاح (ألا)، بحيث تنفصل الجملة السابقة عن اللاحقة في قوله  
 \_\_\_\_\_ الى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا  
 يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة 12/11 فالظاهر أن أداة الاستفتاح كان لها تأثير في الفصل بين الجملتين باعتبار أن  
 وظيفتها النحوية أنها تفيد الاستفتاح وبداية الكلام، لكن المتمعن في الآيتين يظهر له أن القطع وعدم  
 الوصل بينهما راجع إلى عدم اشتراكهما في الحكم، لأن جملة (إنما نحن مصلحون) مقولة الكافرين،  
 بينما (إنهم هم المفسدون) خبر من الله تعالى ردا على مقولتهم المضللة، فلو أدرجت واو العطف والوصل  
 لأدخل خبر الله عنهم ضمن مقولتهم وهذا يفسد المعنى، وقد أورد الجرجاني قطعاً آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا  
 قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣﴾  
 البقرة [13]."<sup>1</sup>

### 3- اختلاف الجملتين خبراً و إنشاء:

ويقصد بها الجرجاني ألا يعطف الخبر على الاستفهام، واتخذ الآية السابقة مثالا هنا أيضا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ  
 لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ البقرة [13]،  
 فقد جاء قول المنافقين حاملا استفهاما بالهمزة (قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ) تلاه استفتاح يخبر به عن حقيقة هؤلاء  
 المنافقين (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ) فلا مجال لعطف الخبر على جملتهم الاستفهامية لأنه سبحانه وتعالى  
 قدم جوابا يعارض فيه كلامهم.

ساق الجرجاني بعض الشواهد الشعرية يثبت من خلالها لغة العرب في ترك العطف بطريق الاستئناف، ويعتبر هذا بلاغة

الكلام، فيذكر قول شاعر "زعم العواذل أنني في غمرة\*\*\*\*\*صدقوا و لكن غمري لا تنجلي

وقال آخر في شعر الحماسة زعم العواذل أن ناقة جندب\*\*\*\*\*بجنوب خبت و أجمت

كذب العواذل لو رأين مناخنا\*\*\*\*\*بالقادية قلن: لج و ذلت"<sup>2</sup>

وقال الشاعر اليزيدي

"ملكته حبلي و لكنه\*\*\*\*\*ألقاه من زهد على غاري

وقال إني في الهوى كاذب\*\*\*\*\*انتقم الله من الكاذب"<sup>3</sup>

وقال آخر

قال لي كيف أنت قلت عليل\*\*\*\*\*سهر دائم و حزن طويل"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 232

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 236

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 237

لقد ثبت عن الشيخ الجرجاني أن لفظ (قال) يأتي مفصلاً عما قبله غير معطوف، لأن المقام الذي وردت فيه يفيد الحوار بين متكلم يسأل ومخاطب يجيب، وهو المعمول به في لغة العرب عادة، يقول في هذه الجزئية: "واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ (قال) مفصلاً غير معطوف، وهذا هو التقدير فيه، والله أعلم"<sup>2</sup>، وبهذا يأتي لفظ (قال) وما بعده على صورة القطع والاستئناف، ومن أجل ذلك يعرض الجرجاني الشواهد القرآنية التي تؤكد أن في ترك العطف بلاغة وتماسك، بحيث تظهر لغة الحوار في النص القرآني أكثر حركة ووقعا في أذن السامع،

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ بْنِ كَثِيرٍ الْمُرِّيِّ ﴾ ١٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْنَا قَالَ سَلِّمُوا قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿١٥﴾ فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَجَاءَ بِعَبْلٍ سَمِينٍ ﴿١٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا نَخَفُ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿١٨﴾ ﴿الذاريات [24-28]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ١٢ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴿الشعراء [23-31]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ١٣ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَمَّا يَنْزِلُ الْإِنشَارِ ﴿١٦﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسِّنَنَّكُمْ مِنَّا عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ قَالُوا طَلِّئِكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُونَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِدُّكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿يس [13-21]

● الجملة لا تعطف على ما يليها مباشرة:

يظهر أن الجرجاني ربط بين النحو والدلالة، أو بين المبني والمعنى، بل إنه أولى عناية للمعنى حين خرج على قاعدة العطف التي تقتضي ألا يكون العطف إلا بين جملتين متاليتين، لكن ما وجدوه في القرآن الكريم جعلهم يسهمون في تطور النحو والبلاغة حين يتبعون قصيدة المتكلم من خلال التفاسير، فالعطف قد يتجاوز الجملة والجملتين ليتحقق عمله، نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 236 و 237  
<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 241.

مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ القصص [44، 45]

فيشرح عبد الفتاح لاشين هذا العطف بقوله: "لو جريت على الظاهر، فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها، منع منه المعنى، وذلك أنه يلزم منه أن يكون قوله (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) معطوفاً على قوله (فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) وذلك يقتضي دخوله في معنى (لكن)، ويصير كأنه قيل، ولكنك ما كنت ثاوياً، وذلك ما لا يخفى فساد<sup>1</sup>، وإذا كان كذلك بان منه أنه ينبغي أن يكون قد عطف مجموع (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾) على مجموع قوله ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ عَزْرَةَ إِذْ قَضَيْتَ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، فهذا قول عبد القاهر في أحكام الفصل والوصل<sup>2</sup>.

#### • النص القرآني بين الاستقامة النحوية والصحة الدلالية:

لقد أورد الجرجاني بعض النماذج النصية من القرآن الكريم يظهر فيها تعارض بين التركيب النحوي والمعنى الدلالي ويبرز في تحليله لها سلطة المعنى و قصدية المتكلم بالقرآن في توجيه المتلقي لفهم الصياغة اللغوية للآيات بالشكل الصحيح:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الإسراء [110]، فيظهر من السياق اللغوي أن هناك تعدد في الآلهة، لأن أداة الربط (أو) تفيد التخيير بين أمرين، وهنا يكون التخيير بين الله وبين الرحمن، على اعتبار أنهما مختلفان، غير أن ضمير الغائب في (فَلَهُ) يعود على لفظ واحد، فلو كان الله والرحمن مختلفان لوجب أن يثنى الضمير فيكون (فلهما) بدلاً من (فله)، فكان ضمير الغائب المفرد قرينة لفظية تدل على وجود إله واحد له أسماء متعددة منها الله والرحمن، فأداة العطف كانت للتخيير بين اسمين وليس إلهين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ التوبة [30]، لقد ربطت أداة الوصل (الواو) بين الجملتين، الأولى مقولة اليهود والثانية مقولة النصارى، فظاهر التركيب اللغوي يشير إلى إدعاء اليهود والنصارى أن عزير والمسيح مع الله شريكان، لكون وظيفة الواو تفيد اشتراك الجملتين في الحكم، لكن القرينة اللغوية أزالَت اللبس من حيث وجد في الآية ضمير الإشارة (ذَلِكَ) يشير إلى المقولتان السابقتان على الضمير، ويشكل التركيب (قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) نتيجة لما

<sup>1</sup> عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، (دط)، 1980، ص 138

<sup>2</sup> عبد الفتاح لاشين، المرجع نفسه، ص 138.



تقدم، وهو بطلان ما يدعيه كلا الفريقين، فكان العطف بين الجملتين بالواو يفيد إشراك الفريقان في الاعتقاد الفاسد، وضمير الإشارة وما بعده قرينة على الصحة الدلالية وبلاغة التركيب القرآني.

- قَالَ تَعَالَى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ النساء [171]

### ❖ التناس و علاقته بالمصطلحات المماثلة له في التراث العربي:

اشتهر مصطلح التناس على يد جوليا كرسيتيفا عام 1969، وقد استنبطته من الناقد الروسي مخائيل باخين من خلال مفهوم الحوارية، ولهذا المصطلح مسميات عديدة منها: التناس، التناسية، النصوصية، تداخل النصوص، ويقصد به: "نظر نص لاحق، أو توجيه لهذا النص أو فكرة تتعلق به (...). إلى نص سابق أو فكرة تتعلق به أو رأي فيه على سبيل الموافقة أو المخالفة أو المزوجة بينهما".<sup>1</sup> يعد التناس أحد المعايير النصية التي ذكرها دي بوجراندي و درسلر، فيرى أن التناس "يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بوساطة أم بغير وساطة"<sup>2</sup>

ويترتب عن هذا أن التناس خاصية ملازمة للنصوص ويمثل مجموعة من العلاقات تنشأ داخل النص الذي يقرأه المتلقي، أي أن النص يتضمن أفكار الكاتب وأفكار آخرين سابقة له في الزمن (سواء بعبارة صريحة أو معاني)، فيكون النص عبارة عن فضاء تتداخل فيه مجموعة من النصوص عن طريق المعارضة أو الموافقة بينها، يقول بول فاليري: "لا شيء أَدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الأسد إلا عدة خراف مهضومة"<sup>3</sup> وهذا يشير إلى أن إدمان الشخص على المقروئية وما تنطوي عليه من أفكار ومعتقدات الآخرين يساهم في بناء شخصيته المستقلة في كتاباته التي يظهر فيها أفكاره على سبيل الموافقة أو المعارضة أو لأفكار الآخرين.

يرى بعض الباحثين أمثال علاء الدين رمضان السيد في مقالته "ظاهرة التناس بين عبد القاهر الجرجاني وجوليا كرسيتيفا" ومحمد عبد المطلب في "التناسية عند عبد القاهر الجرجاني" أن مفهوم التناس كان حاضرا في التراث العربي في مجال النقد والبلاغة بمسميات مختلفة منها: السرقة والاقْتباس والتضمين والأخذ والاستعانة والمعارضة والحل والاستشهاد والتغاير، والمجاز والتلميح والتوليد والإيحاء والتلويح والكنائية والرمز والإيحاء وبعض صور التضمين.. إلخ ومهما اختلفت هذه المسميات، فهي في آخر الأمر تعبر عن أخذ كلام

<sup>1</sup> علاء الدين رمضان السيد، ظاهرة التناس بين عبد القاهر الجرجاني و جوليا كرسيتيفا، كلية اللغة العربية، أسيوط، مصر، المجلد3، 2014، ص1396

<sup>2</sup> دي بوجراندي، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 100

<sup>3</sup> علاء الدين رمضان السيد، المرجع نفسه، ص1397



من آخر، وتداخل نص مع نص آخر سابق، سواء بقصد أو بدون قصد، ويستندون في ذلك إلى مقولات عبد القاهر الجرجاني و القاضي الجرجاني وغيرهم في السرقات الشعرية فمتى يكون هذا الأمر مشروعاً ومتى يكون سرقة؟

### السرقات الشعرية عند القاهر الجرجاني

عقد عبد القاهر الجرجاني باباً للسرقات الأدبية في أسرار البلاغة، يقول: "واعلم أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق واقتدى، فمن تقدم وسبق، لا يخلو من أن يكون في المعنى صريحاً، أو في صيغة تتعلق بالعبارة، واعلم أن الشاعرين إذا اتفقا، لم يخل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم، أو في وجه الدلالة على ذلك الغرض... فأما الاتفاق في عموم الغرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلاً في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة، لا ترى من به حس يدعى ذلك، وبأبي الحكم بأنه لا يدخل في باب الأخذ، وإنما يقع الغلط من بعض من لا يحسن التحصيل"<sup>1</sup>،... وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض، فيجب أن ينظر فإن كان مما اشترك الناس في معرفته وكان مستقراً في العقول والعادات، فإن حكم ذلك وإن كان خصوصاً في المعنى حكم العموم مثل التشبيه في الشجاعة.... إنما هو في حكم الغرائز المركوزة في النفوس والقضايا التي وضع العلم بها في القلوب، وإن كان مما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبر ويناله بطلب واجتهاد ولم يكن كأول في حضوره إياه و كونه في حكم ما يقابله الذي لا معاناة عليه فيه، ولا حاجة به إلى المحاولة والمزاولة والقياس والمناقشة والمباحثة والاستنباط والاستثارة، بل كان من دونه حجاب يحتاج إلى خرقة بالنظر، وعليه كم يفتقر إلى شقه بالتنكير وكان درا في قعر بحر لا بد له من تكلف الغوص عليه، وممتنعاً في شاق لا يناله إلا بتجشم الصعود إليه... كعروق الذهب التي لا تبدي صفحتها بالهون بل تنال بالحفر عنها وتعريق الجبين في طلب التمكن منها، فإذا كان هذا هو شأنه وههنا مكانه وبهذا الشرط يكون إمكانه فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص والسبق والتقدم والأولية وأن يجعل فيه سلف وخلف ومفيد ومستفيد وأن يقضي بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين وأن أحدهما فيه أكمل من الآخر وأن التباين زاد على الأول ونقص عنه وترقى إلى غاية أبعد من غايته أو انحط إلى منزلة هي دون منزلته"<sup>2</sup>

غير أن باحثين آخرين أمثال علي صديقي ومُجد مندور ومُجد مفتاح يعارضون التأصيل الذي اعتمده الباحثون لمصطلح التناسل ورجوعهم إلى السرقات الشعرية في التراث العربي، وهذا التصور يعتبرونه غير مؤسس لاعتبارات مختلفة، "فيؤكد مُجد مفتاح أن نظرية التناسل تحكمت في نشوئها شروط اجتماعية وفلسفية وثقافية

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق (أسرار البلاغة)، ص 338

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 339

وسياسية خاصة، مثلما أن السرقات الأدبية ورائها خلفيات اجتماعية وثقافية وسياسية خاصة، ويرى مُجد مندور أن دراسة السرقات دراسة منهجية لم تظهر إلا عندما ظهر أبو تمام<sup>1</sup>، حيث أخذ خصوم هذا الشاعر في البحث عن السرقات في شعره، لذا كان التأصيل لمفهوم التناص بين مؤيد ومعارض

### ❖ معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني:

أما عن تماسك الكلام على المستوى الدلالي، فيرى الجرجاني أن "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تحبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: (خرج زيد)، وبالانطلاق عن (عمرو) فقلت: "عمرو منطلق)، وعلى هذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على (الكنائية) و(الاستعارة) و(التمثيل)، وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة. أو لا ترى أنك إذا قلت: (هو كثير رماد القدر)، أو قلت: (طويل النجاد)، أو قلت في المرأة (نؤوم الضحى)، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعنى من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من (كثير رماد القدر) أنه مضياف، ومن (طويل النجاد) أنه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى) في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها"<sup>2</sup>

إن هذا النص يضم الكثير من المفاهيم اللسانية والدلالية التي تنبه إليها عبد القاهر وسبق بها مفكري علم اللغة الحديث، فقد وضع نظريته في النظم وركز فيها على تأليف الكلام على المستوى التركيبي، وهذه نظريته في المعنى تكشف عن مضامين الكلام على المستوى الدلالي، ومن المفاهيم التي ظهرت في هذا النص، نجد:

- أولا: أن الجرجاني يدرس الجمل والعبارات من خلال الكلام بخلاف دوسوسير الذي اختار اللسان دون الكلام في دراسته للغة، وهذا يدل على أن الجرجاني استبعد المنهج البنيوي، وجاءت أفكاره متوافقة مع منهج لسانيات الكلام أو التلفظ في الدرس اللساني الحديث من حيث استبعادهم للسان.
- ثانيا: أعطى لثنائية اللفظ والمعنى فلسفة مختلفة عما تداوله النقاد قبله من خلال عملية تولد المعاني بسبب اختلاف تأليف الألفاظ وليس تكثيرها، وفي ذلك يقول حمادي صمودي في قضية معنى المعنى: "فقولهم في البلاغة إنها كثرة المعنى مع قلة اللفظ لا معنى له، إن لم نقر بتولد المعنى على المعنى، لأنه لا سبيل أن

<sup>1</sup> علي صديقي، التناص و السرقات الشعرية، الشبكة العنكبوتية، موقع الأنطولوجيا، 2019/04/23، الساعة 05:05 مساء  
<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق (دلائل الإعجاز)، ص 262.

ندخل تغييرا في المواضع بتكثير معنى اللفظ أو تقليده ، غير أنه يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير<sup>1</sup>

- ثالثا: أن الكلام الذي يصدر عن المتكلم قسمان: إما كلاما مباشرا، إذا كان الغرض الذي يريده المتكلم تعبر عنه الوحدات اللغوية التي استعملها لأجل ذلك فيظهر قوله صريحا ظاهرا حقيقيا، إما كلاما يقوله بطريق التعريض والكناية والاستعارة والتمثيل، وهنا يطرح عز الدين إسماعيل تعقيبا حول الحقيقة التي قصدتها عبد القاهر: "وعبارة (على الحقيقة)، التي يستخدمها الجرجاني في حديثه عن هذا الضرب من الكلام تنير في النفس على الفور سؤالا عن معنى (الحقيقة) التي ينسبها إلى ذلك الضرب الأول من الكلام، كما توحي -من خلال مبدأ المغايرة- أن الضرب الثاني من الكلام، حيث يكون المقصود بالكلام هو معنى المعنى، لا يتعلق بالحقيقة، عندئذ سي طرح السؤال نفسه: بم يتعلق؟ وهل ما تزال التفرقة التقليدية بين الحقيقة والمجاز تفرض نفسها هنا على عقل الجرجاني؟ وهل تصدق هذه التفرقة حقا مع آية معنى المعنى التي تنبه إليها الجرجاني<sup>2</sup>

- رابعا: تقسيم الكلام إلى ضربين، يقتضي تقسيم الدلالة إلى نوعين، الأولى دلالة عامة، توقيفية أو عرفية، والثانية دلالة مخصوصة ومؤقتة بين المتكلم والمخاطب بحيث تجمع بينهما معرفة ذهنية مشتركة، تستدعي من المخاطب أو المتلقي استخدام قواعد استدلالية منطقية لاستخراج الدلالة المقصودة من المنطوق اللغوي للمتكلم، فهي دلالة ثانية تتولد عن المعنى الحرفي.

- لقد كان الضرب الثاني من الكلام محل اهتمام وعناية من الجرجاني ، بحيث جاءت الكناية والاستعارة والتمثيل في مواضع كثيرة ومتفرقة من الكتاب، وهذه الصيغ الكلامية شكلت نظريته في معنى المعنى إذ وضع أحكاما تتعلق بهذا النوع من الخطابات، وبين استراتيجيات معينة تكون أساسا في تحقيق التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي بنجاح.

### الكناية والمجاز في دلائل الإعجاز:

ذكر الجرجاني أنه "قد أجمع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة، إلا أن ذلك، وإن كان معلوما على الجملة، فإنه لا تطمئن نفس العاقل في كل ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته، وحتى يغلغل الفكر إلى زواياه، وحتى لا يبقى عليه موضع شبهة ومكان مسألة (...)", فالمراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني،

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الفصول، المجلد 7 و العدد 3، ص 38  
<sup>2</sup> عز الدين إسماعيل، المرجع نفسه، ص39.

فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قوله (هو طويل النجاد)، يريدون طويل القامة، و(كثير رماد القدر) يعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثرت القرى كثرت رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى؟<sup>1</sup>

أما الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول (رأيت أسداً)<sup>2</sup>، فيطرح هذا التعريف مجموعة من العناصر تشترك في تكون معنى المعنى، وهي:

- قصدية المتكلم من وراء كلامه، وهو غرضه من المنطوق اللغوي الذي صدر عنه، بحيث يقصد المتكلم إلى توجيه ذهن المتلقي إلى معنى غير ظاهر.
- أن المنطوق اللغوي يتضمن صيغ مجازية لها دلالتين خارجية وتضمنية، فيكون الكلام بطريق المجاز حيث يستخدم المتكلم الكناية أو الاستعارة أو التمثيل، على نحو الأمثلة التي ساقها الجرجاني في الكناية (هو طويل النجاد) و(كثير رماد القدر) و(نؤوم الضحى)، فلا يقصد معناها الحرفي في استخراج الدلالة الثانية.
- فعل المتلقي في فهم وتفسير المنطوق اللغوي، فيقع على عاتقه فهم الدلالة الثانية المقصودة من المتكلم وهي في الأمثلة المعروضة: طويل القامة، معروف بكرمه، المرأة مترفة ولها خدم، ولا يتأتى له الكشف عن هذه الدلالة إلا بعملية الاستدلال.
- سياق الموقف الذي ورد فيه الكلام، وهو عنصر غير لغوي لكن يربط الكلام بالمقام وهي الظروف التي قيل فيها الكلام على وجه المجاز، فعبارة (كثير رماد القدر) لن يصل المتلقي إلى الدلالة الثانية إلا إذا كانت لديه مرجعية عن أوضاع البيئة العربية البدوية ومن خلال الاطلاع على كلام العرب المنظوم خاصة والذي يصور خصال العرب المتعلقة بحسن الضيافة والكرم.

لكن أثرت بعض الإشكالات حول هذه العناصر وقد ذكرها عز الدين إسماعيل على النحو التالي:

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق (أسرار البلاغة)، ص 66

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 67

1- "يبدو أن الاستخدام المتكرر لقدر كبير من هذا النوع من العبارات، التي تشتمل في أصلها على كنايات أو استعارات أو تمثيلات أو غير ذلك، والتي ابتذلها هذا الاستخدام، كما هو الشأن في عبارة (كثير الرماد) وماشبهها، قد ثبت لها معناها الثاني بالتواتر، فلم تعد بالمتلقي حاجة إلى الخبرة بمجموع الأعراف التي رشحت العبارة للدلالة على هذا المعنى الثاني، وعندئذ لا تبرز أهمية الاتكاء بالضرورة على الأعراف المكونة للسياق الحضاري في إدراك المعنى الثاني لعبارة ما إلا عند مواجهة العبارات البكر أو الطازجة، سواء اشتملت على كناية أو استعارة أو تمثيل أو لم تشتمل"<sup>1</sup> و يقصد بذلك عز الدين إسماعيل أن يتحول مدلول العبارة الحرفي إلى دال، ويصبح المعنى الثاني مدلولاً له، فتخرج العبارة من دائرة معنى المعنى.

2- إذا صدر عن المتكلم عبارة على صيغة الكناية أو المجاز وليس لدى المتلقي سياق وموقف عنها، فهل تحمل على معناها الحرفي أم بمعناها الثاني؟ هنا يرد الجرجاني الأمر إلى المتكلم نفسه، فهو إما أن يكون قد قصد إلى الكناية، وإما أن يكون قد ساق العبارة عارية منها أي تحمل على معناها الحرفي، وهنا يطرح عز الدين إسماعيل بعض التساؤلات الوجيهة: "فأني للمخاطب أن يعرف ما إذا كان المتكلم قد قصد إلى الكناية أم لم يقصد إليها؟ أني للمخاطب أن يعرف على وجه الدقة مقصد المتكلم هنا؟ وما الذي يحمله على أن يرى العبارة مكنية أو عارية من الكناية؟"<sup>2</sup>، في مثل هذه الحالات يمكن أن يزول هذا الإشكل بالعودة إلى شروط تحقق التواصل بين المتخاطبين، فالمعرفة المشتركة بينهم والمتمثلة في العادات والأعراف الاجتماعية تجعل المتلقي يميز بين قصدية المتكلم في استخدامه الكلامي بين الحقيقة والمجاز

### مكانة الإعجاز القرآني في دلائل الإعجاز:

لقد كان عبد القاهر الجرجاني من الذين رأوا - في كتابيه دلائل الإعجاز والشافية- أن إعجاز القرآن الكريم يكمن في نظمه خاصة وأنه نزل بلسان العرب الذين راحوا يتحدثونه، وفي الأخير ثبت عجزهم، يقول "عجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطع العلاقة بها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكرها شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح

<sup>1</sup> عز الدين إسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الفصول، ص 41.

<sup>2</sup> عز الدين إسماعيل، المرجع نفسه، ص 42.

هناك، أو أشبهه أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بمر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتامًا واتقانًا وإحكامًا، لم يدع في نفس بليغ منهم- ولو حك بيافوخه السماء- موضع طمع، حتى خرست الألسن أن تدعي وتقول خذيت القروم، فلم تملك أن تقول. "لقد كان عرض عبد القاهر لكل المسائل النحوية على وجه الخصوص يعتبر بمثابة إستراتيجية يبرهن من خلالها مقولته في أن النظم ليس إلا توخي معاني النحو، وبذلك أثبت أن الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في نظمه، ويقول في هذا الشأن ونقلًا عن فؤاد محييمر: " فإذا ثبت الآن أن لاشك ولا مزية في أن ليس النظم شيئًا، غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه... ولم يعلم أنها معدنه ومعانه، وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواه، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها إلى الخدع، وإنه إن أبي أن يكون فيها، كان قد أبي أن يكون القرآن معجزًا بنظمه، ولزمه أن يثبت شيئًا آخر يكون معجزًا به"<sup>2</sup>

#### ❖ النقد الموجه لنظرية النظم للجرجاني:

رغم ما أسهم به عبد القاهر الجرجاني في النحو والبلاغة من أفكار وآراء، حيث ربط الكلام بقوانين النحو، فدرس اللسان العربي خاصة لغة الشعراء، وكانت قراءته للقرآن الكريم حفظًا، ودراسة أكبر إنجاز جعله يخرج من الجملة لينفذ إلى العلاقات النحوية والدلالية التي تجمع بين الجمل، فألف الكثير من الكتابات أهمها (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) و(الرسالة الشافية)، إلا أن منهجه في التأليف كان محل نقد، فمنهم من عاب عليه عدم تنظيمه للموضوعات، فيرى محمد عبد المنعم خفاجي أن: "عبد القاهر عالم لا مؤلف، وحسبك أن كتابه الدلائل صورة مشوهة للتأليف، فهو لا يعرف أن يكتب في صفحات مستقلة، وإنما هو يبدي ويعيد ويأتي من ههنا وههنا، ويكرر التكرير حتى يخرج إلى الهذر، ويذكر جزءًا من الفكر هنا، وجزءًا الآخر هناك"<sup>3</sup>، وأما عبد الفتاح لاشين فيرى أنه نقل النحو إلى جو يزخر بالحيوية، وجعل موضوعاته ميدانًا يجول فيها بذهنه، ويطلع الناس على ألوان من التعبيرات التي تمر بهم، ولكنهم لم يقفوا على روعتها ولم يتذوقوها، فهو قد قفز بهذا العلم من الاهتمام بأواخر الكلمات فقط، والبحث عن العلة، وعللة العلة، إلى علم ربح فسيح ينبض حياة وحركة"<sup>4</sup>

أما الباحثة فتتمن جهود الجرجاني النحوية والبلاغية، فغلب عليها التركيز على دراسة التراكيب الجمالية ومكوناتها، من حيث الرتبة والحالة الإعرابية والغرض البلاغي خصوصًا، فكان يورد نصوصًا شعرية لا تتجاوز

<sup>1</sup> محمد إبراهيم شادي، المرجع السابق، ص 91 إلى 93.

<sup>2</sup> فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشلا، جامع الأزهر، (دط)، 1983، ص 143

<sup>3</sup> خفاجي محمد عبد المنعم، عبد القاهر و البلاغة العربية، المطبعة المنبرية، مصر، ط1، 1952، ص52

<sup>4</sup> عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص82

حد الجملة فيفسّر ويحلّل ويعلل، ويخرج بآراء مقنعة وصلت حدّ التنظير، كما أنه تجاوز حد الجملة في بعض المباحث البلاغية، مثل مبحث الوصل والفصل، كما أن استدلاله بالنص القرآني في بعض المواضع بالشرح والتحليل جعله يدخل في مجال تحليل النص لطبيعة النص القرآني وما يتمتع به من خصوصية في التعبير وارتباطه بسياق لغوي ومقامي.

#### المبحث الرابع: التحليل البلاغي للزمخشري في تفسير النص القرآني:

لقد اهتم الزمخشري بقضية الإعجاز في القرآن الكريم كما فعل من سبقه، غير أن الإعجاز عنده يتعلق بأمرين، الأول يخص النظم والثاني يخص الإخبار بالغيوب، يقول: "إنه كتاب معجز من جهتين، من جهة إعجاز نظمها، ومن جهة ما فيه من الأخبار بالغيوب، ويستدل بالآية التالية: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَجْرًا مِنَ اللَّهِ وَلَا جَاهًا عِندَهُ يَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ خَالصِينَ بِالْحَمْدِ إِنَّهُمْ فِي تَضَلُّلٍ كَبِيرٍ﴾** هـود [14]، أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه"<sup>1</sup>

يعد عمل الزمخشري في الكشف مكملًا لنظرية الجرجاني، غير أنه اختص بدراسة النظم القرآني وتفسيره، معتمداً على المباحث البلاغية التي جاءت في علم المعاني وعلم البيان، يقول الزمخشري في مقدمة الكشف: "إن النحوي، ولو كان أنحى من سيويه واللغوي ولو علك اللغات بلحييه والواعظ ولو كان من الحسن البصري أو عظم، والقصصي ولو كان من ابن القرية أحفظ لن يستطيع تفسير كتاب الله إلا إذا درس علمين هما علم البيان وعلم المعاني"<sup>2</sup>، فكشفت قراءته للقرآن الكريم من خلال هذين العلمين على أسرار في نظمها ومعانيها، يقول هنا (وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم، وإلا بقيت محتجبة في أكامها"<sup>3</sup> فأثري البلاغة العربية بأحكام جديدة تدل على نزعتها العقلية في استقراء النصوص من جهة وتمكنه من علوم اللغة مثل النحو والبلاغة، وقد كان كتابه الكشف مرجعاً مهماً في البحث البلاغي والأصولي.

#### ➤ أدوات التحليل في تفسير النص القرآني:

لقد استخلص الباحثون من خلال قراءتهم لهذا الكتاب مجموعة من الأدوات البلاغية تلعب دوراً هاماً في تفسير النص القرآني وتثبت تماسكه اللغوي ومنها: الفصل والوصل، والالتفات، والتكرار، والاعتراض، والاختصار، وترتيب الجمل، وتفسير النص.

#### 1- الفصل والوصل:

<sup>1</sup> مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، دار المعارف مصر، ط2، 1968، ص218  
<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، الكشف، تح: عادل عبد الموجود و علي محمد عوض وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج1، ص96  
<sup>3</sup> مصطفى الضاوي الجويني، المرجع نفسه، ص219.



يعتبر الفصل والوصل من أهم الأدوات والآليات التي يظهر من خلالها تماسك النصوص وتربطها على المستوى النحوي، والمستوى الدلالي وقد وردت أحكامه النحوية والبلاغية في دلائل الإعجاز مع الجرجاني، وكانت محل استقصاء من الزمخشري في تفسيره القرآن الكريم، فيكون الوصل بعطف الجمل على بعضها بأدوات الربط المختلفة، فينتج عن ذلك الترابط النحوي بين الجمل، أما الفصل فيكون بترك العطف بين الجمل وجوبا إما لكمال الاتصال أو كمال الانفصال، يرى الزمخشري أن "حرف العطف يستلزم أن يكون بين الجملتين قدر من الاتفاق يصحح الربط بينهما ولكنه لا يكون اتفاقا قويا حتى يصل به إلى اتحاد الجملتين في المعنى، أو نشوء إحداها عن الأخرى"<sup>1</sup>

### أ/ترك العطف(الفصل):

يرى الزمخشري أن الفصل وصل تقديري خفي وأنه أقوى من الوصل الظاهر بحروف العطف، وأن التنبه إلى هذا الوصل الخفي باب دقيق من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه، ولم يختلف عن الجرجاني في كون الفصل يتم، إما بالقطع والاستئناف، ويستدل الزمخشري بقوله تعالى: ﴿وَيَقْوَمُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ هود [93]، فيرى أن الفصل في هذه الآية كان بنزع أداة الربط الفاء في (سوف تعلمون)، فهو ترك العطف بالاستئناف كما جاء عند الجرجاني في الدلائل، يقول الزمخشري مجيبا على سؤال قد يخطر ببال السائل هو أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون؟ "قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكاتنتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف"<sup>2</sup>، ومن القطع والاستئناف أن يكون هناك تباين بين الجملتين في الغرض وفي الأسلوب، ويستند في هذا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰ لَٱلْمُتَقِينَ ۗ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۗ ۝۳ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۗ ۝۴ أُو۟لَٔئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٔئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ ۝۵ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ ۝۶ خَتَرَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَوَةٌ وَهُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۗ﴾ البقرة [1-7]، فإن قلت لما قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف (...). لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين، وسيق الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت"<sup>3</sup> فيدخل القطع هنا في كمال الانفصال.

<sup>1</sup> محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، (دط)، (دت)، ص 365

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، الكشاف، تح: عادل عبد الموجود و علي محمد عوض و فتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ج3، ص 231 و 232.

<sup>3</sup> محمد أبو موسى، المرجع السابق، ص 365



من الأحكام التي ساقها الجرجاني في الفصل، اختلاف الجملتين خبرا وإنشاء، في المقابل يسوق الزمخشري تخریجات مختلفة لهذا الحكم البلاغي في أثناء تفسيره للنص القرآني التالي: قال تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ شَمْرٍ رَزَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾" البقرة [24-25]، فيقول: "فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر أو نهي يعطف عليه، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول زيد يعاقب بالقييد والإرهاق وبشر عمرا بالعمو والإطلاق، ولك أن تقول: هو معطوف على قوله (فاتقوا)"<sup>1</sup>

واستعمال الفصل بين الجمل بطريق الاستئناف يظهر فخامة في المعنى وبلاغة في النظم، خاصة إذا جاء الاستئناف ردا على كلام سابق ووعيد، يقول تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة [14-15] ، يقول الزمخشري: "فإن قلت: كيف ابتدئ قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) ولم يعطف على الكلام قبله؟ قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن الله عز و جل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ... ويحل منهم من الهوان والذل ، وفيه إن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين"<sup>2</sup>، فيتضح أن توظيف الفصل بين هاتين الجملتين بطريق الاستئناف عند الزمخشري يفسره الرد على كلام سابق ووعيد من الله للمنافقين، وهنا يظهر منهجه في التفسير، في المقابل استدل عبد القاهر الجرجاني على هاتين الآيتين في ترك العطف بطريق الاستئناف، وكانت لدية وجهة نظر بلاغية ونحوية بحيث وجد أن جملة (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) تدخل ضمن مقولة المنافقين، بينما (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) خبر من الله تعالى فيما سيفعل في شأنهم، فالجملتان لا تشتركان في الحكم حتى يتم العطف بينهما بالواو، بل كانت الجملة الثانية ردا واعتراضا على مقولتهم، لذا وجب قطع الأولى باستئناف جملة خبرية، تكون جوابا على كلامهم، وإدراج الواو بينهما يغير المعنى

ب/البيان والتقرير والتوكيد:

ومما يوجب ترك العطف في الجمل المتتابعة إذا كانت اللاحقة تقرير وتوكيد وبيان لما قبلها، ويستدل الزمخشري على ذلك بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ هَدَىٰ لِتَقْوَىٰ لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي هَدَىٰ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٦﴾﴾ البقرة [1-2]، يقسمها

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج1، ص 227 و 228.

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج1، ص185

إلى أربع جمل ( ألم + ذلك الكتاب + لا ريب فيه + هدى للمتقين)، ويفسرهما بقوله: "و بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير أنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهة التحدي.. فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، لأنه لا كلام أكمل للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة"<sup>1</sup>، لقد جاءت الجملة مترابطة من غير أدوات ربط، لأن النص بصدد بيان حقيقة كتاب الله، فيقرر هذه الحقيقة بنفي الباطل عنها والتشكيك فيها، وأنها مصدر الهداية والتقوى، فإذا ما وصلت جمل الآيات بأي حرف للوصل فقد النص تماسكه وتغير معناه، ويذكر محمد حسين أبو موسى نقلاً عن الزمخشري أن "الجملة التي يقرر بعضها بعضاً، تتناسق من داخلها ويأخذ بعضها بعنق بعض، وهذا التناسق الداخلي أقوى في ترابطها من ذكر حرف النسق، ولذلك كان اعتباره أدخل في البلاغة من غيره، وفي ترتيب هذا النوع من الجمل وبناء بعضه ما يبين منه قوة الكلام وجودة بلاغته"<sup>2</sup>، ويسوق الزمخشري في هذا النوع من الفصل آية الكرسي ليثبت تماسك النص وروعة البيان، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ البقرة [255]، ويوضح الزمخشري البيان والتقرير في هذه الآية بقوله: "فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه، غير ساه عنه، والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال خلقه وعلمه بالمرتضى منه المستوجب للشفاعاة وغير المرتضى، والخامسة لسعة علمه، وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره"<sup>3</sup>، لاحظ الزمخشري أن "الواو تقع بين الجملتين لتفصل بين معنيهما، فتكون كل واحدة ذات معنى مستقل عن الآخر ومتميز عنه، فإذا تكررت الجملتان في مقام آخر وسقطت هذه الواو كان الكلام كلاماً واحداً يقرر بعضه بعضاً" قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٦﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ الشعراء 154/153 وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ الشعراء [185، 186] فإن قلت، هل اختلف المعنى بإدخال الواو هنا، وتركها في قصة ثمود؟ قلت إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم، التسخير والبشرية وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً، ولا يجوز أن يكون بشراً، وإذا تركت (يعني الواو) فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم"<sup>4</sup>،

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، المرجع نفسه، ج1، 149

<sup>2</sup> محمد أبو موسى، المرجع السابق، ص262.

<sup>3</sup> جار الله الزمخشري، الكشاف، ج1، ص486 و 487

<sup>4</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج3، ص262

وفي قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ﴿الرحمن [1-6]﴾، انطلق الزمخشري من التحليل النحوي ليصل إلى بيان قوة الربط النحوي ودورها في بيان المعاني الكامنة وراء النص، فيقول: "الرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها من العاطف مجيئها على نمط التعديّة،... فإن قلت: كيف أدخل بالعاطف في الجمل الأولى، ثم جيء به بعد؟ قلت بگت تلك الجمل الأولى واردة على سنن التهديد، ليكون كل واحدة من تلك الجمل مستقلة في تفرع الذين أنكروا الرحمن وآءه"<sup>1</sup>

## 2- الوصل أو العطف:

### أ/ اختصاص مواضع معينة بأدوات وصل محددة:

لقد كان لتفسير القرآن الكريم أثر بالغ الأهمية عند الزمخشري في تحليلاته البلاغية أيضا، فقد توصل من خلال تتبع المعاني في الشواهد القرآنية المستخلصة من سورة هود :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ هود [58]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ ﴿٦٦﴾ هود [66]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ ﴿٨٨﴾ هود [82]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ ﴿٩٤﴾ هود [94]

إلى أن جملة (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) قد تكررت في سورة هود أربع مرات وفي كل مرة تكون معطوفة على جملة قبلها، إما بأداة الوصل (الواو) أو (الفاء)، وهذا لم يكن أمرا اعتباطيا، وإنما عن قصدية المتكلم بالقرآن في التزام هذه الطريقة في الوصل نتج عنها تناسق في المنطق والدلالة والنحو، يقول الزمخشري عن أسباب عطف الآيات الوسطى بطريق الفاء والأخريان بطريق الواو: "فإن قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءت بالواو، والساقتان الوسيطان بالفاء؟ قلت وقعت الوسيطان بعد ذكر الوعد، وذلك قوله أن موعدهم الصبح، ذلك وعد غير مكذوب، فجيء بالفاء الذي هو للسبب، كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كيت وكيت، وأما الأخيرتان فلم تقع بتلك المثابة، وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفوا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة"<sup>2</sup>

### ب/ مواضع أخرى الوصل:

ويكون الوصل بعطف الجمل على بعضها بأدوات العطف إذا كان هناك تناسب بينها، ويأخذ التناسب صوراً هي

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، المرجع نفسه، ج3، ص 232

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج2، ص 336.

- في حالة وجود تقابل أو مقابلة بين الجملتين، نحو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ الرحمن [5، 6]، إذ يرى الزمخشري أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان، لذلك وجب العطف في هذا المقام.

- عند اختلاف الخبران نحو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ البقرة [5]، فإن قلت لما جاء مع العاطف، وما الفرق بينه وبين قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ الأعراف [179]، قلت قد اختلف الخبران ههنا، فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة، فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيهم بالبهائم معنى واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لمعاني الأولى فهي من العطف بمعزل<sup>1</sup>

- تناسب الجملتان خبرا وإنشاء: فلا يعطف خبر على إنشاء، ولا إنشاء على خبر، غير أن الزمخشري لا يعتبرها حكما مطلقا، بل في رأيه يجوز أن يعطف الإنشاء على الخبر إذا لم يكن المعتمد بالعطف الألفاظ، وإنما مضمون الجملة مثل قوله تعالى في الآيتين [24-25] من سورة البقرة وقد تقدم شرح الحكم المتعلق بها في القطع والاستئناف.

#### ❖ الالتفات:

لقد كان الالتفات محل كلام عند النقاد والبلاغيين والمفسرين، لأنه يدخل في كلام العرب، ويعد من محاسن الكلام سواء من جهة المتكلم أم من جهة المخاطب، قال الشريف الجرجاني عنه: "أولا بأنه فن من فنون البلاغة، مشهور فيما بين علماء البيان، له اسم مخصوص، وأنواع كثيرة، وأمثلة غير محصورة. وثانياً: بأنه عادة مألوفة للعرب العرباء، قد تعودوا عليها في أساليب كلامهم وأشار في ضمنه إلى فائدة عامة للالتفات من جهة المتكلم، وهي التصرف والافتتان في وجوه الكلام وإظهار القدرة عليها والتمكن منها، وعقبها بفائدة أخرى له عامة أيضا من جهة السامع، وهي تطرية نشاطه في سماع الكلام، واستتار إصغائه إليه بحسن الإيقاظ."<sup>2</sup>

روى الزركشي عن حازم تعليقه على الالتفات، فقال: "قال حازم في منهج البلغاء، وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضا يتلاعب

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج1، ص160 و 161

<sup>2</sup> الشريف الجرجاني، الحاشية على الكشاف للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1977، ص62 و 63

المتكلم بضميره، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافا، فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب، وإنما يحس الانتقال إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملفت عنه ليخرج<sup>1</sup>

جاء الالتفات عند الزمخشري في أثناء تفسيره لسور القرآن الكريم، يقول: "فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب في قوله تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ الفاتحة 5/4، قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَبِئَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ يونس [22]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِّيهِ سَحَابًا فَمُفْتَنَّهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴿٩﴾﴾ فاطر [9]. يرى أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع و إيقاظا للإصغاء إليه من إجراه على أسلوب واحد<sup>2</sup>،

فالالتفات أن ينحرف المتكلم في خطابه بأن يعدل في كلامه من المخاطب إلى الغائب، أو من الغائب إلى المتكلم، أو من الغائب إلى المخاطب، تبعا لقصيدة المتكلم في بيان غرض محدد، وقد ورد في القرآن الكريم على ست صور، هي:

- 1- من التكلم إلى الخطاب نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يس [22]
- 2- من التكلم إلى الغيبة نحو قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١٠٠﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٩٩﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ الدخان [4-6]
- 3- من الخطاب إلى التكلم، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٠٠﴾﴾ هود [90].
- 4- من الخطاب إلى الغيبة، نحو قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الأنبياء [92، 93]
- 5- من الغيبة إلى التكلم، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ فاطر [27]
- 6- من الغيبة إلى الخطاب، نحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٣﴾﴾ الفاتحة [3، 4، 5]

<sup>1</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف المرعشلي و آخرون، دار المعرفة، دمشق، سوريا، ج3، ط1، 1990، ص380.

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع نفسه، ج1، ص118

وللالتفات فوائد جمة، منها نظرة الرمخشري في الالتفات في سورة الفاتحة أن فائدته تتمثل في تعظيم الله وتخصيصه بالعبادة يقول: " وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ " أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخطوب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقول: إياك، يا من هذه صفاته تخصك بالعبادة والاستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به<sup>1</sup>

ومن فوائده التي وردت مع الرمخشري، نجد:

- الإنكار والتقبيح في قوله ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ

طَبِيبَةٍ وَقَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ ﴿يونس [22]

- المدح والثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن

زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴿الروم [39]، يرى أن في " فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُضْعِفُونَ " النفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه، فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهذا أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون.

- زيادة في اللوم والإنكار نحو قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ ﴿عبس

[3-1]، وفي الإخبار عما فرط منه، ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانبا جنى عليه، ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهها له بالتوبيخ و إلزام الحجة.

- وقد يعدل المتكلم إلى الاسم الظاهر، ليتمكن من إجراء صفات على هذا الاسم وفيه تفخيم الملتفت

إليه، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴿١٥٨﴾ ﴿الأعراف [158]، فإن قلت

هلا قيل فآمنا بالله وبني، بعد قوله أي رسول الله إليكم جميعا؟ قلت عدل عن المضمرة إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة.

<sup>1</sup> جار الله الرمخشري المرجع نفسه، ج1، ص119

- للتفخيم نحو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ [النساء 64]، ولم يقل واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ، وتعظيماً لاستغفاره.<sup>1</sup>

إذا كان العدول أو الالتفات يصدر عن المتكلم تحقيقاً لأغراض محددة ومقصودة، فإن له تأثيراً على المتلقي أو السامع بحيث يجعله أكثر انتباهاً وإصغاءً للخطاب وفهمه على الوجه المطلوب، وإتباع طريقة الالتفات يساهم في تحقيق التواصل اللغوي بين المتخاطبين، فهو استراتيجية بالمفهوم الحديث يستخدمها المتكلم لتصل رسالته اللغوية إلى فهم المتلقي بنجاح، ويذكر الزمخشري تأثير الالتفات في المخاطب بقوله: "إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما إن فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقاك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتسري على جادة السداد في مصادرك ومواردك، نبهته بالفتاك نحوه فضل تنبيهه، واستدعيت إصغاءه، إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالالتفات من الغيبة إلى المواجهة هازماً من طبعه ما لا يجده إذا استمرت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتتان في الحديث والخروج منه من صنف إلى وصف يستفتح الأذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول."<sup>2</sup>

#### ❖ الحذف:

يرى الزمخشري في أثناء تفسيره للنصوص القرآنية أن الحذف يعد من الأدوات النحوية والتي تظهر بلاغة في الكلام وجمالاً في الأسلوب، وقد أثبتته في حذف المسند إليه و المفاعيل، ويقول في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء 9]: أي للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة، وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه.<sup>3</sup>

#### ❖ التكرار:

لقد كان للزمخشري وقفة عند آلية التكرار في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، وضح من خلالها أثره البلاغي في هذه الاستعمالات، فقد ذكر التكرار في مقام الوعظ والنصيحة، ودفع الشبهة، والقصص، والوعيد، مواقف الكف والنهي، ومظاهر القدرة، وغيرها

ويفسر تكرار النداء في سورة غافر مستوحياً للفظ المكرر وما له من أثر في استجابة النفس، فيقول في

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَلْقَوْنَ أَتَمِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ يَقْوَمُ إِتْمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

<sup>1</sup> محمد أبو موسى، المرجع السابق، ص 373

<sup>2</sup> محمد أبو موسى، المرجع نفسه، ص 371

<sup>3</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج 3، ص 496



مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٦﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ

أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ \* وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ ﴿ غافر [38-41]، فإن قلت لم كرر نداء قومه... قلت أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنه الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على نصيحتهم بهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه يا أبت<sup>1</sup>

في تأكيد أمر من أمور العقيدة و التوحيد، فيقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ

وَجْهَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ

سَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَإِنَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴿ البقرة [149، 150] وهذا التكرير تأكيد أمر القبلية وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان، والحاجة إلى التفصلة بينه والبداء، فكرر عليهم لينبهوا ويعزموا ويجدوا<sup>2</sup>

كما استعمل التكرار للتهديد والوعيد بهدف غاية نبيلة تتمثل في متابعة النفس وتحديد التذكير لها،

يقول "فإن قلت ما فائدة تكرير قوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَايِي

وَنذُرٍ ﴿١٨﴾ ﴿ في سورة القمر [من الآية 17 إلى 40] عدة مرات، قلت فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذكارا واطعانا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويتوقع لهم الشن تارات، لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة"، وهذا حكم التكرير كقوله: ﴿ فَيَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٣﴾ ﴿ عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن

-التحفير والتبحيح في قوله تعالى: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا

بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ

حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾ ﴿ التوبة [69] يقول الزمخشري: "فإن قلت:

أي فائدة في قوله: (فاستمتموا بخلافهم)؟ وقوله: (كما استمتع الذين من قبلهم بخلافهم)؟ مغن عنه، كما أغنى قوله: (كالذي خاضوا) عن أن يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا؟ قلت: فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج5، ص349 و 350.

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج1، ص346



الفلاح في الآخرة، وأن يحسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الرضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحاله كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله.<sup>1</sup> والغرض منه تحقير أفعال المخاطبين وتقبيح انشغالهم بالدنيا على حساب الآخرة.

### ❖ الإحالة:

تعتبر العلاقات الإحالية من أكثر العوامل النحوية انتشارا في النصوص وتسهم في ربط أجزاء النص أو الخطاب، على مستوى التركيب وعلى مستوى الدلالة، درسه النحاة من خلال الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والعناصر اللغوية المعجمية، ولم يفرد له الجرجاني فصلا خاصا به في دلائل الإعجاز، وذكر المفسرون الإحالة في ثنايا تفاسيرهم، وللزمخشري وجهة نظر حول مقاصد الإحالة في النص القرآني.

إن من خصائص الضمائر الإبهام والانتقال، بمعنى أنها بحاجة إلى ما يميزها ويفسرها، وهنا يرى عباس حسن أن: "الضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض،... سواء أكانت للمتكلم أو المخاطب أو للغائب، فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسر غموضها، فـ(أنا) للمتكلم بنفسه، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة، وأن ضمير الغائب فصاحبه غير معروف، لأنه غير حاضر، ولا مشاهد، فلا بد لهذا الضمير من شيء يفسره ويوضح المراد منه."<sup>2</sup>

### 1- الضمائر (إحالة الضمير وتعدد المحال إليه):

يرى سعيد بحيري أنه "وينظر هنا إلى العنصر الإشاري على أنه قسيم العنصر الإحالي، إذ لا يمكن أن يكون للأخير قيمة دون الأول، فهو -أعني الأول- الذي يبينه ويوضحه، ويزيل الإبهام ويجب أن يتقدم أو يتأخر واضحا حتى يمكن الإحالة إليه، لأنه إذا عادت صيغة الإحالة (عنصر الإحالة) إلى أكثر من عنصر إشاري (معجمي أو نصي)، فسوف يشيع الاضطراب ويختل النص، ويستحيل الفهم فلا قيمة لدرس عنصر دون الآخر في ظاهرة الإحالة، لأن الاقتصار على جانب يجعل المعالجة جزئية، كما أن معالجة ظاهرة الإحالة تتطلب تجاوز حد الجملة والتوسع في مجالات الوصف النحوي"<sup>3</sup>

لكن محمد خطابي يثير مسألة تعدد المحال إليه من خلال تفسير الزمخشري للآية 45 من سورة البقرة، حيث ثبت أن هناك نوعان من المحال إليه (إحالة إلى عنصر معجمي متقدم، وإلى خطاب متقدم استغرق مجموعة من الآيات، ففي قوله تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ البقرة

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج3، ص66

<sup>2</sup> عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط4، 1975، ص280.

<sup>3</sup> سعيد بحيري، المرجع السابق، ص99 و 100

[45]، يرى مُجّد خطابي أن الزمخشري "يشير إلى أن الضمير للصلاة وللاستعانة، يجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها بقوله: (اذكروا نعمتي) إلى (واستعينوا) نحن هنا أمام ثلاث إمكانات، الأولى عود الضمير إلى "الصلاة" وهي أقرب من الاستعانة، والثانية عوده إلى الاستعانة، وفي كلتا الحالتين هناك تطابق بين الضمير "ها" وبين المحال إليه أفراداً و تأنثياً، مع كون الإحالة داخل نفس الآية. أما في الإمكان الثالث فإن الضمير "ها" يحيل إلى خطاب سابق يستغرق خمس آيات يتضمن الأمور التالية: ذكر النعمة، الوفاء بالعهد، رهبة الله، الإيمان برسالة مُجّد، ألا يشكروا بآيات الله ثمناً قليلاً، تقوى الله، ألا يلبسوا الحق بالباطل، إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، سلوك سبل البر، وهي كما نرى تتراوح بين الأوامر والنواهي، وقد جاء بعضها متداخلاً مع بعض، يتحصل من تحليل الزمخشري أن إحالة الضمير نوعان: إحالة إلى عنصر متقدم وإحالة إلى خطاب سابق<sup>1</sup>. وهذا يعد من خصوصيات التعبير القرآني يكشف عنها عمل المفسرين له.

## 2- الإشارة:

➤ (تعدد المشار إليه):

كشف مُجّد خطابي في تفسير الزمخشري عن تعدد المشار إليه، فيقول: "يفسر الزمخشري الإشارة الواردة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة 74] قائلاً: (ذلك) إشارة إلى إحياء القتيل، أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة، نحن هنا أمام نفس المظهر السابق في الإحالة الضميرية، أي تعدد (أو على الأقل ازدواج) المشار إليه، ويلاحظ أن الاحتمالين مختلفان، إذ في الإشارة إلى (القتيل) نكون أمام إحالة عنصر إلى عنصر، وفي الإشارة إلى الآيات المعدودة، سبع آيات تتمحور حول ذبح البقرة من الآية 67 إلى الآية 73- نحن أمام الإحالة إلى خطاب مكون من عدة آيات، ورغم أن المفسرين لم يفرقوا بين النوعين، فإن هذا لا يمس المبدأ العام الثاوي خلف الإشارة وهو جعل الخطاب متماسكاً من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله، ولعل فكرة الاستحضار لم تكن غائبة عن المفسرين خاصة منهم الزمخشري الذي نصّ على ذلك في سياق آخر، بقوله في قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة 30]، إلا أنه جاء على وجه أبسط من ذلك وأشرح<sup>2</sup>

أ/ عدم التطابق بين المشير و المشار إليه:

<sup>1</sup> مجّد خطابي، المرجع السابق ص174.

<sup>2</sup> مجّد خطابي، المرجع نفسه، ص177

الأصل أن يكون المشار إليه متطابقا مع المشار في الجنس والعدد، غير أن الزمخشري في كشافه كان له رأي مخالف حيث وجد عدم تطابق بين المشير والمشار إليه في تفسيره للآية 45 من سورة البقرة، قال مُجَدَّ خطابي في تفسير الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل (تلك أمانيتهم) وقولهم (لن يدخل الجنة...) أمانة واحدة؟ قلت: أشير هنا إلى الأمانى المذكورة، وهو أمانيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من رهم، وأمانيتهم أن يردوهم كفارا، وأمانيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم: أي تلك الأمانى الباطلة أمانيتهم"، إن الذي جعل طرح السؤال مشروعا هو التباعد بين الآيات التي وردت في الأمانى التي ذكرها الزمخشري، فالأمانة الأولى وردت في الآية 105، ووردت الثانية في الآية 109، بينما وردت الأمانة الأخيرة في الآية 111، بينما ورد اسم الإشارة في آية مستقلة بذاتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ البقرة [111]، بحيث إذا حضر البحث عن المشار إليه في هذه الآية وحدها حصل عدم التطابق بين الإشارة التي جاءت بصيغة الجمع المؤنث وبين المشار إليه المفرد، لذا لجأ الزمخشري إلى تعداد بقية الأمانيات السابقة على أن الذي وجه الزمخشري إلى هذا التخريج هو الاسم البدل (أمانيتهم) الذي حدّد اسم الإشارة وجعله جمعا<sup>1</sup>، وبهذا تكون الآية غير متعارضة مع مبدأ التطابق بين المشار والمشار إليه، وترايط النص يظل متماسكا ومستمرًا في الخطاب القرآني.

### ❖ ترتيب الجمل و الآيات:

من المسائل التي اهتم بها الزمخشري في تفسيره للقرآن الكريم ترتيب الجمل والآيات، حيث توصل إلى أن ترتيب الجمل هو الآخر لا يخلو من وجود غرض معين يريده المتكلم من ترتيب كلامه ومن الأمثلة التي ساقها الزمخشري في هذه المسألة:

- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ ﴾ النور [45]، فإن قلت لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ قلت قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على الرجلين ثم الماشي على أربع، فإن قلت: لما سمي الزحف على البطن مشيا؟ قلت على سبيل الاستعارة<sup>2</sup>

- قوله تعالى: ﴿ تُوِّرْنَا أَلْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ ﴾ فاطر [32]، فإن قلت لم قدم الظالم؟ ثم المقتصد ثم

<sup>1</sup> مجد خطابي، المرجع نفسه، ص 178  
<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج 4، ص 312.

السابق؟ قلت للإيدان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل"<sup>1</sup>

-قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۗ﴾ الفرقان [49]، فإن قلت لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على الأناس؟ قلت لأن حياة الناس بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على مسقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقيهم"<sup>2</sup>

وفي مقام المناظرات الفكرية بين التوحيد والشرك، يلحظ الزمخشري تدرجا في إلقاء الحجة والبرهان لإبطال الشرك، حيث وقف على الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام من جهة، في مواجهة أبيه وقومه، يقول في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۗ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۗ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَظِيمًا ۗ قَالِ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۗ أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ۗ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۗ﴾ الشعراء [69-74]، وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين، حين سأهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، على تقليد آبائهم الأقدمين، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة، ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلما فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهاج الأوابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال، وتغنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا"<sup>3</sup>

#### ❖ تفسير النص:

اشتهر الزمخشري بمذهبه الاعتزالي ذو النزعة الدينية والعقلية، واعتمد في تفسيره للقرآن على الآليات التالية: المعرفة بعلم المعاني وعلم البيان، يقول في أهمية هذه المعرفة: "إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح، وأنقضها بما يبهز الألباب القوارح، من غرائب نكت يلفظ مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم... فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات

<sup>1</sup> محمد أبو موسى، المرجع السابق، ص 383.

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج 4، ص 361.

<sup>3</sup> محمد أبو موسى، المرجع السابق، ص 389.

بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادها آونة، وتعب في التنقيح عنهما أزمته<sup>1</sup>

وأعمل فكره عندما ذكر جميع الاحتمالات الممكنة والداخلية في تفسير وتأويل الآية، نحو قوله تعالى ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾<sup>٢</sup> ويقول ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها أو الدوام عليها والمحافظة عليها لقوله تعالى في سورة المعارج ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾<sup>٣</sup> و﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾<sup>٤</sup>

البحث في وجود تألف للمعاني في الآية الواحدة، نحو قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>٥</sup> البقرة [8]، فإن قلت كيف طابق قوله (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) قولهم (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) والأول: في ذكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني: في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريقاً أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان، وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع<sup>2</sup>

يقوم بالموازنة بين النص الذي يشرحه والنصوص التي تشابهه في معناه وفي غرضه، حتى يتسنى له المقاضلة بينها، وهذا ما كشف عنه في آيات الإفك عندما ذكر مضامينها قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبِيرٌ لَّكُم لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>٦</sup> وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ<sup>٧</sup> لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ قَالُوا لَيْتَ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقُبُ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ<sup>٨</sup> إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتْرِ وَقَوْلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ<sup>٩</sup> وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ<sup>١٠</sup> يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ<sup>١١</sup> وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>١٢</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>١٣</sup> وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَّحِيمٌ<sup>١٤</sup> \* يَتَابَعُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>١٥</sup> وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا

<sup>1</sup> شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 221.

<sup>2</sup> جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ج 1، ص 171.

أَفْضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقَرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَعْلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴿النور [11]- [26]،

وقارنها مع نصوص أخرى، يقول محمد أبو موسى نقلا عن الزمخشري في تفسيره: "ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به من العصاه لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفطاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا وأنه يوفيههم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك أنه الحق المبين فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك إلا لأمر"<sup>1</sup>.

### خاتمة الفصل:

لقد أفلح علماء العربية من خلال المناهج المتبعة في تحليل النصوص القرآنية وأدركوا فعالية الأدوات اللغوية الموجودة في القرآن الكريم ليكون معجزا في نظمه وتأليفه، فقد أظهرت الدراسات البلاغية على وجه الخصوص كفاءتها في التأسيس المبكر لنظرية تتعلق بالنصوص متجاوزين حد الجملة والتراكيب، وظهرت الكثير من المفاهيم والمصطلحات أثناء مدارسهم للنص القرآني، فاهتموا بمصطلح النظم حينما ربطوه بالتأليف والرصف والضم والتلاؤم والتشاكل، وكلها تفيد التماسك و الترابط بين الكلمات أو الجمل أو العبارات سواء على مستوى اللفظ أو المعنى، وتنبه الرماني لأمر يظهر به النظم حين ميز بين دلالة المفردة ودلالة التأليف، فكان أول من استخرج المباحث البلاغية العشرة من القرآن الكريم، من جهة أخرى، وضع القاضي عبد الجبار أساسا محكما استند عليه الجرجاني في بناء نظريته في النظم، وذلك من خلال وضع قوانين لغوية تتفوق بها النصوص على غيرها وهي ثلاثة: الإبدال والإعراب والموقع، أما نظرية النظم (عبد القادر الجرجاني) فقد طورها هذا الأخير بآرائه الواضحة والتميزة فهو من أعطى للنظم مفهوما مختلفا عما سبقوه، فقد أسس النظم على ثلاث مقولات: توخي معاني النحو، العلل والأسباب، التعليق. وقد درس الجرجاني

<sup>1</sup> محمد أبو موسى، المرجع السابق، ص 391.

الأبنية اللغوية في ثلاث مستويات اللغة العادية ولغة الشعر ولغة القرآن الكريم فوجد النظم يختلف بينها، فكان ترجيحه للنص القرآني مبنياً على العقل والذوق البلاغي و المذهب الأشعري، ويعد كتاب الجرجاني الموسوم "دلائل الإعجاز" مدونة أساسية جمعت بين النظرية والتطبيق، حيث قدم مجموع المباحث البلاغية التي تظهر التماسك اللغوي والدلالي بين الجمل، فقد ذكر ( التقديم والتأخير، الحذف، الفصل والوصل،...).

إذا كان الجرجاني قد ربط بين النحو و الدلالة، فإن الزمخشري واصل بطريقة الجرجاني في التحليل غير أنه ربط البلاغة بالتفسير من خلال كتابه "تفسير الكشاف" حتى أنه جعل من شروط المفسر أن يكون عارفاً ومتحكماً في علمي البيان والمعاني، و قد ذكر في أثناء عملية التفسير الأدوات البلاغية التي تظهر النص القرآني وحدة لغوية متماسكة في المبنى و في المعنى بالتركيز على ثلاثة عناصر ( قصدية المتكلم بالقرآن، النص القرآني، المتلقي).

لا يتحقق النص في منظور المتلقي إلا عندما تكون العناصر المكونة للبنية النصية نسيجاً محكماً في الصياغة، تنشأ من خلاله مجموعة من العلاقات الأفقية والعلاقات الرأسية، تعطي له دلالات محددة ومقصودة، ويؤكد جان ميشال آدم على خاصية الترابط والاتساق والانسجام في النصوص حين يعرف النص أنه: "إنتاج مترابط، متسق ومنسجم، وليس رصفاً اعتباطياً للكلمات والجمل وأشباه الجمل والأعمال اللغوية"<sup>1</sup>

ويذكر سعيد بحيري بعد تجربته مع الباحثين الألمان من خلال ترجمته للنظرية اللسانية النصية، أن " النص إذن يتألف من عدد ما من العناصر، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقهما، يضاف إلى تلك العلاقات الداخلية علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخلية، أو إسقاط أي منها، أو إغفال أية علاقة سواء أكانت داخلية أو خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك والانسجام الدلاليين للنص"<sup>2</sup>

ويتفق جل الباحثين في نحو النص أن الترابط النصي يقوم على مبحثين رئيسيين الاتساق النحوي

« COHESION » و« الانسجام الدلالي » « COHERENCE » لكن بدرجات متفاوتة ومفاهيم مختلفة تبعاً لما سيأتي بيانه في

مباحث هذا الفصل.

<sup>1</sup> نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 16

<sup>2</sup> حسن سعيد بحيري، المرجع السابق، ص94

# الفصل الثاني

## الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- 1- الاتساق في اللغة الإنجليزية عند هاليداي و حسن رقية.
- 2- التماسك الدلالي عند تون فاندايك
- 3- نموذج تحليل الخطاب ل (براون و يول)
- 4- الترباط النصي عند روبيرت دي بوجراند
- 5- التلقي العربي للنظرية اللسانية النصية و إسقاطها على النص القرآني
- 6- التحليل النصي المعاصر للسور المكية لـ (صبحي ابراهيم الفقي)



## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

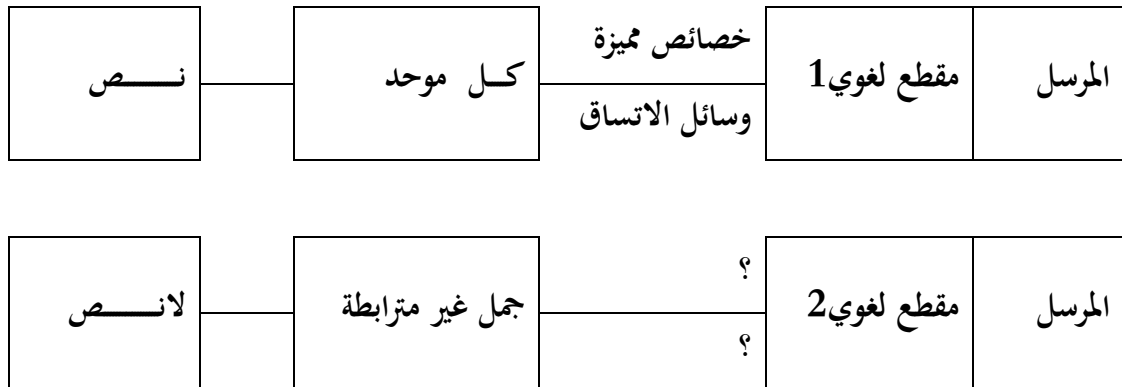
يعد الترابط النصي من أهم القضايا التي اهتم بها علماء النص، ويتحقق ترابط النص عندما تتعالق الجمل فيما بينها تعالقا ملتحما بوسائل نحوية كالإحالة، وبعلاقات دلالية وبعناصر خارجية كالسياق، وقد ظهرت العديد من النظريات اللسانية التي تبحث في ماهية هذا الترابط وآلياته ومستوياته، وعلاقته بالنصية، لذا سيتوقف البحث عند النماذج المشهورة والمتطورة في الدرس اللساني النصي.

### المبحث الأول: الاتساق في منظور هاليداي و رقية حسن

الاتساق في اللغة الإنجليزية هو عمل تأليفى مشترك بين (مايكل ألكسندر كيروود هاليداي و زوجته رقية حسن) صدر عن دار لونجمان عام 1976 بلندن، يتكون الكتاب من 367 صفحة تضم ثمانية فصول موزعة كالتالي: يعد الفصل الأول مدخلا ضم بعض المفاهيم التي تتعلق بالنص والنصية، والنسيج والاتساق والسياق اللغوي، وهي مفاهيم أساسية لفهم ما سيعرض من أدوات تماسك البنية النصية سواء على مستوى التركيب أو الدلالة، أما الفصول الخمسة التي تلي المدخل فقد خصصها الكاتبان لأدوات الاتساق النحوية وهي على التوالي: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي، ثم يعود الباحثان في الفصل السابع إلى الحديث عن مفهوم النص وحجمه وعلاقته بالاتساق، وفي الفصل الأخير، قام هاليداي بتحليل مجموعة من النصوص لوضع النظرية في مجال التطبيق، رغم أن الكتاب لا يخلو من أمثلة تطبيقية لأدوات الربط النحوية وإثبات فاعليتها في التماسك الجمل.

### 1- مفهوم النص والنصية:

يميز هاليداي ورقية حسن كغيرهم من الباحثين بين نوعين من التابع الجملي، الأول يعتبرانه نصا، والثاني مجرد تابع جملي ويصفانه بلفظ (اللانص)، معتمدين في ذلك الحكم على مستعمل اللغة، وهو نفس المبدأ الذي قال به تشومسكي في المتكلم المستمع المثالي، ويضع مُجدَّ خطابي لهذه المسألة مخططا بيانيا يوضح من خلاله الفرق بين النص واللانص:<sup>1</sup>



<sup>1</sup> مُجدَّ خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص12

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

إن الحكم الذي قيل في شأن المقطع اللغوي<sup>2</sup> بأنه لانص، تعود علة ذلك بسبب افتقاده لوسائل الاتساق وهي خصائص تميز النصوص عن غيرها من المتواليات الجمالية، تلك الخصائص تجعل المقطع اللغوي (الجملة) كلا موحدًا أي بنية لغوية واحدة قابلة للوصف والتحليل.

يرى هاليداي أن "النص وحدة دلالية، وليست الجملة إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، أضف إلى هذا أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نصًا، يمكن أن يطلق عليه (النصية)، وهذا ما يميزه عما ليس نص، فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"<sup>1</sup> ويقصد بالوسائل اللغوية أدوات الربط النحوية بمختلف أنواعها ووظائفها والتي تحدث نوعًا من التعالق بين الجمل وتصيّر لها نصًا له خصائص تميزه عن الجملة منها خاصية النصية، فما هي أدوات الاتساق النحوية عند هاليداي؟

### 2-الاتساق و أدواته النحوية و وظيفتها في تماسك النص:

#### 1- مفهوم الاتساق:

يذكر مُجّد خطابي نقلاً عن هاليداي أنّ "مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يميل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص"، "يبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقًا، إذ لا يمكن أن يحلّ الثاني إلا بالرجوع إلى الأول، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة الاتساق..<sup>2</sup>"

يشرح مُجّد خطابي المفهوم الدلالي للاتساق كما جاء عند هاليداي بقوله أن "الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، وهذا مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/مستويات: الدلالة (المعاني)، والنحو- المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير)، يعني هذا التصور أن المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعايير، وبتعبير أبسط: تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة"<sup>3</sup>

فالآثر الذي يتركه الاتساق في النص أو الخطاب هو المعنى الدلالي، لأن المتلقي بمجرد سماعه لنص أو خطاب فأول ما تلتقطه الذاكرة وتحفظ به هو الدلالة الكلية للنص وليس الجمل أو الكلمات أو الأصوات لأن هذه الثلاثة الأخيرة تأتي في مرحلة لاحقة، عندما يتكرر النص عدة مرات، والاتساق حسب هاليداي هو ترابط الجمل على مستوى النحو وكذلك على مستوى الدلالة، بل للدلالة أسبقية على النحو في الكشف عن

<sup>1</sup> مجّد الخطابي، المرجع نفسه، ص13

<sup>2</sup> مجّد خطابي، المرجع نفسه، ص15

<sup>3</sup> مجّد خطابي، المرجع نفسه، ص15

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

النصية، وينبّه مُجدّ خطابي الباحثان إلى "أن الاتساق ليس اسماً آخر لبنية الخطاب، كالفقرة مثلاً، بينما يأخذ مفهوم الاتساق بعين الاعتبار العلاقات في الخطاب وبناء عليه، فهو يشير إلى مجموعة من الإمكانيات التي تربط بين شيئين، وبما أن هذا الربط يتم من خلال علاقات معنوية (...). فإن ما يهمنا هو العلاقات المعنوية التي تشتغل هذه الطريقة: أي الوسائل الدلالية الموضوعية بهدف خلق النص"<sup>1</sup>، فالانسجام يدخل في مفهوم الاتساق بطريق التضمن، لأن العلاقات الدلالية تظهر بعد عملية الربط النحوي ومع تضافر المستويات الثلاثة التي ذكرها هاليداي يبعث النص إلى الوجود بفعل المتلقي.



الاتساق = متواليات جملية + الوسائل اللغوية النحوية الرابطة + العلاقات الدلالية الرابطة + التعبير =

### 2- أدوات الاتساق ووظيفتها في تماسك النص أو الخطاب:

#### ❖ المرجعية (الإحالة)

لم يرد في كتاب هاليداي ذكر لمفهوم المرجعية، واكتفى بأنها "خاصية توجد في كل اللغات الطبيعية، وأنها عناصر تملك خاصية الإحالة بالمعنى الذي نخصه لهذا المصطلح، أي أنها لا تكتفي بذاتها في تأويلها دلالياً، بل تحيل على شيء آخر من أجل تأويلها، وتتمثل هذه العناصر في الإنجليزية في الضمائر وأسماء الإشارة و أدوات المقارنة"<sup>2</sup>

ويذكر أمثلة لهذه الأنواع كالتالي:

إحالة بالضمائر	إحالة بأسماء الإشارة	إحالة بأدوات المقارنة
ثلاثة فئران عمياء، ثلاثة فئران عمياء	ذهب الدكتور فوستر إلى كاوستر تحت وابل من المطر، (هو) مشى في الوحل إلى غاية خصره، ولم يذهب <u>هناك</u> ثانية	كانت صعوتان فوق الشجرة، أتت أخرى، و (هم) أصبحوا ثلاثة
ثلاثة فئران هي	الدكتور فوستر-----هو كاوستر-----هناك	صعوت-----هم

<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 16

شريعة بلحوت، الإحالة: دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول و الثاني من كتاب الاتساق في اللغة الإنجليزية لـ(م.أك. هاليداي و رقية حسن)، مذكرة

<sup>2</sup> ماجستير، جامعة الجزائر، 2006، ص 119

\* تختلف المكونات الإحالية من لغة إلى أخرى، فالتى ذكرها هاليداي خاصة باللغة الإنجليزية. و في العربية يوجد الضمائر و أسماء الإشارة و الموصولة

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

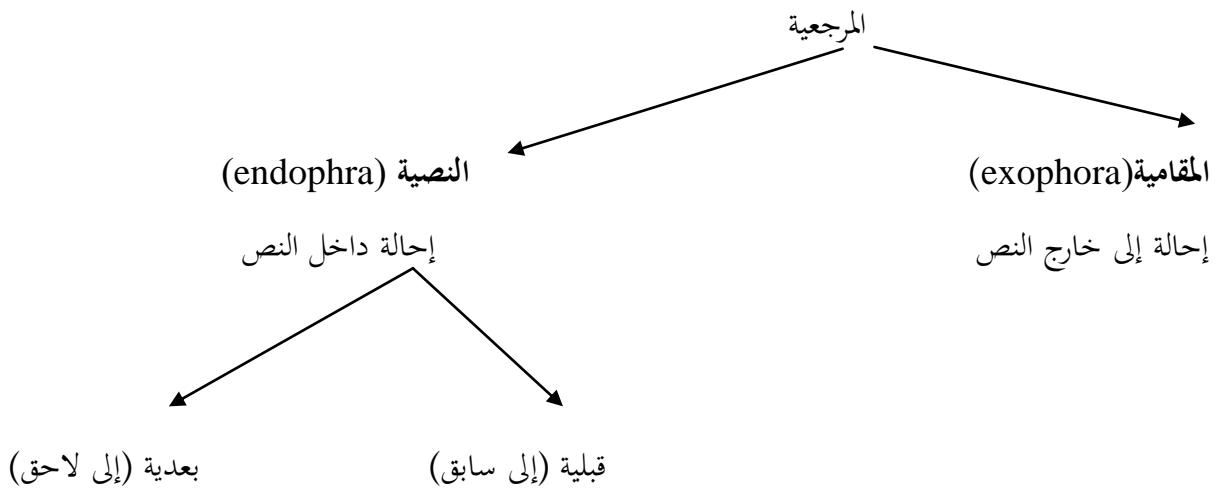
وجد هاليداي من خلال احتكاكه بالكثير من اللغات الطبيعية كالإنجليزية والصينية أن من وظائف اللغة، الوظيفة النصية بحيث يتكوّن الخطاب من خلال عملية الربط بين أجزائه، فاعتبر الإحالة من أهم وسائل الربط وخاصة تدخل في تركيب الخطابات والنصوص في جميع اللغات الطبيعية، فوظيفة المرجعية هي ربط أجزاء النص من خلال تبادلي التكرار داخل النصوص سواء تكرر اسم أو فعل أو قول من خلال تعويض التكرار بالضمائر أو أسماء الإشارة أو أدوات مقارنة، ويقصد هنا التكرار الذي يكون من قبيل الحشو والذي يكون عيبا في الكلام.

تقوم المرجعية على مكوّنات: المكوّن الإحالي\* والمكوّن المعجمي، بحيث أن الأول هو عنصر مبهم، قد يكون ضميرا أو اسم إشارة أو من أدوات المقارنة، ويحتاج في تأويله وتفسيره إلى المكوّن الثاني بحيث يدخل معه في علاقة دلالية وهي الإحالة، وقد ذكر ثلاثة أمثلة موجودة أعلاه في الجدول، فالعناصر (هي، هناك، هم) مكوّنات إحالية مبهمة تحتاج إلى العناصر (ثلاثة فئران عمياء، كاوستر، صعوتان) على التوالي من أجل تأويلها، والمكوّن المعجمي قد يسبق المكوّن الإحالي كما هو مبين في الأمثلة، وقد يتأخر عليه، ويكون خارج النص بمعنى غير لغوي، لذلك قسم هاليداي الإحالة إلى مقامية ونصية.

-الإحالة المقامية: وهي إلى خارج النص ويحيل الاسم الإحالي إلى عناصر غير لغوية ويدلّ عليها سياق المقام.

-الإحالة النصية: وهي الأكثر تداولاً في النص أو الخطاب من الإحالة المقامية، و يقصد بها أن يحيل العنصر الإحالي إلى عنصر معجمي موجود داخل النص، كما هو الحال في الأمثلة الموجودة في الجدول، والإحالة النصية تنقسم بدورها إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية، ويتضح التقسيم بشكل بين في المخطط الذي وضعه

الباحثان<sup>1</sup>



<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع السابق، ص 17

## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

غير أن هناك تفاضل بين الإحالة المقامية والنصية في تماسك النص، فيذهب هاليداي وحسن رقية، بهذا الخصوص، إلى أن "الإحالة المقامية تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لاتساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص".<sup>1</sup> فالإحالة المقامية تجعل تحليل النص أو الخطاب يكون على المستوى التداولي، لأن العنصر الإحالي المبهم يتطلب من أجل تأويله وتفسيره عنصرا لا يوجد في النص وإنما يكون خارج النص بحيث يستعين المتلقي بالسياق والبحث في الظروف المحيطة بالخطاب من أجل تفسير العنصر الإحالي المبهم، وتوضيح الفرق بين المرجعية المقامية والنصية أورد هاليداي في كتابه نصا قصصيا<sup>2</sup> بتركيبتين مختلفتين، بحيث يظهر للمتلقي أن النص الأول نص متماسك ومتسق، فكل العناصر الضميرية (هم-هي-ها) ارتبطت بالعناصر المعجمية التي تتقدمها في النص (ثلاثة أولاد-الكرة- السيدة) ليزول إبهامها، أما النص الثاني فكل عناصره الضميرية مبهمه في حاجة إلى تأويل وتفسير والبحث في السياق، فهذا الذي أطلق عليه هاليداي نصا قصصيا يبقى جملا منعزلة حتى يتوصل المتلقي إلى تفسير هذه الضمائر المبهمه ليزول الإبهام بالمرجعية المقامية وترباط الجمل وتثبت النصية.

### • أنواع الإحالات:

كما ذكر آنفا أن أنواع الإحالة في اللغة الإنجليزية ثلاث: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة وهي:<sup>3</sup>

1- الإحالة في الضمائر : وتنقسم إلى ضمائر وجودية وهي: (me-you-we-us-he-him-  
(she-her-they-them-it-one

وإلى ضمائر الملكية وهي: (my-mine-your-yours-our-ours- his-theirs-its-one)

2- الإحالة الإشارية: وتنقسم بين الدالة على القريب والدالة على البعيد والمحايدة وهي:

this-that-these-those-here-there-now-then)

<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 17

<sup>2</sup> M.A.K Halliday & requiya hassen, Cohesion in english, Longman groupe, LONDON , Pub1, 1976, p35

(1)-three boys are playing football and boy kicks the ball and **it** goes through the window and **it** breaks the window and the boys are looking at **it** and a man comes out and shouts at **them** because **they** 've broken the window so **they** run

away and then that lady looks out of **her** window and **she** tells the boys off.

(2)- **they**'re playing football and **he** kicks and **it** goes through there **it** breaks the window and **they**'ve looking at **it** and **he**

comes out and shouts at **them** because **they**'ve broking **it** so **they** run away and then **she** looks out and **she** tells **them** off.

<sup>3</sup> شريفة بلحوت، المرجع السابق، ص 129 و 130.

3-الإحالة الدالة على المقارنة وتستعمل في حال التطابق والتشابه والاختلاف وهي (equal-identical- same-additional-similar-slse-different-other-identically-likewise-similarly-so much-differently-otherwise-equally-less-more-so)

ومن أمثلة هذه الإحالة:

Its **the same** cat as the one we saw yesterday

Its **a similar** cat to the one we saw yesterday

Its **a different** cat from the one we saw yesterday

يبدو أن المقارنة ليس لها نفس لوزن في عملية الاتساق، فقد اعتبرها هاليداي من أنواع

الإحالة التي يثبت بها الترابط النصي، وهذا راجع لخصوصية في اللغة الانجليزية، بينما لا نجد لها هذا الأثر في اللغة العربية، فيرى مُجدّ الشاوش أن "المقارنة تشبه في هذه الخاصية ظاهرة التشبيه، فهو لا يجري إلا في حدود الجملة الواحدة، فإذا انتشر وتجاوز حدود الجملة كان من باب التشبيه الضمني"<sup>1</sup>، فالنظرية العربية لا تذكر في باب العائد(العود على الضمير) الإحالة بطريق المقارنة.

#### ❖ الإستبدال و الحذف

لقد تضمنت الطبعة الأولى لسنة 1976م خمس أدوات في الاتساق ، وهي: الإحالة والإستبدال والحذف والربط والتماسك المعجمي، لكن يذكر جمعان عبد الكريم أن هذه الأنواع أصبحت في الطبعة المهذبة لـ(1985م) أربعة، حيث ضم الإبدال والحذف في صنف واحد<sup>2</sup>، وبناء عليه، ستقسم أدوات الاتساق إلى أربعة بدلا من خمسة.

يعتبر الاستبدال والحذف من الوسائل النحوية التي يتحقق بها الترابط النصي، حيث ينشأ عنهما علاقات معنوية دلالية داخل النص، غير أن الأمر يختلف بين الحذف والاستبدال، أما الاستبدال فهو علاقة بين عنصر متأخر مبهم وعنصر معجمي متقدم قد يقصر أو يطول، وهو ثلاثة أقسام<sup>3</sup>: استبدال اسمي باستعمال (same-ones-one) واستبدال فعلي بلفظ(do) واستبدال قولي بواسطة(not-so) ، ومن الأمثلة التي طرحها هاليداي ورقية حسن في الاستبدال:

<sup>1</sup> مجدّ الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية -تأسيس نحو النص- المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001، ط1-ج1، ص 131  
<sup>2</sup> عبد الكريم جمعان، مفهوم التماسك و أهميته في الدراسات النصية، مجلة علامات، ج61، ص16، ماي 2007 ، ص212  
<sup>3</sup> مجدّ خطابي، المرجع السابق، ص 20

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- استبدال اسمي: My axe is too blunt, I must get a sharper one. حيث نشأت علاقة اتساق بين العنصر الاستبدالي المبهم (one) و بين العنصر الاسمي المتقدم (axe)، حيث كان الثاني مفسرا للأول.

- استبدال فعلي: You think already knows ? I think every body does.، يشير إلى استبدال الفعل (knows) بالفعل المعمم (does)، حيث أصبح لهما نفس المدلول.

- استبدال قولي:

« Of course you gree to have a batile”, Tweedledum said in a calmer tone.

« I suppose so, the other sulkily replied, as he crawled out of the umbrella.

لقد عوّض العنصر so في قوله: (أفترض ذلك) قول تويدلدوم: لا شك أنك توافق على وقوع المعركة

واستدلّ بهذه الأمثلة المختلفة لبيان أهمية الاستبدال في تماسك النص بما يخلقه من علاقات معنوية تتمثل في:

- علاقة الاستبدال تتم بين عنصر مبهم يفسره عنصر معجمي متقدم في النص، يقول مُجّد خطابي نقلا عن هاليدي: "ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أنّ المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي متواجدة في مكان آخر في النص"<sup>1</sup>

- علاقة مرجعية نصية قبلية بين عنصر لغوي متأخر وعنصر لغوي متقدم، فيتطابق هنا الاستبدال بالمرجعية النصية القبلية، بدليل أن العناصر اللغوية التي قامت مقام المستبدل (one) و (so) ذكرها هاليدي ضمن باب المرجعية، غير أن مُجّد خطابي يميز بين الإحالة والاستبدال، فيعتبر الأولى علاقة تطابق والثانية علاقة تقابل يقول "وبناء عليه يتضح أن العلاقة الاستبدالية لا تقوم على التطابق، وإنما على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه الاستبعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها العناصر (do-so-one)، بل من تلك العلاقة تستمد قيمتها الاتساقية"<sup>2</sup> مستدلا على المثال التالي:

My axe is too blunt, I must get a sharper one.

علاقة استبدال بين (axe) و (one)، وهما (سكين) و (آخر)، ونتج عنه علاقة أخرى هي علاقة تقابل بين أوصاف السكين (blunt) و (asharper)، بحيث يستبعد السكين الأول بسبب حالته و عدم صلاحيته.

<sup>1</sup> مجّد خطابي، المرجع نفسه، ص20.

<sup>2</sup> مجّد خطابي، المرجع نفسه، ص21.

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

لقد ظهر في كتاب هاليداي علاقة بين الإحالة والاستبدال :

✓ اعتبر هاليداي وحسن أن الفرق بين الإحالة والاستبدال فرق يرجع إلى المستوى الذي تتم فيه كل ظاهرة، فالاستبدال علاقة مجالها الصيغ اللغوية من قبيل المفردات والمركبات، وهو يتم في المستوى المعجمي النحوي، أما الإحالة فهي علاقة معنوية، وهي تتم في المستوى الدلالي، وأما مُجَدِّ الشاوش يرى هذا التصنيف فاسد مبررا بقوله: " فقد فصلا حيث لا موجب للفصل، فالإحالة وإن كانت ظاهرة تتعلق بالدلالة فإن لها عمادا لغويا أي صيغة لغوية خاصة تتحقق بها (الضمائر وأسماء الإشارة وألفاظ المقارنة) والاستبدال وإن كانت ظاهرة تتعلق بالنحو والوحدات المعجمية، فهي محكومة أيضا بقواعد دلالية معنوية"<sup>1</sup> وأراها وجهة نظر مستقيمة، لأن هذا التصنيف يفصل النحو عن الدلالة وهذا لا يستقيم، لأن الإحالة تعتمد على قرائن لفظية كالضمائر وأسماء الإشارة والمقارنة لتظهر العلاقة الإحالية في مستواها الدلالي، في المقابل فالاستبدال باستعمال المفردات المعجمية ينشئ علاقات إحالية، فلا يوجد فرق في أن كليهما لا يستغني عن النحو والدلالة ليحصل تماسك النص.

✓ لقد أورد الباحثان في أقسام الاستبدال، الاستبدال القولي، وحول هذه الجزئية يقول مُجَدِّ الشاوش: " وبتأمل ما اعتبر من قبيل استبدال الجمل نلاحظ أنه يمكن أن لا يعتبر من هذا الباب: فإذا اعتبرت أن SO في الإنجليزية معنى "أيضا" في العربية و aussi في الفرنسية (...). لاحظت أن ما اعتبره المؤلفان من قبيل استبدال الجملة ليس في الحقيقة سوى تغييب لها من اللفظ (...). إنما هو من قبيل الحذف."<sup>2</sup>

لقد وجد الباحثان في الحذف ثلاثة أقسام: اسمي وفعلي، وحذف داخل شبه الجملة

الحذف الاسمي:

Which hat will you wear? – This is the best.

حيث حُذِفَ في الجواب كلمة hat /قبعة و التقدير هذه القبعة هي الأحسن.

الحذف الفعلي:

Have you been swimming? – Yes I have.

حيث حذِفَ الفعل been swimming في الجواب، و التقدير نعم كنت أسبح.

الحذف داخل شبه الجملة:

How much does it cost? – Five pounds.

<sup>1</sup> مجد الشاوش، المرجع السابق، ص 132

<sup>2</sup> مجد الشاوش، المرجع نفسه، ص 133



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

حذف في الجواب It COST وهو شبه جملة جار ومجرور و التقدير، ثمه خمسة جنيهاً

وقد أشار الباحثان هاليداي وحسن رقية إلى أن "الحذف سمة غالبية في البنيات النصية التي تظهر بشكل مكتمل، بعكس ما يبدو للقارئ، والحقيقة أن هذه الظاهرة تبين ميلاً نفسياً لدى المتكلمين إلى الاقتصاد في الجهود الكلامية والعضلي، من خلال إنتاج الجمل البسيطة واختيار التراكيب الموجزة"<sup>1</sup>، فيحدث في الحذف فراغ بنيوي هو العنصر المحذوف، ويستدل عليه بناء على قرائن لغوية موجودة داخل النص(عنصر مفترض)، تكون سابقة على العنصر المحذوف، وللحذف دور مهم، به يتفادى المنتج تكرار الكلام المخمل بسلامة النص، ويسهم الحذف في ترابط الجمل بحيث يصبح النص أو الخطاب يتسم بطابع الإيجاز، وهو من علامات البلاغة،"وينقل مُجد خطابي عن الباحثين أن "الحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول استبدالاً بالـ"صفر"<sup>2</sup>، لكون العنصر المحذوف غير موجود وهذا يعبر عن العدم وهو الصفر(0)، أما العنصر الاستبدالي موجود ومبهم، له علاقة مع العنصر المعجمي الذي يسبقه.

### ❖ الوصل:

تتكون البنية النصية انطلاقاً من تتابع جملي يتشكل بطريقة أفقية وخطية، يربط بين الجمل مجموعة من الأدوات تجعل المتلقي يدركه كوحدة لغوية واحدة لشدة التنظيم والتماسك والتلاحم فيما بينها، ويطلق على طريقة الربط بين الجمل بالوصل، ويعرفه هاليداي: "إنه تحديد للطريقة التي يتربط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"<sup>3</sup>، وترابط الجمل اللاحقة مع التي تسبقها لا يتم على شاكلة واحدة وإنما يختلف الربط تبعاً للغرض الذي يريده المتكلم فيختار له أداة الربط التي تعينه على إيصال المعنى، وقد بحث كل من هاليداي ورقية حسن في هذا الباب وتوصلاً إلى أن الوصل أربعة أنواع: الوصل الإضافي، والوصل العكسي، والوصل السببي، والوصل الزمني، وذكرنا مثلاً<sup>4</sup> يتضمن جميع هذه الأنواع من الوصل، حيث لاحظنا أن الربط يتم بداية من الجملة الثانية لتبدأ عملية الوصل، فاستخداماً أداة الربط الإضافي وهي (الواو)، لأن الأمر يتعلق بإضافة معلومة جديدة حول الشاب المتسلق، ثم تأتي في الجملة الثالثة لبيّننا صموده الشديد، فلم يظهر عليه التعب، فاستعمالاً علامة الوصل العكسي(لكن) أي عكس ما هو متوقع، ثم بيّننا في الجملة الموالية النتيجة التي وصل

<sup>1</sup> نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس و الإجراء (المرجع السابق)،ص44

<sup>2</sup> مجد خطابي، المرجع السابق،ص21

<sup>3</sup> مجد خطابي المرجع نفسه، ص ن 23

<sup>4</sup> M.A.K Halliday & requiya hassen, Cohesion in english, Longman groupe, LONDON , Pub1, 1976, p238/239 :

1- For the whole day he climbed up the steep mountainside, almost without stopping.

- **And** in all this time he met no one. ----- (additive)

- **Yet** he was hardly a ware of being tired.----- (adversative)

- **So** by night time the valley was far below him----- (causal)

**Then**, as dusk fell, he sat down to rest.----- (temporal)

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

إليها المتسلسل بحيث قطع شوطاً معتبراً من المسافة، وفي أثناء الغسق جلس ليسترخ، فعبّر عنها بالوصل الزمني مستخدماً الأداة (ثم) ليربط بين حالة التعب والتي تعقبها استراحة زمنية جاءت متوافقة مع دخول الليل. ويندرج تحت كل نوع من هذه الأنواع مجموعة من العلاقات المعنوية التي تجعل النص متماسكاً أيضاً من الناحية الدلالية، وذكرها مُجدّ خطابي بأن: "يتم الربط الإضافي بواسطة الأداة "و" أو"، وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل، علاقة الشرح، وعلاقة التمثيل، ويتم الوصل العكسي في نظر الباحثين بالأداة (Yet)، أما الوصل السببي فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويعبر عنها بعناصر مثل: (therefore- hence- thus-so) وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط...، ويجسد الوصل الزمني علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً<sup>1</sup>، وهكذا يبين هاليداي ورقية حسن أن أدوات الربط لاتوضع بطريقة اعتباطية وإنما تحكمها علاقات داخلية معنوية، فكلما اتجه المتكلم إلى غرض معين استخدم أداة الربط التي تحقق علاقة مقصودة بعينها، حتى يكون النص متماسكاً على المستويين التركيبي والدلالي.

### ❖ الاتساق المعجمي: (LEXICAL- COHESION)

يعمل الاتساق المعجمي على ترابط النص بطريقة تختلف عن الأقسام السابقة، فهو حسب الباحثان هاليداي وحسن رقية متميز عنها، فعماد الأقسام السابقة هو النظام النحوي، بينما يقوم الاتساق المعجمي على المعجم (المفردات) وما يقوم بين وحداته من علاقات، وقد بدأ الباحثان في هذا الباب بالأسماء العامة (general nouns)، وتشير إلى إحالة عامة، قد تكون للعاقل ولغير العاقل، ولا يظهر دورها في الربط إلا عندما تقترن بالعنصر الإحالي (the) أو لفظ الإشارة (this)، كما ورد في كتابهما<sup>2</sup>، إنَّ الاتساق المعجمي والذي وجد فيه الباحثان أداة تسهم في تماسك النص الداخلي يقوم على وسيلتين التكرير (Reiteration) والتضام (collocation):

### 1- التكرير:

<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع السابق، ص 23 و 24

<sup>2</sup> M.A.K Halliday & requiya hassen, Cohesion in english, Longman groupe, LONDON , Pub1, 1976, p 275.

a general noun in cohesive function is almost always accompanied by the reference item *the*. This *the* is anaphoric, and the effect is that the whole complex • *the* + general noun • functions like an anaphoric reference i.tem

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما<sup>1</sup>، فيتدرج الترابط المعجمي على شكل هرمي تبرز في قمته إعادة الوحدة المعجمية فتظهر قوة الاتساق بمثل قوة العدد الرياضي ( $x^2$ ) وهذا يمثل أعلى درجات التلاحم:

I turned to **the ascent** of the peak, **the ascent** is perfectly

أو يكون بإدراج لفظ آخر مرادف للعنصر المعجمي يحمل نفس الدلالة:

I turned to **the ascent** of the peak, **the climb** is perfectly

أو يكون بإدراج لفظ قريب من المرادف له علاقة مباشرة بالعنصر المتكرر:

I turned to **the ascent** of the peak, **the task** is perfectly

وقد تنزل درجة الاتساق لتتعلق بالأسماء العامة أو المطلقة:

I turned to **the ascent** of the peak, **the thing** is perfectly

I turned to **the ascent** of the peak, **it** is perfectly

فكان التكرير مقترنا باللازمة (the)، والتي تجعله في علاقة اتساقية إحالية إلى سابق.

### 2- التضام (collocation):

إذا كان الترادف بين الوحدات المعجمية يدخل ضمن التكرير ويتحقق به الاتساق النصي، فإنه تنشأ بين الوحدات المعجمية علاقات أخرى تدخل ضمن ما يسمى التضام، ويعرفه مُجد خطابي كما جاء في منظور هاليداي، أنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"<sup>2</sup>، بمعنى أن المفردات المعجمية التي يضعها المنتج في نصه، تحكمها العديد من العلاقات، مثل علاقة التعارض (بنت/ولد، رجل/امرأة) وعلاقة الجزء بالكل (بيت/غرفة/مدخنة/حمام) والكل بالجزء (شاشة/فأرة/لوحة مفاتيح/برنامج/آلة)، ويعود أمر افتراض الاتساق المعجمي بطريق التضام إلى المتلقي، بحيث يوظف حدسه اللغوي ومعرفته المسبقة في معاني الكلمات ليتسنى له خلق الاتساقية المعجمية من خلال مجموعة العلاقات بين الوحدات المعجمية حسب السياق الذي وضعت فيه، يرى مُجد الشاوش أن أهم خاصية تميز عمل الوحدات المعجمية من عمل الوحدات النحوية في تحقيق الترابط النصي تتمثل في أن كل وحدة معجمية يمكن أن تدخل في علاقة اتساقية، لكنها لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها به، إنما يكون ذلك بحسب موقعها من النص<sup>3</sup>

### 3- قواعد الترابط المعجمي:

<sup>1</sup> مجد خطابي، المرجع السابق، ص 24

<sup>2</sup> مجد خطابي، المرجع نفسه، ص 25.

<sup>3</sup> مجد الشاوش، المرجع السابق، ص 142.

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

يقوم الترابط المعجمي وفق ما اقترحه هاليداي وحسن رقية على قاعدتين<sup>1</sup> أساسيتين:

- القاعدة الأولى: كلما ازدادت الوحدات المعجميتان قربا في النص ازداد الاتساق الذي تحققه قوة ومتانة.
- القاعدة الثانية: كلما ارتفع تواتر الوحدات المعجميتين في الاستعمال عامة، لا في النص المعني بالأمر، قلَّ الاتساق الذي تحققه قوة ومتانة.

ويشير مُجدِّ الشاوش ملاحظة فيما يخص الاتساق المعجمي بقوله: "وبعد النظر في بعض الجوانب التي قدّمها هاليداي و رقية حسن عن الاتساق المعجمي يمكن أن نتساءل عن السبب الذي منع المؤلفين من اعتبار الجزء الأول منه والقائم على التكرير من بين مظاهر الاستبدال، فتكون لنا منه:

○ "استبدال العنصر بلفظه.

○ أو استبداله بمرادفه التام أو شبه التام.

○ أو استبداله بالاسم المطلق أو العام الذي يتضمنه و يحتويه.<sup>2</sup>

أولاً: فأن ملاحظة مُجدِّ الشاوش تخص الاستبدال الاسمي دون غيره من الأنواع الأخرى (الفعلية والقولية والاستبدال بالصف).<sup>3</sup>

ثانياً: فإنَّ مُجدِّ خطايبى يكون قد أجاب عن هذا التساؤل حينما أثبت أنَّ الاستبدال يقوم على علاقة التَّقابل، أمَّا التَّكرير كما شرحه المؤلِّفان يقوم على علاقة المطابقة.

### 3- النص وعلاقته بسياق المقام:

لقد تضمنت الدراسات التي قام بها مايكل هاليداي-ضمن الاتجاه الوظيفي- اهتمامه بالسياق فقد طور النظرية السياقية التي أسسها جون فيرث فأطلق عليه سياق الحال أو سياق الموقف، يقول هاليداي: "إن السياق جزء من التخطيط الكلي... ليس هناك انفصال بين ماذا نقول، وكيف نقول، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكل ما فيها مرتبط بالسياق"<sup>3</sup> كما أنه خصص في كتابه الاتساق مساحة للسياق ودوره في تحقق النصية مرتكزا على الثلاثية المتكونة من الشكل والمجال والعلاقة، يرى الباحثان أنه: "تشكل المعالم اللغوية، التي ترتبط بصفة نموذجية بتمثيل المعالم المقامية مستوى التعبير (register) بوجود قيم خاصة لكل من المجال والشكل والعلاقة، وكلما استطعنا تحديد معالم المقام كلما تمكنا من تنبؤ خصائص

<sup>1</sup> Halidday and rekiha hacaen, OP.CIT, pp290

<sup>2</sup> مجدِّ الشاوش، المرجع السابق، ص143.

أحمد كاظم عمّاش و رياض حمود حاتم، سياق الحال في الاتجاه الوظيفي "مايكل هاليداي انموذجا"،مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية الأساسية للعلوم التربوية و الانسانية،جامعة بابل،العدد 29،ص 135.

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

النص بدقة أكثر في ذلك المقام<sup>1</sup> وقد أورد الباحثان أمثلة يستدلان بها المتواليات الجمالية لا تكتسب شرعية النصية إلا في سلامة مستواها التداولي.

« Although the light was on, he ent to sleep.

Although the house was unfurnished the rent was very high

Although he was paid a high salary he refuses to stay in the job »<sup>2</sup>.

-رغم أن المصباح كان مضيئاً ذهب للنوم.

-رغم أن البيت كان غير مجهز كان الإيجار مرتفعاً.

-رغم أنه كان يتقاضى راتباً رفض البقاء في العمل.

لقد اعتبر الباحثان هذه الجمل نصاً رغم أن لكل جملة معنى مستقل عن الأخرى، إذ لا يوجد أدنى ترابط بينها على المستوى الدلالي، مما يعني أنهما قد بحثا في السياق الذي من أجله كتبت هذه الجمل على هذا النحو كونها تنتمي إلى كتاب مدرسي يقصد من خلالها الباث إلى تحقيق غاية تعليمية وهي اكتساب المتعلم قاعدة نحوية، ولا يتأتى ذلك إلا بورود النص بهذا الشكل، يقول الباحثان: "فنحن لا نقيم أي نموذج لغوي دون معرفتنا لسياق مقامه، والحكم في ما إذا كان يمثل نصاً أو لا، هو أمر مشروط مسبقاً لأي تقييم إضافي- إن سياق مقامه باعتباره جزءاً من كتاب النصوص اللغوية يمكننا من قبوله نصاً"<sup>3</sup>.

يظهر هذا النص أن الباحثين سبق أن وجه لهما نقد حول التحليل النصي ومقوماته بحجة أنه لم يظهر المكون السياقي بشكل كافي ومفصل في الوصف والتحليل ضمن آليات التماسك النصي، فقد غلب الوصف النحوي وأدواته الإجرائية الفاعلة في تحقق النصية.

### **4- نقد نموذج هاليداي و رقية حسن:**

أولى المؤلفان عناية كبيرة للروابط النحوية ودورها في إقامة الترابط النصي وتحقيق النصية، بل أعطيا لتلك الروابط حصة الأسد في كتابهما، بينما لم يظهر الاهتمام بالترابط الدلالي إلا في فصلين من الكتاب عند الحديث عن الاتساق والنص والنصية، وهذا ما حمل الكثيرين على توجيه انتقادات على النحو التالي:

<sup>1</sup> Haliday and rekia hasen op.cit ,pp22« The linguistic features which are typically associated with a configuration of situational features - with particular values of the field, mode and tenor- constitute a REGISTER. The more specifically we can characterize the context of situation. the more .specifically we can predict the properties of a text in that situation.

<sup>2</sup> Halidday and rekia hacen, op.cit, pp19.

<sup>3</sup> Halliday and rekia hacen ; op.cit,pp20 « We do not, in fact, evaluate any specimen of language-and deciding whether it does or does not constitute text is a prerequisite to any further evaluation of it- without knowing something about its context of situation."

## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- قام براون ويول في كتابها تحليل الخطاب بمناقشة لعينة من النصوص المقتبسة من كتاب هاليداي حول مسألة الترباط النصي، بدأ بطرح التساؤلات التالية: "أولاً: هل يحتاج النص إلى مثل هذا الترباط على مستوى الأدوات لضمان اعتبار النص نصاً؟ ثانياً: هل إن وجود مثل هذا الترباط على مستوى الأدوات كاف لضمان اعتبار النص نصاً؟ ويتفرع عن هذا السؤال الثاني سؤال آخر: لو تعرفنا في النص على هذه المعايير فهل يضمن وجودها الترباط المنطقي للنص؟"<sup>1</sup> ومن جهة أخرى يقدم براون ويول رأي هاليداي حول الترباط النصي من خلال قوله "إن مفهوم الترباط النصي يفسر وجود العلاقات المعنوية الأساسية التي بموجبها يمكن أن نعتبر أي مقطع منطوق أو مكتوب نصاً"<sup>2</sup>، وقوله حول النصية: "للنص مقومات نصية وهو ما يميزه عما لا يعد نصاً" وقوله أيضاً "تظهر الروابط الأدواتية بين الجمل أكثر وضوحاً، لأنها المصدر الوحيد لخاصية النص"<sup>3</sup> وي طرح براون ويول بعض الأمثلة النصية لتظهر فيها الروابط النحوية إلا قليلاً ونصوص أخرى لا تتضمن إطلاقاً على تلك الروابط، ليشبتا أن هذه النصوص تحمل خاصية النصية حتى في غياب الأدوات النحوية، وهذا يدل على أن عملية فهم النص قد تمت وهذا يستلزم أن النصية تحققت بالعلاقات الداخلية المعنوية المختلفة وليس بالروابط الأدواتية، وأن غياب هذه الأخيرة لم يحدث خلافاً في المتواليات الجميلية المكونة للنص، يقول براون ويول: "هكذا إن خاصية النص، بمعنى التحقيق السطحي المعلن للعلاقات المعنوية ليست شرطاً للتعرف على النصوص وفهم أجزائها بالرجوع إلى البعض الآخر."<sup>4</sup>

- وحثتهم الثانية في التقليل من شأن الروابط النحوية، أن براون و يول أوردا أمثلة نصية بحيث يربط بين المتواليات الجميلية أداة الربط (الواو)، رغم ذلك بقيت المتواليات جملاً منعزلة لا تكون نصاً، وخلصا إلى أن "أن الرباط على مستوى الأدوات لا يضمن التعرف على مجموعة الجمل كنص، وأن الترباط على مستوى الأدوات لن يضمن الترباط المنطقي"<sup>5</sup>، وأن الحكم بنصية النص من عدمه ترجع لسلطة القارئ أو المستمع حسب الحالة، فهو من تقع على عاتقه عملية فهم التابع الجملي دون أن يحتاج إلى تتبع وجود أدوات الربط و وظيفتها في الربط.

- ويرى ديوجراندي أن في أعمال هاليداي الفردية والمشاركة مع حسن رقية اهتماماً مبالغاً فيه للروابط النحوية في إثبات التماسك النصي في حين وجد المستوى الدلالي والبراغماتي مغيباً، وهذا ما ذكره تمام حسان

<sup>1</sup> براون و يول، تحليل الخطاب ، تر: محمد لطفي الزليطني و منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، (دط)، 1997، ص233

<sup>2</sup> براون و يول، المرجع نفسه، الصفحة نفسها

<sup>3</sup> براون و يول، المرجع نفسه، ص234

<sup>4</sup> براون و يول، المرجع نفسه، ص235

<sup>5</sup> براون و يول، المرجع نفسه، ص236

## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

نقلا عنه في النص والخطاب والإجراء، بقوله: "لقد استعملت فكرة السبك cohesion لدى بعض الباحثين لوسائل مثل الإضمار pronominalisation والإبدال Substitution والحذف ellipsis (أنظر على وجه الخصوص هاليداي 1964، وحسن 1968، وهاليداي وحسن 1976، وفي الغالب لا يعطى كبير انتباه للارتباط الملحوظ للمعلومات في النص، وكذلك لمعرفة العالم التي تصبح بها هذه الوسائل ممكنة ونافعة) (إلا بالنسبة لمناقشته الترباط المعجمي lexical cohesion لدى هاليداي و رقية حسن 1976 الفصل السادس)، ولقد كان كثير من العوامل من وجهة النظر اللغوية مسؤولا عن هذا التجاهل مثل: محدودية الجمل، واستبعاد الاعتماد على معرفة العالم، ونقص الاهتمام بالاتصال الحقيقي، وعموما عدم الارتياح إلى علم الدلالة"<sup>1</sup>

### المبحث الثاني: التماسك الدلالي والتداولي للخطاب عند فان دايك:

يختلف منظور فان دايك للتماسك النصي عنه لدى هاليداي، بحيث ركّز فان دايك على الجانب الدلالي والتداولي في وصف النصوص وتحليلها، وأقام نموذج النصي على هذا الأساس، ويعتبر كتابه النص والسياق (text and context) مرجعا مهما في ذلك، فقد تضمن وصف وتحليل سيمانطقي وتداولي لعملية ترباط المتواليات الجمالية وما كشفت عنه من علاقات معنوية، حيث خص القسم الأول منه للسيمانطيقا، والقسم الثاني ظهر فيه اهتمامه بالتداولية وأثرها في بناء النصوص والخطابات، كما أورد في هذا الكتاب الكثير من الأمثلة الطويلة، ليبرهن على صحة تصوراته القائمة حول انسجام النصوص والخطابات، وقد وضع مُجدَّ خطابي مخططا يعبر من خلاله عن محتوى الكتاب.

الخطاب/ النص					
التداول			الدلالة		
الأفعال الكلامية الكلية	تداوليات الخطاب	السياقات و الأفعال الكلامية	البنىات الكلية	الانسجام	الترباط

يقوم فان دايك بمحة على ثلاث مسلمات<sup>2</sup>، وهي:

- توسيع مجال الوصف اللغوي بإضافة مستوى ثالث هو المستوى التداولي إضافة إلى المستوى التركيبي والمستوى الدلالي.

<sup>1</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 299  
<sup>2</sup> فان دايك، النص و السياق- استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، اقريقيا الشرق، المغرب، 2000، (دط)، ص 19

## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- تخضع النصوص والخطابات للوصف اللغوي كما هو الحال في الجمل، لكن بطريقة مختلفة ترجع لمميزات وطبيعة النصوص أو الخطابات.
- ارتباط الخطاب بالفعل التواصل، ومناسبة النصوص للسياقات التواصلية التي تنجز فيها.

### أولاً: الترباط والانسجام:

عني فان دايك بالتماسك الدلالي للنصوص والخطابات حتى أنه وجد تباين في المصطلحات التي اعتبرت من قبيل الترادف المشترك، فيذكر عمر أبو خرمة أن فان دايك: " فرق بين الانسجام والترباط، إذ الترباط هو وجود علاقة سبب ونتيجة في التركيب، وتكون الجمل مترابطة بالقدر التي تكون فيها النتائج متعلقة مع المقدمات تعالقا مباشرا، ويضعف الترباط كلما كان التعالق غير مباشر أو غامض، وربط بين درجة التعالق من حيث مباشرته وقبول المتلقي للنص، أما الانسجام فقد جعله مرتبطا بالدلالة، وذلك من خلال التعالقات وهي: تطابق الذوات، والكل والجزء والملكية، ووجود الإطار، والحالة العادية المفترضة للعالم، تعالق المحمولات، التذكر والاسترجاع، وأدخل في انسجام النص قضية الترتيب، وركز على الترتيب المقيّد دون الحر، إذ هو الذي يظهر قصدية الناص، وحدثه- أي الترتيب المقيّد- دون أثر دلالي أو تداولي يخلّ بالانسجام في النص من وجهة نظره"<sup>1</sup>، فيقصد بالترباط تعالق الجمل على المستوى النحوي، بينما يكون الانسجام دلاليا فتنشأ بين الجمل مجموعة من العلاقات المعنوية تؤدي في تعالقها دلالة كلية

### ثانياً: الترباط

بحث فان دايك في الشروط الدلالية التي تترباط بها المتواليات الجمالية، فبدأ بعرض مجموعة من الأمثلة تمهيدا لبيان نظريته في التماسك النصي، يوضح من خلالها أنّ الترباط هو عبارة عن تعالق مخصوص بين الجمل المركبة والسلاسل الجمالية المتوالية، ويقوم على مجموعة من الشروط ليكون مقبولا وصفها نصاً أو خطاباً:

- أنّ التركيب النحوي السليم للتتابع الجملي غير كاف في حصول التأويل، بل ينبغي أن يرافقه الجانب الدلالي، فكل الأمثلة (ج)<sup>2</sup> التي ساقها فان دايك غير مقبولة لأنها تفتقد للمعنى الدلالي، ولا يتحقق بينها الانسجام رغم الاستقامة النحوية للجمل.

<sup>1</sup> عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية و بناء أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع -الأردن، ط1، 2004، ص 86 و87 و88.  
<sup>2</sup> فان دايك، النص والسياق(المرجع السابق)، ص 74



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- قيود الربط السيمانطقي لأدوات الربط، حيث أثار فان دايك مجموعة من المفاهيم حول أدوات الربط، يقول: "الربط لا يتعلق بوجود الأدوات الرابطة"<sup>1</sup>، بمعنى أنها ليست شرطا في إثبات ترابط الجمل، إليك هذه الأمثلة:

1-جون أعزب، إذن هو غير متزوج ← مقبولة و مترابطة لوجود الأداة (إذن)

2-امستردام عاصمة هولندا، عدد سكانها 800.000 نسمة ← مقبولة، و مترابطة (عدم وجود أداة الربط)

3-و لأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل، فإنَّ القمر يدور حول الأرض ← غير مقبولة رغم وجود أداة الربط.

فقد يحصل الترابط في وجود الأدوات وفي حالة عدم وجودها، وقد لا يحصل الترابط حتى في وجودها، ولهذا يجب مراعاة قيود أخرى على المستوى الدلالي، منها المرجعية بين الجمل أو ما يسمى بالتطابق الإحالي، ففي المثال الأول أعلاه يوجد تطابق بين الذوات، أي بين الضمير (هو) وبين الاسم (جون)، مما يجعل الجملة الثانية تتعالق مع الجملة الأولى فينشأ الترابط، بينما في المثال (جون أعزب، إذن أمستردام هي عاصمة نيتزلاند). نجد أن الأداة موجودة لكن الترابط بين الجملتين غير متحقق بسبب عدم التطابق الإحالي بين الضمير (هي) والاسم المشار إليه (جون). والقيود الثالث الذي طرحه فان دايك بشأن الترابط الدلالي يتمثل في تعالق الوقائع والأحداث التي تشير إليها القضايا الجمالية، بحيث يرتبط الجمل اللاحقة مع ما يسبقها بواسطة علاقة السبب والنتيجة، وبعد عرضه لأمثلة مختلفة يبرهن بما على وجود الترابط بالتعليل والسببية، يتوصل إلى نتيجة مفادها: "أن التعالق بين الوقائع الواردة في هذه الجمل يمكن أن يحتزل في مفهوم موضوع التخاطب"<sup>2</sup>، لهذا تبقى درجة الترابط نسبية، فترتفع نسبة الترابط كلما كان التعالق مباشرا بين الجمل، وينخفض الترابط إذا كان التعالق غير مباشر، أو غامض، و يبقى المتلقي صاحب القرار في مسألة ترابط النصوص من عدمه.

ولإقامة الروابط بين القضايا يذكر صلاح فضل نقلا عن فاندايك الأمور التي تؤخذ بعين الاعتبار:

1- للتمكن من إقامة هذه الروابط، على المستعمل أن يستعين بمعرفته للعالم، وهذا يعني أنه ينبغي عليه انطلاقا من مكتسباته المعرفية المخزونة في ذاكرته أن يختار قضية أو أكثر، وأن يربط بالتالي بين القضايا.

2- إن الفهم الفعال لعناصر النص يكمن في ذاكرة عملية وفق علم نفس المعرفة، وهذه الذاكرة لا تملك سوى طاقة محدودة بعد أن يخزن فيها عدد من القضايا تمتلئ هذه الذاكرة، وعندئذ يجب أن تخزن هذه

القضايا في الذاكرة الطويلة المدى"<sup>3</sup>

❖ أدوات الربط و وظيفتها الدلالية في اتساق الخطاب

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص 75

<sup>2</sup> محمد خطابي، المرجع السابق، ص 33

<sup>3</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة كتب ثقافية شهرية، عالم المعرفة - الكويت، أغسطس، 1992، ص 227

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

ويقصد بها أدوات الربط التي وردت في بعض أبواب النحو، وتدخّل ضمن الأصناف التالية: "الوصل التشريكي - الفصل أو التخيير البدلي - المعارضة بالتقابل - التعارض بالاستدراك - الشرط - العلة و السبب - الغاية - الظروف (الزمانية و المكانية والحالية)"<sup>1</sup>، ويلتقي فان دايك مع عبد القاهر الجرجاني في مبدأ توحي معاني النحو، حيث يربط بين النحو والدلالة، فيبحث في الخصائص الدلالية لأدوات النحو داخل السياق اللغوي الرابط بين الجمل، وأساس الربط يقوم على التماس المعاني في العوالم الخارجية منها موضوع التحوار.

### 1- الوصل ( عطف التشريك )

وظيفته الربط بين الجمل بأداة الربط " الواو "، ويستعمل لأغراض مختلفة، فقد يستخدم للتعليل مثل قولك :حضرت الملائكة وغادرت الشياطين، فجاءت الواو بمعنى (إذن)، ويدل على الوقت نحو: أفطر أبي بالتمر وأنا على الماء، فيشير حرف الربط (الواو) على وقت الإفطار، وقد يدل على المكان نحو: ذهبت إلى الجامعة وعرفت نتيجة المسابقة.

### 2- الفصل ( التخيير البدلي )

إن الخواص الدلالية لحرف الفصل(أو) الدال على الامتناع عن الجمع تقتضي أن تتوفر في الجمل والقضايا الشروط التالية:

- يجب على أقل الأمر وأكثره أن تكون قضية واحدة صحيحة في عالم غير ممكن التوصل إليه من الناحية المعرفية، وعلى وجه أكثر تخصيصاً تقتضي قيمة صدق القضايا أن تكذب أخرى، في نفس عالم الإمكان
- وإذن من وجهة نظر عالم الإمكان الواقعي (أي السياق) فإن العوالم التي تصدق فيها القضايا وتكذب، على نفس الترتيب قد تكون على التخيير البدلي.
- يجب أن تكون القضايا متعلقة بموضوع التحوار نفسه، بحيث ولا واحدة منها تكون الموضوع نفسه للتحوار.
- تدل القضايا على الأحداث في العوالم المختلفة، وعلى التخيير البدلي، وهي عوالم تتشابه من وجهة نظر موضوع التحوار.
- إن حرف الفصل(أو) غير الدال على التبادلية(المنطقية) والذي معناه بمعنى (و إلا) يعبر عن الشرط، وإن كان هذا الحرف(أو) دالا على ضروب الاقتضاء من وجه آخر مغاير للصياغة إذا كان... إذن كان.<sup>2</sup>

### 3- الشرط(الشارط):

<sup>1</sup> فان دايك، فان دايك، النص والسياق(المرجع السابق)، ص84  
<sup>2</sup> فان دايك، المرجع السابق، ص101.

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

ومن القرائن النحوية التي تستخدم في الشرط عند فان دايك (لأن- من أجل أن-إذن- كذلك- إذ- بما أن- بينما- مثلما- نتيجة لذلك-...وغيرها)، ويبحث في الخواص الدلالية التي تميزها/ ويستعمل قواعد المنطق القضوي في الكشف عن دور الشرط وأدواته النحوية في الترابط، ويميز فان دايك بين ثلاثة أنواع من التشارط، الأول متحقق، والثاني غير متحقق، والثالث افتراضي. وفي المثال التالي يعطي تحليلات مختلفة حسبما يقتضيه كل نوع:

-و لأن المطر لم يسقط في الصيف، فقد جفت الأرض.

-و لقد جفت الأرض، لأن المطر لم يسقط في الصيف.

يفترض فان دايك أنه "إذا كان (أ) شرطاً كافياً لحصول (ب)، يكون (أ) هو علة في حدوث (ب)، لأن تخلف سقوط المطر سبب كاف لجفاف الأرض، وكذلك وبالمثل فإن (ب) يقال عنها، إنها نتيجة ممكنة (محتملة) لوقوع (أ)، ما لم يكن التلازم بينهما عرضياً"<sup>1</sup>، فيوظف هنا علاقة السببية وارتباط السبب بالمسبب، فالجملة (أ) تستلزم الجملة (ب) وهذا يدخل ضمن الشرط المتحقق.

وينظر إلى هذا المثال بشكل مغاير، فيقول: "يمكن أن ينشأ وضع آخر لا يسقط فيه المطر، ولكن الأرض لم تصب بالجفاف بسبب أحداث أخرى كالسقي مثلاً، مما يدل على أن (ب)، لا تترتب بالضرورة عن (أ)، لأن جفاف الأرض يظل حدثاً محتمل الوقوع<sup>2</sup> (النتيجة ممكنة وليست محققة)، وهو الشرط الممكن، وقد يحدث أن يكون الجفاف يرجع لسبب آخر غير المطر أو السقي، فقد يكون بيولوجياً أو فيزيائياً.

فالبنية اللغوية الشرطية عند فان دايك يربطها بالعوامل المحققة والممكنة، فإذا كان الشرط مما يستلزم تحققه بصورة ضرورية أو ممكنة يكون بين القضيتين علاقة تكافؤ واستلزام (إذا فقط إذا).

### ثالثاً: مظاهر انسجام الخطاب أو النص

#### 1-العلاقات الدلالية و المعنوية:

بعيدا عن الربط السيمانطيقي للجمل، بحث فاندايك في العلاقات التي تعمل على التماسك الداخلي للنصوص، و وجد أن "الاتساق خاصة سيمانطيقية للخطاب، قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى"<sup>3</sup>، حيث قام بتحليل مجموعة من المقاطع التابعة لنص قصصي واستخرج منها مجموعة من العلاقات بحيث تحدث هذه الأخيرة اتساقاً داخلياً للمقطع وفيما بين المقاطع على النحو:

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع السابق، ص105

<sup>2</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص 108

<sup>3</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص137

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

م1: اتخذت كلير راسل طريقها إلى المكتب في (كلاريون) في هذا الصباح الباكر، وهي تشعر بالعياء والكآبة، واتجهت توا إلى غرفة العمل فوضعت قبعتها، وزيّنت وجهها بأن ذرت عليه مسحوقاً ثم جلست إلى الطاولة، لقد كانت حقيبتها ممددة في ترتيب، وكانت منشفتها باردة كالثلج، والمحبرة مملوءة، إلا أنها لم تكن راغبة في العمل<sup>1</sup>، إن الذي يجعل هذه البنية النصية متسقة بمفهوم فان دايك هو تضمنها للعلاقات التالية:

-التطابق الإحالي (تطابق الذوات)، حيث أن العناصر اللغوية التالية (هي، ها، تاء التأنيث في الأفعال) تشير إلى أن الذات المحور في هذا المقطع السيدة (كلير راسل)

-علاقة الجزء- الكل: حيث يدخل ضمن مجال المكتب، (غرفة العمل-الطاولة)، (الوجه) جزء من كلير راسل.

-علاقة التضمن: وهي كثيرة ومتداخلة، فالمكتب يتواجد ضمن طريق، غرفة العمل ضمن مكتب، وطاولة وكروسي ضمن غرفة عمل، والحقيبة، والمحبرة ضمن الطاولة.

-علاقة الملكية: حيث أنّ (القبعة، المسحوق، الحقيبة، المنشفة، المحبرة) من ممتلكات السيدة (كلير راسل).

ويقيم فان دايك التماسك الدلالي لهذا المقطع على ما يسميه (افتراض الحالة السوية الاعتيادية للعوامل المقتضاة)، مما يجعله يرى في خضوع هذا المقطع للترتيب المنطقي الأحداث، فلم يتضمن أي عنصر لغوي يحيل للتعارض أو الاشتراط.

م2: "لقد دفعت الحقيبة بعيداً، وجعلت تحمق بعينها خارج النافذة، لقد كانت الشمس آنذاك حارة جداً، وظهرت الشوارع وكأنها مليئة بالغبار، وكان المنظر الجميل Fairview (اسم علم للمدينة) في حاجة للمطر، فلقد كانت هذه المدينة تبدو وكأنها محترقة، وألقت بنظرة احتقار على المدينة الصغيرة الممتدة في غير نظام (...)"<sup>2</sup>، أما تعالق المقطع الثاني مع الأول يكون بعلاقة الإحالة المرجعية بين الضمير المستتر (هي، بعينها)، والاسم المحال إليه (كلير راسل)، وكذلك بـ (ال) التعريف الموجودة في كلمة (الحقيبة) وهي نفسها التي ذكرها المقطع الأول.

كما أن هناك علاقة اقتضاء لتتابع المحمولات التالية: (لم تكن راغبة في العمل - جعلت تحمق بعينها خارج النافذة)، لأن عدم الرغبة في العمل دفعتها لرؤية العالم الخارجي من خلال النافذة، ويتمثل في وصف حالة الجو والشوارع، ويظهر أن هناك انتقال إلى موضوع جديد يصف المدينة، وهذا يدل على بنية صغرى.

م3: "وبينما هي جالسة هناك، جعلت تفكر في هاري دوك ولقد كانت تفكر فيه معظم ليلتها، وفي الحقيقة إنها تتأمل شخصين على التوالي: هاري دوك وبيتر، وكانت قد ألقّت بنفسها على سرير ضيق محدقة في

<sup>1</sup>فان دايك، المرجع نفسه، ص143

<sup>2</sup>فان دايك، المرجع نفسه، ص145

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

الظلام الدامس، متذكرة جميع التفاصيل لما كان قد وقع لها (...) ولقد ذهب بها خيالها حتى أنها شعرت بالقوة مجسمة فيها<sup>1</sup>، فهذه الفقرة تتصف بالاتساق رغم أنها تضم عوامل مختلفة الزمان والمكان، عالم واقعي حاضر تعيشه السيدة كلير راسل ضمن مجال مكاني محدد هو المكتب بما يحويه من أشياء سبق ذكرها سابقا، وعالم آخر يضم أحداثا و وقائع عاشتها السيدة راسل مع هاري دوک وبيتر والتي تدخل في الزمن الماضي، والترابط بين هذه العوالم المختلفة أحدثته مخيلة كلير راسل، عن طريق علاقة التذكر والاسترجاع لعالم مضى وانتهى، لذلك فإن الانسجام بين العوالم المختلفة يعود لدور العلاقات الدلالية وعملها في بناء الاتساق من خلال معطيات أساسية في الخطاب ، وهذا يفوق عمل النحو قوة في البحث عن التماسك النصي وافترضه.

### 2- ترتيب الأحداث في الخطاب:

تخضع المتواليات الجمالية المكونة للنص في أحداثها و وقائعها لترتيب خطي يقوم على التركيب اللغوي الأصل الذي تحكمه قاعدة "التقديم والتأخير في الكلام" ويراعى فيه عوامل مختلفة أهمها العوالم والزمن المعمول بهما في الاستعمالات العادية للكلام، فالترتيب العادي للقضايا يقوم على مجموعة من الضوابط المعرفية والإدراكية ذكرها فان دايك على النحو التالي: " (عام-خاص)، (كل- جزء)، (مجموعة-فئة عناصر)، (المتضمن- المتضمن)، (كبير- صغير)، ( خارج-داخل)، (المالك- المملوك)"<sup>2</sup>، فكل ضابط يتكون من جزئين ، الأول هو المتقدم في الخطاب على الثاني، فالعالم يتقدم على الخاص والكل على الجزء والكبير على الصغير والمتضمن على المتضمن، فقد ذكرت السيدة راسل أولا، ثم ذكر بعد ذلك وجهها وعينيها، وهذا يدخل ضمن الجزئية (الكل-الجزء)، وذكر من جزئية المالك والمملوك القبعة والحقيبة والمنشفة وهي من مملوكات السيدة راسل، فهذا ترتيب عادي في الخطاب، غير أن الكلام قد يأخذ منحى آخر فلا يحافظ على ترتيبه اللغوي العادي وسبب ذلك تغير في المقام والمكان و الزمان، فيتقدم ما حقه التأخير ويتأخر ما واجبه التقديم، و رغم ذلك يظل الخطاب محافظا على اتساقه الدلالي واللغوي.

### 3- البنيات الكبرى و دورها في تماسك النصوص:

عندما يتعلق الأمر بالحديث عن موضوع الخطاب أو محور التحوار في مختلف النصوص، يظهر مفهوم فاندايك بشأن البنيات الكبرى الشاملة ودورها في الترابط الدلالي للنصوص، بحيث يوليها عناية خاصة تفوق الاتساق النحوي، ويرى أن البنية الكبرى تعتمد على قواعد إجرائية، فيقول: "... فإن توالي الموضوع وتسلسله في ضروب الخطاب الجارية على قواعد مرسومة، يجب أن يستوفي عددا من الشروط الشبيهة بتلك

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص 148

<sup>2</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص 154

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

التي تعين استقامة خطية الربط واتساق الجمل<sup>1</sup> فالمتواليات الجمالية التي يصدق عليها وصف النصية، تتحول وفق نموذج فان دايك إلى قضايا تندمج تحت بعضها لتكون في ذلك موضوع النص أو البنية الكبرى للخطاب، وتنشأ بين هذه القضايا علاقات داخلية مختلفة مثل علاقة الاقتضاء والتضاد والتضمن والسببية والزمانية وغيرها من العلاقات التي تعتبر بمثابة القواعد التي تحكم التماسك الدلالي للنصوص، مع العلم أن الوصف والتحليل عنده يبتعد عن المنطق الرياضي وهذا ما أكده سعيد بحيري: "من الافتراضات التي وجدت في أعمال فان دايك ربط مفهوم القضية بأحوال الموضوعات، وليس بالمفاهيم المنطقية، الصدق والكذب، فقد صارت مطابقة الصور في الاتصال اللغوي منذ ذلك الحين أساساً لفهم القضوي للنص، وليس مطابقة النتائج"<sup>2</sup>، ويذكر نقلاً عن فان دايك أن "المتكلم يبدأ عند تشكيل النص من تيمة النص والتي تعد أساس برجمة النصوص، بمعنى بسط قيمة النص، وعند عملية تلقي السامع للنص يشكل موضوع النص مرة أخرى نتيجة عملية الفهم"<sup>3</sup>

### 4- السياق و دوره في عملية الفهم و التأويل:

يظهر اهتمام فان دايك بالسياق، حيث استعان به في تحليله للخطابات وتأويلها، حيث وسّع مجال الربط أو التعليق حين طرح قضية السياق التواصلي في علاقتها بالبنية النصية وما تتضمنه من علاقات، فبحث في " مجموعة الشروط التي تحدد العلاقات أزواجاً، أي ضروب التعلق والتبعية بين الأحداث كما تعبر عنها الجمل المؤلفة وما ترتّب منها، و لها صلة بعالم ممكن، و بموضوع تحاور ممكن"<sup>4</sup>

يربط فان دايك السياق بالمستوى التداولي للخطاب، حيث تظهر عوامل خارج إطار البنية النصية تسهم في عمليتي الإنتاج والتلقي، لذلك يستند فان دايك في بناء نموذج اللساني على علوم مختلفة منها علم النفس المعرفي " يؤكد ممثلو علم النفس الإدراكي أنه ثمة إجراءات نفسية أخرى كثيرة مهمة لإنتاج النصوص (وعلى النهج ذاته لفهم النصوص أيضاً)، فوعي المتكلم ليس صفحة بيضاء قبل بدء الفعل العملي - المادي أو الاتصالي، فقد جمع الفاعل خبرات لأداء نشاط معين، وقد اختزن معارف شديدة الاختلاف، يجب أن يفعلها الآن، إذا أراد أن ينجح فعله اللغوي، وهذا يقوم بالنشاط ولديه مواقف توقع معينة، يفعل معارف وخبرات معينة عند التحفيز وتشكيل الأهداف، في كل مراحل الإعداد لإنتاج النص، وعند التحول الفعلي للبرنامج الداخلي إلى علامات لغوية، وبخاصة عند فهم النص أيضاً"<sup>5</sup>، فيقوم إنتاج النصوص واستيعابها على

<sup>1</sup> فان دايك، المرجع نفسه، ص 195

<sup>2</sup> فولفجانغ و هاينه مان، مدخل إلى علم النص، ترجمة سعيد بحيري، ص 39

<sup>3</sup> فولفجانغ و هاينه مان، المرجع نفسه، ص 44

<sup>4</sup> فان دايك، المرجع السابق، ص 179

<sup>5</sup> فولفجانغ و هاينه مان، المرجع السابق، ص 69

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

استراتيجيات سواء من جانب المتكلم بأن يبدل كافة الجهود في سبيل إفهام المخاطب مقصده مستعملاً في ذلك كافة الوسائل اللغوية وغير اللغوية مثل نبرة الصوت وإيماءات الوجه واليدين، أما من جهة المخاطب فيستخدم كل مؤهلاته الفكرية والخلفية المعرفية للتعامل مع مختلف النصوص والخطابات، وهنا يقترح فان دايك ما يسمى بالسياق النفسي أو السيكلوجي سواء في الإنتاج أو التلقي، فيركز على تشكل عملية فهم النص على مستوى الذهن.

### النقد الموجه لنموذج فان دايك:

- لقد كان هذا النموذج محل اهتمام فدرسه الكثير من الباحثين في النصوص، ولم يسلم من النقد من عدة جوانب مختلفة، حيث طرح مجموعة من التساؤلات، هي:
- كيف يمكن استنباط البنية الكبرى ذاتها.
  - كيف تتولد البنية السطحية من البنية العميقة الدلالية عن طريق عمليات نصية.
  - كيف يجب أن يجري تطبيق القواعد الكبرى بالتفصيل حتى يتوصل إلى البنية الكبرى للنص المعني.
  - وثيقة الصلة الإدراكية لتصوره<sup>1</sup>.

### المبحث الثالث: نموذج تحليل الخطاب لـ ( براون و يول)

ظهر نموذج براون ويول في كتابهما الموسوم تحليل الخطاب Discourse Analysis الصادر عن cambridge university press سنة 1983، يعلنان فيه صراحة أن منهجهما في مقارنة النصوص والخطابات هو تحليل الخطاب، حيث يرى الباحثان أن اللغة أداة لنقل المعلومات والأفكار والتصورات بين المتخاطبين، وأنها تخلق بينهم أيضاً علاقات اجتماعية ومواقف شخصية، لهذا يتعد الباحثان عن وصف اللغة باعتبارها شكل معطى مجرد، لا علاقة له بمنتج ولا مستقبل، و يريان أن الشيء الأهم في الوصف والتحليل هو التركيز على عملية التواصل بين المتخاطبين، والتي تضم العناصر التالية ( المرسل، المرسل إليه، الرسالة، طريقة الاتصال، السياق التواصلي)، ويعرفان هذه المقاربة بالقول التالي: "سنعتبر الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في التدوين النصي لخطاب ما بينة على محاولة منتج (متكلم/كاتب) إيصال رسالة إلى متلق (مستمع/قارئ)، وسنهتم على الخصوص ببحث كيفية وصول متلق ما إلى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في مناسبة معينة، وكيف أن متطلبات المتلقي المعين في ظروف بعينها تؤثر في تنظيم خطاب المنتج،

<sup>1</sup> كلاوس برينكر، المرجع السابق، ص 70



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

وتتخذ هذه المقاربة التواصلية مجالاً أولياً للبحث، وبالتالي تسعى إلى وصف الشكل اللغوي ليس كموضوع ساكن وإنما كوسيلة دينامية للتعبير عن المعنى المقصود<sup>1</sup>، ويترتب على هذا التعريف الخصائص التالية:

- يميز الباحثان بين عمل محلل الخطاب و بين عمل اللساني، فالأول يصف الخطاب ضمن حركة دينامية تتم بين منتج الخطاب ومتلقيه آخذا بعين الاعتبار كل العوامل المساهمة في حدوثه من أجل وصفه وتفسيره وملاحظة مدى اطراده، بينما ينحصر عمل اللساني في وصف اللغة بعيداً عن منتجها ومتلقيها من أجل الوصول إلى قواعد معيارية، وهذا التمييز لا يقلل من عمل اللساني، لأن منهجهم في الوصف وصل بهم إلى نتائج قيمة، لا زال العمل بها إلى يومنا هذا، كما هو الحال بالنسبة للنحو العربي.
- يمنح الباحثان المتلقي في العملية التواصلية مكانة هامة، فهو من تقع على عاتقه مهمة فهم وتفسير الخطاب، والحكم بوجود انسجام داخل الخطاب أو لا.
- تهتم المقاربة التواصلية بإدخال جميع العوامل المساهمة في وصف والتحليل (المتكلم، المتلقي، الموضوع، قناة التواصل، السياق التواصلية، الخ).

### ➤ علاقة المتلقي بانسجام الخطاب /النص:

اهتم الباحثان بانسجام النص أو الخطاب، ولكن بطريقة مختلفة عما عرفته المقاربة اللسانية الوصفية، من حيث أنهما لم يعتبرا الانسجام شيء معطى يجب البحث عنه، فالغاية من تحليل الخطاب ليس الكشف عن قواعد معيارية، بل مجرد الكشف عن اطرادات في الخطاب، لذلك يميز الباحثان بين عمل اللساني وعمل المحلل، ويرى الباحثان أن المتلقي هو من يقرر وجود انسجام داخل النص من عدمه من خلال عملية الفهم والتأويل، حيث يعمل المتلقي قدراته الذهنية وخلفياته المرجعية أثناء عملية القراءة أو الاستماع، كما أن التأويل يختلف من قارئ لآخر فما يعتبره أحد القارئين أنه نص منسجم قد لا يكون كذلك بالنسبة لقارئ آخر، لذلك تبقى مسألة الانسجام أمراً نسبياً تتحكم فيه مجموعة من العوامل، وكل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم و العكس صحيح.

### ➤ مبادئ الانسجام عند براون و يول:

لقد استفاد الباحثان من المقاربات الأخرى خاصة اللسانيات الاجتماعية وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي وفلسفة اللغة وغيرها، ومن أهم العوامل والمبادئ التي يقوم عليها انسجام الخطاب:

### 1-سياق الموقف و خصائصه:

<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع السابق، ص 50



## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

لسياق الموقف أهمية كبيرة في عملية التأويل والفهم ، ويقصد به مجموعة العوامل والظروف المحيطة بالحدث الكلامي، والتي تساعد المحلل في فهم الخطابات وتفسيرها، ويستند الباحثان على آراء هايمز بخصوص السياق وتوافقه مع الحدث الكلامي: "إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق، والتي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياق بدوره يستبعد كل المعاني لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق"<sup>1</sup>، ويذكر الباحثان الكثير من الأمثلة النصية التي تبرز دور السياق في عملية تفسير النص، ومن هذه الأمثلة ما نقله مُجد خطابي عنهما

Squashaed insects don't bite Mad Mental rule

أي : الحشرات المرفوسة لا تعض الحكم للعقل الجنوبي.

فكل من يقرأ هذا الخطاب يحكم بعدم انسجامه، فهو لا يشير إلى دلالة محددة، رغم أن لمفرداته معنى معجميا، ولكن يذهب الباحثان إلى أن مثل هذه الخطابات كانت تكتب على جدران إحدى المدن الاسكتلاندية في سنوات السبعينيات، وهذا يدل على أن سكان هذه المدينة لا يجدون صعوبة في معرفة مضمونها لأنهم ألفوها "المعرفة الموسوعية للعالم يمكن أن تحبرك بأن الكاتب عضو من أعضاء Mad Mental وهي عصابة، وأن المتلقين المعنيين هم أعضاء في عصابة insects ، فالخطاب موجه من عصابة إلى عصابة أخرى محذرة لها من مغبة (أو التمادي في) خرق قانون العصابة الأخرى"<sup>2</sup> فالخطاب موجه إلى متلق مخصوص وهم أعضاء العصابة، وعناصر السياق التي ساهمت في تفسير هذا الخطاب هي (المقام : ويضم الزمان: سنوات السبعينيات و المكان: مدينة اسكتلاندية/ المرسل:عضو من أعضاء عصابة العقل الجنوبي/المتلقي المخصوص:أعضاء عصابة الحشرات /القناة:كتابة على الجدران/ الحضور:سكان المدينة/شكل الرسالة :تحذير و إنذار.

إنّ المتلقي الذي لا يحيط معرفة بعناصر هذا السياق المقامي يبقى النص بالنسبة إليه غير منسجم، والعكس صحيح، أي يكون الخطاب منسجما لمن علم بالسياق المقامي للحدث الكلامي، وهذا ما جعل مسألة الانسجام تختلف عن المقاربات اللسانية التي تعتبر النص منسجم في كل الأحوال لأنه من المفترض أن يبحث عن عناصر السياق التي تفسر النص أو الخطاب، ويرى هايمز "أن للسياق دورا مزدوجا إذ يحرص مجال التأويلات الممكنة، ويدعم التأويل المقصود"<sup>3</sup>، ويضم السياق في نظره العناصر التالية:

<sup>1</sup> بروان و بول ، المرجع السابق،ص 47

<sup>2</sup> مجد خطابي، المرجع السابق،ص 54

<sup>3</sup> مجد خطابي، المرجع نفسه، ص 54

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- المرسل: وهو منشئ القول متكلماً أو كاتباً.
  - المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
  - الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون عند نشأة القول، يساهم حضورهم في تخصيص الحدث الكلامي.
  - الموضوع: وهو مدار الحديث الكلامي.
  - المقام: وهو زمان حدث التواصل ومكانه وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه...
  - القناة: وهي كيفية وقوع التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي مشافهة أو كتابة أو إشارة.
  - النظام: وهو اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
  - شكل الرسالة: أي المقصود منها، كأن يكون محادثة أو جدالاً أو موعظة أو خرافة أو رسالة غرامية.
  - المفتاح: ويتضمن التقويم أي هل كانت الرسالة جيدة حسنة أو مثيرة للعواطف.
  - الغرض: أي القصد من حدث التخاطب الذي ينقلب نتيجة للحدث التواصلية<sup>1</sup>
- كما استند الباحثان براون و يول على تصنيف ليفيس (Levis) لعناصر السياق التي تعبر عن أفكار تختلف عن هايمز، ومما ذكره الخطابي في هذا الخصوص، فقد أرجع ليفيس السياق إلى العناصر التالية:
- العالم الممكن: بمعنى الوقائع التي تؤخذ بعين الاعتبار سواء كانت حاصلة أو ممكنة أو مفترضة.
  - الزمن: باعتبار الجمل التي تتضمن إشارة إلى زمان الخطاب (الآن،اليوم،الأسبوع القادم...)
  - المكان: باعتبار الجمل التي تتضمن إشارة إلى مكانه (هنا...)
  - المتكلم: باعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر المتكلم (أنا،نحن..)
  - الحضور: باعتبار الجمل التي فيها ضمائر المخاطب (أنت، أنتم)
  - الشيء المشار إليه: باعتبار الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا، هؤلاء،..)
  - الخطاب السابق: باعتبار الجمل التي تتضمن عناصر تقتضي كلاماً سابقاً ( هذا الأخير، المشار إليه سابقاً..)
  - التخصيص: متتاليات من الأشياء.<sup>2</sup>
- وهذا لا يعن توفرها كلها حتى تتم عملية التأويل، ولكن يكفي على المحلل أن يفسر الموقف الكلامي بالنظر إلى عناصر السياق التي تتوافق مع الصيغة الخطاب.

<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 53

<sup>2</sup> محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 54

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

إن الاختلاف في عناصر السياق بين هايمز وليفيس ينبىء عن الاختلاف في التوجه، في حين أن هايمز يركز على مؤثرات التواصل الاجتماعي أي العناصر التي تقع خارج مجال النص، يذهب ليفيس إلى الاستناد إلى القرائن اللغوية في حصر مجال التأويل بمعنى أنه يولي العناية للعناصر التي تقع داخل النص.

ويخلص مُجَّد خطابي إلى أن "الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه...، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته، ولكنه قد يتضمن قرائن(ضمائر أو ظروفًا) تجعله غامضا غير مفهوم دون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دورا فعالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس"<sup>1</sup>

### 2-مبدأ التأويل المحلي:

بموجب هذا المبدأ لا ينشئ المستمع سياقًا أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل"<sup>2</sup>، ويقصد به حصر مجال التأويل انطلاقًا من مجموعة المؤشرات اللغوية وغير اللغوية، ومن الأمثلة التي ساقها الباحثان لاستخراج هذا المبدأ ما نقله مُجَّد خطابي عنهما: "جلس رجل وامرأة في غرفة الجلوس العائلية ... سئم الرجل فاتجه إلى النافذة ونظر إلى الخارج ... خرج، وذهب إلى ناد، تناول مشروبا وتحدث مع الساقبي"<sup>3</sup> فالتأويل الأقرب إلى ذهن القارئ لهذه الفقرة بناء على معطيات النص ومنطق العقل تفيد ما يلي:

أن الرجل الذي كان جالسا مع امرأة في قاعة الجلوس العائلية، هو نفسه من اتجه نحو النافذة ( ويدل على ذلك المؤشر اللغوي وهو أداة التعريف في كلمة الرجل)، ونفس الشيء مع النافذة فهي الموجودة في قاعة الجلوس، خرج ذات الرجل، وذهب إلى أحد نوادي البلدة، فليس هناك ما يدل على أنه سافر إلى مكان آخر كذو وسيلة نقل مثلا، وتناول مشروبا في ذلك النادي، وتحدث مع الساقبي المفترض أنه قدّم له المشروب وكذلك فالمؤشر اللغوي أداة التعريف (أل) تدل على أنه قدم المشروب كفعل أول، ثم تبادل مع الرجل الحديث كفعل ثاني.

يظهر أن القرائن اللغوية كانت سبابة في مسألة التأويل المحلي، ثم يأتي تتابع الأحداث وفق ترتيب منطقي من الجلوس إلى القيام والنظر إلى الخارج من خلال النافذة إلى الخروج والذهاب إلى مكان آخر هو النادي الذي لا يكون محلا إلا للشرب والحديث، فتضافر هذه القرائن والأحداث يساهم فهم النص على طريقة واحدة واستبعاد غيره من التأويلات.

### 3-مبدأ التشابه (القياس):

<sup>1</sup> مجَّد خطابي، المرجع نفسه، ص 56

<sup>2</sup> مجَّد خطابي، المرجع نفسه، ص 56

<sup>3</sup> مجَّد خطابي، المرجع نفسه، ص 56

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

إن مجموعة الخبرات السابقة وتراكمها في ذهن المتلقي أو المخاطب يساعد على فهم وتفسير خطابات جديدة تظهر أمام المتلقي، لكنها متشابهة مع خطابات مخزنة لديه على مستوى الذاكرة، لذلك يستند الباحثان على عالم النفس المعرفي بارتليت في تفسير عملية فهم الخطابات يرى الباحثان أنه: "من المشروع القول أن كل العمليات المعرفية (...) من الإدراك إلى التفكير، تعد طرقا يسعى فيها جهد أصيل وراء المعنى إلى التجسد، وتعبير أشمل نقول إن جهدا كهذا مجرد محاولة لتربط شيء معطى مع شيء آخر غيره"<sup>1</sup>، فمن المفترض أن جميع الخطابات تحمل معان مهما كان الشخص الذي صدرت عنه، لذلك فعملية البحث عن مقصودها وتفسيرها ليست سهلة، فالأمر يحتاج إلى تضافر مجموعة من العوامل (اللغوية والإدراكية وتجارب سابقة لأنواع الخطابات وخصائصها ومقامات سياقية أخرى) تجمع بين خطاب حاضر يخص منتجه ويتطلب إنشاء تفسير له واستخراج معان تخصه وبين متلق يبحث ويبدل قصارى جهده في تفسير هذا الخطاب معتمدا على خلفيات معرفية وخبرات شخصية تتناسب معه، ويرى مُجد الشاوش أن "التشابه عملية ذهنية أساسها المقارنة، يقوم بها المستمع في جميع الحالات سواء تعلق الأمر بالروابط النصية أو بالتجارب الموسوعية، أو بالمعارف النصية، و مألها أن تقضي إلى القول بالتشابه أو الاتفاق أو الاختلاف"<sup>2</sup>، وتم هذه العملية في ثلاثة مستويات:

- مستوى نص الخطاب المقصود تأويله، وفيه بحسب التقدم فيه جزء سابق وجزء حاضر، وللسابق المتقدم منه دور في قيام التأويل المحلي.
- مستوى التجارب الحاصلة للمستمع، وفيها من المعطيات ما يعتمد عليه في تأويل نص الخطاب التأويل المحلي المناسب.
- مستوى المعارف النصية، وفيها يجد المستمع أيضا من المعطيات ما يعتمد عليه في تأويل نص الخطاب التأويل المناسب، وإن كان هذا الضرب من التأويل لا يوافق تأويل جزء ضيق من نص الخطاب"<sup>3</sup>.

ويربط مُجد خطابي بين مبدأي التأويل المحلي والتشابه من حيث وظيفتهما المشتركة في تحقيق الانسجام في الخطابات والنصوص، يقول الباحثان أن "مبدأ القياس ومبدأ الفهم المحلي يكونان أساس فرضية التماسك المعنوي"<sup>4</sup>، رغم أنهما مختلفان في الطبيعة، فالأول يعدّ وجها من وجوه التأويل بينما يعتبر الثاني أداة وآلية يعتمد عليها القارئ للمقارنة ثم الاستنتاج ثم التأويل، على أن تطبيق هذان المبدآن يختلف وفقا لنمط النص، ففي النصوص القانونية والدينية حيث يكون التأويل فيهما مقيدا لا ينبغي للقارئ أو المستمع أن يجيد عن

<sup>1</sup> مجد خطابي ، المرجع نفسه، ص 57

<sup>2</sup> مجد الشاوش، المرجع السابق، ص 171

<sup>3</sup> مجد الشاوش، المرجع نفسه، ص 170

<sup>4</sup> براون و يول، تحليل الخطاب، ص 81

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

مقصدية المتكلم لأن هذا الخطاب يكون له تأثير على الآخرين، بينما النصوص الأدبية تتعدد فيها القراءات، لأنها تتعلق بإثبات جماليات النص الأدبي وللقارئ أن يغرف من خزانة خياله ما يشاء لأجل التأويل.

### 3- مبدأ التغيريض (تيمة النص thème):

هذا المبدأ يتعلق بالوحدة الموضوعية للنص، فيرى المتلقي أن معظم العناصر اللغوية بما فيها الضمائر والمفردات المعجمية والأسماء الإشارية والموصولة تصبّ في إناء واحد بواسطة الإحالة، وتساهم في بناء جدارية فنية واحدة هي موضوع النص والتي قد تكون شخصا واحدا، أو قضية واحدة، أو قيمة اجتماعية... إلخ، وتعد وحدة النص (البنية الكبرى) من الإنجازات القيّمة التي قام بها مؤسس علم النص فان دايك حيث يقول "حيث يكون موضوع نص ما بدقة هو نفسه ما أطلقنا عليه البنية الكبرى أو جزء منها"<sup>1</sup>، وسماها الباحثان التغيريض وهي في مفهوم كرايمس البناء، وفي إيضاح معنى التغيريض يقول مجّد خطايي: "العنوان سيؤثر في تأويل النص الذي يليه، كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تفيّد فقط في تأويل الفقرة، وإّما بقية النص أيضا" وقد ساق مثلا يوضح من خلاله مبدأ التغيريض والوسائل التي يتحقق بها:

### "حازم القرطاجني"

ولد حازم سنة 608هـ ، وقد اشتهر هذا الأخير بنسبته إلى مسقط رأسه، حتى عرف بالقرطاجني، وقد نشأ أبو الحسن حازم في وسط ممتاز ذي يسار وقضى طفولته، وشبابه في عيش رغد متنقلا بين قرطاجنة ومرسية (...). ووجد من والده خير ملقن وموجه لمعرفة العربية وتعلم قواعده (...). ولما يفع أقبّل على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، وكان ذلك يدعوه إلى التردد باستمرار على مدينة مرسية القريبة منه للأخذ عن أشياخها (...). واكتملت عناصر ثقافته، فكان فقيها مالكي المذهب كوالده، نحويا بصريا كعمامة علماء الأندلس، حافظا للحديث، راوية للأخبار والأدب، شاعر"<sup>2</sup>

فإذا قرأت جمل النص كلها ترى أن النص بعنوانه وجمله يتحدث عن شخص واحد هو حازم القرطاجني، فقد تصدر اسمه ولقبه عنوان النص، ثم تكرر ذكر اسمه فقط في الجملة الأولى (حازم)، أما بقية الجمل فقد أشير إليه بالضمير المستتر والضمير المتصل الغائب الذي يفسره الاسم المشار إليه في البداية وهو (حازم)، فكان حازم نقطة بداية الموضوع والعنصر المشار إليه الذي فسّر الكلام الذي جاء بعد ذلك.

<sup>1</sup> فان دايك ، علم لغة النص مدخل متداخل الاختصاص، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب ، ط1 ، 2001، ص80  
<sup>2</sup> مجّد خطايي، المرجع السابق، ص60.

## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

إن مبدأ التفسير لا يتحقق إلا بالعناصر اللغوية التي تظهر داخل النص والتي تشكل ترباطاً بين أجزاء النص من خلال العلاقات الإحالية تكوّن موضوع النص وتحقق وحدته البنائية.

➤ عمليات انسجام الخطاب:

يتحكم في انسجام الخطاب مسألتين رئيسيتين حصرهما الباحثان في:

### 1- المرجعية الفكرية و دورها في تأويل الخطاب

كلما صادف شخص موقفاً يستحضر كل المعارف المخزنة في ذاكرته، والتي لها علاقة بهذا الموقف، حتى يستطيع فهمه وتفسيره وتأويله من ثم اتخاذ قرار بشأنه، مثل القارئ الذي يواجه خطاباً أو نصاً حول زوجات النبي (ﷺ)، فلا يمكن لأي قارئ التعامل مع هذا الخطاب إلا إذا كانت لديه معرفة سابقة حول حياة النبي الزوجية بمعنى أن يكون على معرفة بزوجات النبي أي بأسمائهن وأصولهن وأولادهن، وترتيبهن في الزواج من النبي، وعلاقة النبي ﷺ بكل واحدة وكيف كانت معاملته لهن، وما الحكمة من زواجه بكل واحدة منهن، ومن كانت أقرب إليه، ومن أخذت عنه العلم وأصبحت مدرسة في الحديث، وأسباب ذكرهن في القرآن الكريم وترتيب وفاتهن، وكل يخص حياته ﷺ مع زوجاته، فتنشأ علاقة إيجابية بين النص المعروض وبين القارئ، فيعامل هذا الأخير مع النص وفق استراتيجية فهم النص، وهنا قد يستبعد القارئ كل معلومة يرى أنها غير صحيحة في النص أو قد يصحح معلوماته المخزنة في ذاكرته لأنها مخالفة لما ورد في السيرة النبوية، ويضيف في أثناء القراءة معلومة جديدة، فالخطاب أو النص يحصر مجال الشخص في عملية الفهم والتحليل.

### 2- الإطار والمدونة والسيناريو والخطاطة و(القاعدة-القمة) و(القمة-القاعدة) والفرض الاستكشافي:

تعد هذه من المصطلحات من المفاهيم التي اشتهرت في مجال علم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي، وتعد نماذج ذهنية يستعان بها في فهم عمل الدماغ البشري على مستوى الذاكرة القصيرة المدى والأخرى الطويلة المدى، وتتضمن جميعها بنيات مجهزة بمعطيات ثابتة تتسم بالتتالي والكلية وتقوم على مبدأ السحب والاسترجاع لهذه البنيات في مواقف تواصلية معينة، وقد نقل محمد الشاوش عن smolensky تعريفاً جامعاً لهذه المفاهيم قوله: "هي جمل من المعلومات المنظمة سلفاً، تمكن من القيام بالاستدلال (على المعنى المناسب)، inférences في وضعيات نمطية جاهزة"<sup>1</sup>.

وقد ذكر محمد مفتاح المصطلحات و ما يقابلها في اللغة الإنجليزية كما يلي<sup>2</sup>:

اللغة العربية	الإنجليزية	تعريفها
---------------	------------	---------

<sup>1</sup> محمد الشاوش، المرجع السابق، ص176.

<sup>2</sup> محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط2، حزيران 1990، ص 25 و 26

**الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب**

الأطر	<b>Frame</b>	هي شبكة من العلاقات يكون مستواها النموذجي الأولي مطابقاً لأحداث ثابتة متعلقة بأوضاع نموذجية وشبكة دنيا هي تحققات لتلك الشبكة.
المدونات	<b>Protypes</b>	هي متتالية ثابتة من الأحداث النموذجية التي تصف وضعاً، أي تتالي العلاقات الزمانية و المكانية و انتظامها
الحوارات	<b>Scripts</b>	تتسم بالتتابع و التتالي
الخطاطات	<b>Schema/ schemata</b>	شبهه إلى حد كبير المدونات، إذ كل منها يعني التتابع و الترابط
القاعدة- القمة	<b>Bottam-up</b>	فهم الخطاب يقوم على مؤشرات لغوية و البنية و المعرفة المخزنة في الذاكرة
القمة- القاعدة	<b>Top-doum</b>	و يعتمد على عمليات استدلالية بسيطة
الفرض الاستكشافي	<b>Abduction</b>	يعتبر شكل من الاستدلال لتفسير الفرضيات، فهو يقوم على القياس المنطقي و يعمل بمناهج الاستقراء والاستنتاج

لقد حاول مجموعة من الباحثين من أمثال ميسنكي و روجي شانك، وسانفورد و كارود تمثيل المعرفة الخلفية للمتلقى من أجل فهم الخطاب بإحدى هذه التقنيات ( الإطار و المادونة و السيناريو و الخطاطة) وهي تمثل بنيات معرفية تتشكل لدى الشخص على مستوى الدماغ، و تفاعلها مع تجربته الشخصية و مواقف مجتمعية و ثقافية، فكلما صادف خطاباً تظهر هذه البنيات المعرفية لتساهم في عملية الفهم و التأويل بمساعدة قواعد الاستدلال و المنطق، وقد ذكر مُجدُّ الشاوش نقلاً عن الباحثين (SPERBER و WILSON، أنه "في تعاملنا مع ما يعترضنا من النصوص - ومن غير النصوص - يكون اعتماداً على أمرين اثنين:

- جملة الأصول و القواعد المنطقية التي يعمل بمقتضاها الفكر، وهي أصول متناهية كما وكيفا لا يكاد يختلف الناس فيها.

- جملة المعارف الموسوعية التي حصلناها، وهي معارف شديدة التفاوت و الاختلاف من شخص لآخر، وهي غير متناهية يمكن الزيادة إليها أو تعديلها بالطرح منها، بالعدول عما يبدو لنا خاطئاً، و يمكن أن ننظر في بعض الصور التي وظفت فيها هذه المفاهيم للاستدلال على إمكان الاستعاضة عنها بأثر معارفنا الموسوعية في صور الإدراك و الفهم و التأويل"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مجد الشاوش، المرجع نفسه، ص 177

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

ويظهر هذا الطرح في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية ليسمون ديك في النحو الوظيفي بشكل واضح، حيث يقوم هذا النموذج على قوالب خمسة افتراضية: القالب النحوي وهو الخطاب المعروض أمام المخاطب بصيغته اللغوية، والقالب الإدراكي والقالب المنطقي ويقوم على مجموعة من القواعد الاستدلالية والمنطقية وهذه القدرة موجودة لدى البشر بشكل متساو كما وكيفنا، أما القالب الاجتماعي والمعرفي فهي قوالب مخزون لكونها تحتوي على الخلفية المعرفية التي اكتسبها المتلقي خلال الزمن، إن تفاعل القوالب على مستوى الذهن البشري يساهم في عملية فهم وتأويل الخطاب أو النص، بحيث يرصد المتلقي المعاني الظاهرة على سطح الخطاب وكذا المعاني الضمنية أيضا أو ما يسميها سيمون دايك القوة الإنجازية الحرفية والمستلزمة.

### **المبحث الرابع: التماسك النصي عند روبيرت دي بوجراند:**

لم يكتف روبيرت دي بوجراند بإنشاء نموذج إجرائي لعالم النص و ربط النص بالحدث التواصلية، لكنه بحث في مسألة النصية وهي تمثل مجموع السمات التي لا توجد إلا في النصوص، وهذا الأمر يجعل الباحث يميز بين الجمل والنصوص وأن أي تتابع جملي يخضع لمجموعة من المعايير أو الآليات التي يستدل بها المتلقي لتمييز النصوص عن غيرها من الجمل المتوالية والمتلاصقة على السطح لكنها في حقيقتها جمل منعزلة تدخل ضمن نحو الجملة، وهذه المعايير ذكرها دي بوجراند بشكل متكرر في كتاباته المختلفة، لقد أوجد دي بوجراند هذه المعايير السبعة بناء على اطلاعه الواسع في كتابات الباحثين في نظرية النص، وقد أشار إليها بقوله: "إن مفهومي السبك والالتحام، يمكن العثور عليهما في أعمال مثل هاليداي(1964)، هاليداي وحسن(1976)، فاندايك(1962)، دريسلر(1972)، وغيرهم، وقارن في شأن القصد، ووندريج(1971) ودريسلر(1972-a)، وبروس(1975)، فاندايك(1977-a) وكوهين(1978)، وألن(1979)، أما في شأن القبول: فاقراً كيركو سنقارتفيك(1966) وجرينباوم(1977)، رعاية الموقف: عمل هاليداي(1977)، والأنتروبولوجيا الوصفية للاتصال( جومبيرتس وهامز(1972)، من أجل نظرات إلى التناسق اقراً كرستيفا وكيرك(1987) أما عن الإعلامية اقراً: شانون(1951)، و ويلتنز(1964) وجريمس(1975) وبوجراند(1978/b-1979/e)"<sup>1</sup> واستطاع بناء نظرية للنص تقوم على اللغة والعقل والمجتمع والإجراء، وهذا ما يجعل دراسة النصوص تكون على ثلاث مستويات هي: النحوي والدلالي والتداولي.

### **معايير النصية:**

يرى دي بوجراند أن النصية تقوم على مبدأ العلاقة بين الوقائع والأحداث، فيتحقق الترابط على المستويين الداخلي والسطحي للنص، فقد أوردت إلهام أبو غزالة نقلا عنه ما يلي: "إن جميع معايير النصية التي نقدمها في كتابنا هذا، هي ذات سمات علاقية تهتم بكيفية ارتباط الوقائع بعضها ببعض من خلال

<sup>1</sup> دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص105.



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

التبعات النحوية في ظاهر النص (التضام)، ومن خلال تبعيات المفاهيم في عالم النص (التقارن)، ومن خلال اتجاهات المشتركين اتجاه النص (القصدية و المقبولية)، ومن خلال استدماج الجديد وغير المتوقع فيما هو معلوم ومتوقع (الإعلامية)، ومن خلال المقام (المقامية)، ومن خلال قيام صلة متبادلة للنصوص المفردة (النصوصية).<sup>1</sup>

يقصد بالمعايير مجموعة من المقومات اقترحها ديوجراندي نتيجة دراسته للغة الإنجليزية وصفا وتحليلا، وهي سبعة معايير:

### أولاً: السبك (الترابط الرصفي، التضام)

عبر ديوجراندي عن تأليف الكلام ونظمه بالتتابع الرصفي، وقصد به تماسك النص على مستوى العناصر اللغوية المكونة للنص والممتدة بشكل أفقي خطي والخاضعة لتوال زمني، وقد خصص لهذا المعيار فصلين الثاني والخامس من كتابه النص والخطاب والإجراء، ويعرفه بقوله كما ذكره تمام حسان: "أريد بالتتابع الرصفي sequencing أن أشير إلى كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني"<sup>2</sup>، مع مراعاة النظام الصوتي والصرفي في الاستعمال، وهذا التتابع الرصفي لا يتم إلا بوسائل نحوية (وسائل التضام) وهي: التكرار، والأشكال البديلة (الإحالة بأنواعها)، والوصل والفصل (العطف).

### ➤ التكرار:

يعد التكرار من أهم الظواهر اللسانية التي تخلق التضام داخل النصوص وقد جعله ديوجراندي ودريسلر في مقدمة العوامل، والتكرار بالنسبة لهما أشكال متعددة كما ذكرته إلهام أبو غزالة في ترجمتها: "يقصد بالتكرار التكرار المباشر للعناصر والأنماط، وبالتكرار الجزئي نقل العناصر التي سبق استعمالها إلى فئات مختلفة (من فعل إلى اسم مثلاً)، أما تكرر بنية ما مع شغلها بعناصر جديدة فيدعي بالموازاة، في حين يطلق مصطلح إعادة الصياغة على تكرر المحتوى مع نقله بتعبيرات مختلفة"<sup>3</sup>، فيظهر من خلال الاستعمالات الكلامية في النصوص المنطوقة والمكتوبة أن المتكلم يستعمل أسلوب التكرار بأحد الأشكال التالية وهي:

### 1- التكرار الكلي:

يكون بإعادة اللفظ كما هو، دون إحداث أي تغيير عليه مثل قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ الْقَارِعَةُ [3-1] وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

<sup>1</sup> ديوجراندي و دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام أبو غزالة، ص 61.

<sup>2</sup> ديوجراندي، المرجع السابق، 136

<sup>3</sup> ديوجراندي و دريسلر، المرجع السابق، ص 72

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

تَعَاوَنَ ﴿١﴾ التكاثر 3، 4، ويلجأ المتكلم لهذا النوع لأغراض معينة أهمها تقديم خبر و توكيده ، أو للإنذار، أو للإنكار.

### 2- التكرار الجزئي:

حين يلجأ المتكلم إلى استخدام المرادفات أو شبه المرادفات بحيث تؤدي مع الكلمة الأولى نفس المعنى ويتواجد هذا النوع بكثرة في النصوص التشريعية الجنائية التي تعمل على إزالة اللبس حول ماهية الأفعال المجرمة كونها مرتبطة بعقوبة مثلا: يعرف المشرع الجرح بقوله: "هو كل ما ترك أثرا بجسم المجني عليه، سواء أكان ظاهرا أم باطنا من قطع الأنسجة أو وخز أو تسلخ أو سجح أو كدم أو حرق أو شرخ في العظام أو كسر" أما الضرب فهو كل ضغط أو صفع أو رض أو دفع أو احتكاك بجسم المجني عليه سواء أترك به أثرا أم لم يترك، ولا أهمية للآلة المستعملة"، ويدخل ضمن هذا النوع إعادة الصياغة.

### 3- الموازاة:

تظهر من خلال تكرار أشكال الإخراج ذاتها في ظاهر النص مع شغلها بمعاني مختلفة نحو قوله تعالى " ﴿١﴾ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٩﴾ التكوير [1-8]، فكل تركيب في الآيات تضمن (إذا + مبتدأ+ خبر (فعل)) و إن اختلفت كلماتها إلى أنها تصب في معنى إجمالي واحد هو الدليل على عظمة الخالق سبحانه و تعالى.

### ➤ الأشكال البديلة أو الإضمار:

تعتبر من وسائل التضام المهمة و يقصد بها الإحالة بأنواعها المختلفة، ترجمتها إلهام أبوغزالة باسم الأشكال البديلة، وترجمها تمام حسان بالإضمار بعد الذكر، والإضمار قبل الذكر والإضمار بمرجع متصيد، وتمثل الأشكال البديلة في الضمائر وأسماء الإشارة وعبارة (يفعل) وكلها قد تحيل على اسم أو فعل أو قول مذكور في النص، يقع إما سابقا أو لاحقا عليها، أو يكون خارج عالم النص، ومن ذلك قوله تعالى: " ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢﴾ المنافقون [9] ، ويحرص ديوجراند ودريسلر على ضرورة الاستخدام المناسب للأشكال البديلة أو الإضمار حتى يؤدي دوره في تحقيق الكفاءة النصية، فلا يسرف المتكلم في الإضمار لدرجة الغموض ولا يذكر ما حقه الإضمار، ويتغني بين ذلك سبيلا.

### ➤ الوصل و الفصل:

يقصد به العطف في البلاغة الكلاسيكية، ويعمل على الربط بين الوقائع و الحوادث، وهي أربعة أنواع هي الوصل و الفصل، ووصل النقيض ، والاتباع، و يتميز كل نوع عن الآخر بأدوات ربط نحوية تعد بمثابة

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

المؤشرات اللغوية تكشف عن العلاقات الداخلية المعنوية للتتابع الجملي، فيغلب في الوصل استعمال أداة العطف (الواو)، وفي الفصل (أو، أم، ..) وفي وصل النقيض (لكن، غير أن، رغم أن، ..) وفي الاتباع (لأن، لكي، لا التعليل)، غير أن وجود هذه الأدوات ليس أمرا مشروطا وحتميا في كل الأحوال، فقد يتحقق الوصل و الفصل بين الجمل حتى في حالة عدم وجودها بل يصل الأمر إلى أن الاستغناء عنها في بعض النصوص أفضل من ذكرها وهذا أمر متفق عليه في جميع النظريات النصية.

### ➤ الحذف:

لم يختلف بوجرانند عن علماء النص في كون الحذف يعد من وسائل السبك أو التضام التي يكون بها الكلام متماسكا فيرى أنه: "من غير المعقول بالنسبة للناس أن يحولوا كل شيء يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة، فلو فعلوا ذلك لكان أولى بهم أن يفضلوا أن يتكلموا بجمل تامة أكثر كثيرا مما يفعلون، فالاكتمال النحوي ينتج تراكيب لا فائدة فيها و لا وضوح"<sup>1</sup> فجرت العادة عند مستعملي اللغة أن يدور كلامهم بين الإيجاز و الإطناب و هذا حسب المواقف التي ألفوا التعامل معها، فالإيجاز في الكلام ما تضمن حذفاً، وهذا ليس عيباً أو نقصاً، بل بلاغة و لغة، و الحذف قد يكون في الأفعال أو الأسماء أو الأقوال، و قد دعم ذلك بأمثلة من اللغة الإنجليزية.

### ثانياً: الالتحام (التقارن، الترابط المفهومي): COHERENCE

إذا كان للتضام وسائل و أدوات نحوية يظهر من خلالها تماسك البنية السطحية للنص، فقد بحث ديوجرانند ودريسلر في القضايا التي تدخل في بناء الترابط المفهومي للنص، وذكرها إلهام أبو غزالة في ترجمة مدخل إلى علم لغة النص وهي: الاستمرارية- الاستثارة- قوة الربط- توسيع الاستثارة- الذاكرة العرضية في مقابل الذاكرة الدلالية- الاقتصاد- استعمال الأنماط الكلية- التوريث- اتساق لغة النصوص مع الإدراك الباطن أو المعرفة بوجه عام"<sup>2</sup> فالتقارن أو الالتحام فيخص الجوانب المفاهيمية و المعرفية و كذا التصورات المرتبطة بالنص، وجاءت في الفصل السابع من النص والخطاب و الإجراء، و ينشأ الالتحام من خلال تشكل مجموعة من العلاقات سماها بوسائل الالتحام وهي:

1- العناصر المنطقية كالسببية و العموم و الخصوص (class inclusion).

2- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

<sup>1</sup> ديوجرانند، المرجع السابق، ص 341  
<sup>2</sup> ديوجرانند و دريسلر، المرجع السابق، ص 150

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

3- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها

النص (text presented knowledge) مع المعرفة السابقة بالعالم

"( prior knowledge of the world )"<sup>1</sup>

### ثالثاً: القصدية

يعرف ديوجراندي هذا المعيار أنه: " رغبة مؤلف النص أن يقدم نصاً مسبوکاً و محبوباً، و في معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتخذها المؤلف لاستغلال نصه من أجل تحقيق مقاصده"<sup>2</sup>، فالقصدية تعمل في المتكلم عمل المقود في السيارة، حيث يسلم خطاب المتكلم من أي عيب في اتساقه و انسجامه طالما كان للقصد دور في رسم الخطاب أو النص، و كذلك السيارة لا تتجه في أي اتجاه إلا تكون في سيرها تابعة لمقودها، و الأصل أن يكون قصد المتكلم متطابقاً مع الصيغة اللغوية التي نطق بها.

لقد أثار الباحثون في التداوليات من أمثال غرايس و سيرل، مسألة الترابط بين المقاصد و بين معنى المنطوقات و شكل إخراجها، و ينقل هنا دي بوجراندي عن سيرل أفعال الكلام في إطار تمييزه بين المعنى الحرفي و المعاني الضمنية أو ما يسميه بالقوة الإنجازية، فالمنطوق اللغوي يتضمن الأفعال الكلامية التالية:

- "أفعال النطق أي مجرد النطق بالكلمات أو الجمل.

- أفعال القضايا(الأحكام) أي استعمال المحتوى و الإشارة الدلالية.

- أفعال العرف أي النشاطات العرفية التي يؤديها المثال كالوعد و الوعيد و ما إليهما.

- أفعال التأثير أي التوصل إلى إحداث تأثيرات على مستعملي النص كإقناعهم أو إقناعهم"<sup>3</sup>

يرى بوجراندي أن نظرية أفعال الكلام غير قادرة على الكشف عن مقاصد المتكلمين، فيقول: "ولذا فإن نظرية أفعال الكلام تعتبر نظرية ناقصة إلى حد ما في إطارها العادي، وهي عاجزة عن تقدير التفاعل بين العرف و السياق الحالي حق قدره"<sup>4</sup>، فالبحث عن مقاصد المتكلم من خلال النصوص أمر صعب فهو لا يظهر للمتلقى، لأنه مرتبط بعوامل كثيرة، أولها الشكل اللغوي للمنطوق و العرف(المواضعة) ثم السياقات المتنوعة ( الاجتماعية و العاطفية و الثقافية و الحضارية ...)

من جهة أخرى يستعرض دي بوجراندي استراتيجيات المتكلم في إصدار منطوقه اللغوي والتي يسميها غرايس بمبادئ السلوك اللغوي في المحادثة (التعاون، الكمية، النوعية، العلاقة، الهيئة)<sup>5</sup> :

<sup>1</sup> ديوجراندي، المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> Robert de Beaugrande and Dressler , Introduction to text linguistics ,P113

<sup>3</sup> دي بوجراندي و دريسلر، المرجع السابق، ص 158

<sup>4</sup> دي بوجراندي و دريسلر، المرجع نفسه، ص 159

<sup>5</sup> دي بوجراندي و دريسلر، المرجع نفسه، ص 161 و 162 و 166

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- 1- مبدأ التعاون: فلا تخرج مشاركة المتخاطبين في المحادثة عن الموضوع محل المناقشة، وتكون الآراء هادفة
- 2- مبدأ الكمية: حيث يلتزم المتكلم بمقدار محدد من المعلومات أثناء المشاركة في الحوار دون زيادة.
- 3- مبدأ النوعية: يظهر في كلامه الجدة من خلال صدقه و كفاءة استدلالاته.
- 4- مبدأ العلاقة: أن يبقى في كل مراحل المحادثة كلامه ذا صلة بموضوع التحوار.
- 5- مبدأ الهيئة: أن يكون منهجيا في طرح تصوراته و أفكاره، بعيدا عن اللبس و الغموض.

### رابعا: المقبولية

إن نظرة المتلقي للنص تختلف عن نظرة النحوي له، فهذا الأخير يضع النص على كفة الميزان، و يضع القواعد في الكفة الأخرى، و يحكم على سلامة النص مادام النص وعلم القواعد في مستوى واحد، بينما نظرة المتلقي القائمة على مبدأ الاتصال، ترى القواعدية جزءا محددًا لقبول النص في أول قراءة بناء على السياق اللغوي للكلام يقول ديوجرانند: "القواعدية grammaticality محدد جزئي للتقبلية متفاعل مع غيره من العوامل المصاحبة، ومن أمثلة ذلك تأثير ترتيب عرض الجمل في الأحكام التي يصدرها الناس، وتزداد سرعة تقبل الجمل إذا أثارت تعبيراتها صورا ذهنية، وربما كان هذا راجعا إلى إسهام الصور في بناء السياقات"<sup>1</sup>، ثم تبدأ مرحلة الاتصال بالنص عندما يتحول الكلام أو التعبير إلى صور ذهنية وتمثيل معرفي يجعل المتلقي يتفاعل من النص من خلال معرفته بالأعراف اللغوية وقدرته على استخراج المعلومات و تحليلها وتفسيرها، إن المخزون المعرفي والإدراكي للمتلقي يساهم بدرجة فاعلة في درجة استقباله للنص فيربط بين ما يقوله النص، وبين ما يملكه من آليات و تجربة و معارف، فيكوّن لنفسه سياقًا يدعم به رأيه في الحكم على مقبولية النص، غير معاني التي يقصدها المنتجون على ترد طريقة موحدة في العرض، لذلك يرى ديوجرانند أن "احتواء النص على خلل في الربط المعنوي (الحبك) لا يؤدي إلى فقد النص للتقبلية، مادام الخلل يقع في نطاق الأحداث القصصية التي تتجه إلى الهدف، حيث تشتمل التقبلية شأنها شأن القصصية- على مدى إغضاء (قبول) في الحالات الطفيفة التي بها الخلل والانتقطاع"<sup>2</sup>، وهذا لا يشكل عائقا أمام المتلقي في عملية الفهم، بل إن معرفته الجيدة بالمتكلم وثقافته وتوجهاته العلمية تجعل المتلقي ليس بعيدا عن قصد المنتج و يرى في الانحراف الدلالي اتساقا وانسجاما على طريقة مخصوصة لا يراها غيره.

### خامسا: رعاية الموقف

<sup>1</sup> حسام فرج، المرجع السابق، ص54  
<sup>2</sup> حسام فرج، نظرية علم النص-رؤية منهجية في بناء النص النثري، مجلة الابتسامة، مكتبة الآداب-القاهرة، ط1، 2007، ص53

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

هذا المعيار له علاقة بالسياق الذي جاء فيه النص، إذ يأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، ورعاية الموقف قد يظهر فيها النص ممثلاً في علامات لسانية كما في قولك تعزي شخصاً: "عظم الله أجرك في مصابك" فهذا النص قيل في موقف وقوع خبر الموت، وبه يخفف من شدة المصيبة، ويكون به سنداً لصاحبها، ويظهر النص أيضاً بعلامات غير لسانية كروية شخص بيكي ويرتدي لباساً يدل على الحزن فيدرك الآخريين بصورة مباشرة أن الموقف يعبر عن الحزن دون حاجة إلى مقال.

### سادساً: التناص

ولد هذا المصطلح في حضن البنيوية والسميائية وظهر مع الناقدة البلغارية جوليا كرسستيفا عام 1967/1966 ويعني دخول النص في علاقات مع نصوص أخرى لارتباطهم بنفس الموضوع، فينشأ التناص على علاقات نصية لا واعية، والمعنى الذي تستعمل فيه كلمة تناص هو "نظر نص لاحق أو توجيه لهذا النص أو فكرة تتعلق به إلى نص سابق أو فكرة تتعلق به أو رأي فيه على سبيل الموافقة أو المخالفة أو المزاجية بينهما"<sup>1</sup> ويبرز من خلال التناص ثقافات وأفكار مختلفة وهو دليل على اتساع مقروئية المبدع يقول رولان بارت: "كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى، إذ نتعرف نصوص الثقافة السابقة والحالية، فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة"<sup>2</sup>

### سابعاً: الإعلامية

تتفاوت النصوص من حيث الجودة والتنوع في الإعلام والإخبار، وهذا راجع إلى مهارة المنتج في الكتابة أو المتحدث في الكلام، ويقع على المتلقي قارئاً أو مستمعاً عبء النظر في، درجة الكفاءة الإعلامية للنص من خلال عمليات فهم النص وتفسيره وتأويله. فما معنى الكفاءة الإعلامية للنص؟ وكيف يتم التعرف عليها؟ وما هي درجاتها؟

لقد ورد معيار الإعلامية أو الإخبارية مع ديوجراندي في كتابه النص و الخطاب والإجراء، وفي الكتاب المشترك بين ديوجراندي ودرسلر بعنوان مدخل إلى لسانيات النص، ليتضح أن الإعلامية تجعل النصوص درجات.

والكفاءة الإعلامية هي "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم **uncertainty** في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي **textual** في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على

<sup>1</sup> عبد الحكيم الراضي، من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2006، ص48

<sup>2</sup> محمد خير البقاعي، دراسات النص و التناص، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1998، ص38

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

الأقل تقوم وقائعا في مقابل عدم التوقع<sup>1</sup> إن الوصول إلى موضوع الخطاب ليس بالأمر الهين، فليس كل ما نقرؤه نفهمه مباشرة من أول قراءة، فهناك نصوص مضامينها واضحة وضوح الشمس لأن دلالتها الكلية مجسدة في مجموع معاني أجزائها اللغوية، بينما نجد نصوصا أخرى تتطلب مجهودا في فهمها وبلوغ هدفها، فكلما كان أسلوب النص مبتذلا وسهلا كانت درجة الإعلامية منخفضة لأنها موجودة في المخزون المعرفي لدى المتلقي، بينما إذا احتوى النص على عناصر لغوية جديدة وغير متوقعة لدى المتلقي سارع هذا الأخير إلى استخدام مجموعة من الآليات لفك شفرات النص فيحوز النص على درجة إعلامية عالية، و لهذا يميز ديوجراند بين مستويات ثلاثة للكفاءة الإعلامية<sup>2</sup> وهي:

### 1- كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة:

المحتوى المحتمل في هيئة محتملة، ويكون النص سهل الصياغة، وغير إعلامي، بمعنى أن النص يحوي معرفة موجودة مسبقا لدى المتلقي، ومن جهة أخرى أن العناصر اللغوية التي حملت المضمون أو المعرفة متوقعة وليست على قدر كبير من الجودة.

### 2- كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة:

المحتوى غير محتمل في هيئة محتملة أو المحتوى المحتمل في هيئة غير محتملة وتنطبق هذه الكفاءة على النصوص الأدبية غالبا، لأن هذه النصوص تعرض إعلاميتها الجادة والمتنوعة في صياغة جمالية وفنية يفهمها المتلقي ويستوعب مضمونها وقد يحدث عكس ذلك بحيث تكون الفكرة التي يطرحها الكاتب ليست جديدة لكن طريقته البسيطة في الطرح أو الصياغة تجعل المعلومة مستجدة برؤية مغايرة.

### 3- كفاءة إعلامية مرتفعة الدرجة:

المحتوى غير المحتمل في الهيئة غير المحتملة، وهي النصوص صعبة الصياغة والمثيرة للجدل، وصفت هذه الكفاءة الإعلامية بالمرتفعة الدرجة لكونها تدفع المتلقي إلى إعمال قدراته الإدراكية ومرجعياته المعرفية، ومعرفته بالعالم الخارجي وكذلك معرفته بعالم النص ليدرك الخبر الذي حملته بنية النص وهي عناصر غير متوقعة والنصوص الفلسفية والكتابات المترجمة ترجمة صحيحة فتكون صعبة المنال.

## المبحث الخامس: التلقي العربي للنظرية اللسانية النصية و تطبيقها على النص القرآني

<sup>1</sup> روبرت دي بوجراند، المرجع السابق، ص105

<sup>2</sup> ينظر: روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص249.



لقد انتقلت لسانيات النص بمفاهيمها النظرية و الإجرائية و التطبيقية من مختلف مدارسها إلى الفكر العربي عن طريق الترجمة، و يعتبر الباحث العربي سعيد حسن بحيري رائدا في هذا المجال من خلال ترجمته للعديد من المؤلفات، حيث شرح الدرس اللساني النصي للمدرسة الألمانية بكافة تفاصيله من مفاهيم ومصطلحات نظرية وتطبيقية واتجاهات فكرية، ومن مؤلفاته نذكر على سبيل المثال لا الحصر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات (تون.أ.فان دايك)، مدخل إلى علم لغة النص (فولفجانغ هاينه مان و ديترفيهجر)، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص (زتسيسلاف وأورزنيال)، التحليل اللغوي للنص- مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج (كلاوس برينكر)، أساسيات علم لغة النص، مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه (كلماير وآخرون)، لسانيات النص، مدخل تأسيسي، وترجمة مقالات متنوعة في علم النص.

وترجم تمام حسان الأصول النظرية اللسانية للمدرسة الإنجليزية من خلال كتاب النص والخطاب والإجراء لمؤلفه روبرت آلان دوجرانند، حيث أظهر فيه مفهوم الكفاءة النصية والتواصلية للنصوص والخطابات وعرف بالمعايير التي اقترحها المؤلف لتماسك النصوص.

● **فوضى ترجمة مصطلح "COHESION" « COHERENCE »:**

لقد تعرض مصطلح "COHESION" أثناء نقله إلى اللغة العربية إلى ترجمات مختلفة و متعددة، مما خلق فوضى في المصطلح في الكتابات العربية، فيقول جمعان عبد الكريم عن هذه الفوضى المصطلحية: "تماسك مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية « COHESION » ...، فيترجمه مُجد الخطاب إلى الاتساق، في حين يترجمه تمام حسان إلى السبك، و يترجمه إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد إلى التضام، أما عمر عطاري فيترجمه إلى الترابط، و يترجمه عبد القادر قيني إلى الالتئام، وبسبب من ذلك ينقله أحمد عفيفي مترجما إلى ثلاثة مصطلحات معطوفة بـ(أو) التنويع هي: السبك أو الربط أو التضام، وإلى هنا يكون الأمر مقبولا في هذه الفوضى المصطلحية، و لكن أحمد عفيفي ينقل مصطلحا آخر هو « COHERENCE » إلى الحبك أو التماسك أو الانسجام أو الاتساق، وهنا تتداخل ترجمة المصطلحين، بل إن المصطلح الأول الذي اشتهر بالتماسك أو الاتساق قد انتقلت ترجمته إلى المصطلح الثاني الذي لم يخل هو أيضا من الاضطراب في ترجمته، إذ إن عبد القادر قيني يترجمه إلى الاتساق، وتمام حسان يترجمه إلى الالتئام ، وإلهام أبو غزالة ورفيقها يترجمانه إلى التقارن، و مُجد خطابي إلى الانسجام، وهنا تتزايد الفوضى المصطلحية (...). ويبدو من استعمال المصطلحين في الدراسات النصية غلبة استعمال التماسك في « COHESION » وغلبة استعمال الانسجام



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

في « COHERENCE »<sup>1</sup> ويفضل جمعان عبد الكريم استخدام صبحي الفقهي للمصطلح الأول التماسك الشكلي، وللمصطلح الثاني التماسك الدلالي أو المعنوي<sup>1</sup>، ورغم الاختلافات في التسمية يظل وصف النصوص وتحليلها يتم على مستوى تركيبى ومستوى دلالي، وثبتت النصية على الخطاب بتماسك النسق وتماسك الدلالة حتى يتحقق التواصل بين المتخاطبين بنجاح.

### ➤ الكتابات التأليفية العربية:

لقد ظهرت الكتابات العربية الأولى في مجال لسانيات النص خلال سنوات الثمانينات و التسعينات من القرن الماضي، فيرى جميل حمداوي "أن الكتب الأولى التي صدرت حول تحليل النصوص كانت لمحمد مفتاح في (تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، دينامية النص، في سيمياء الشعر القديم)، و أول كتاب صدر في لسانيات النص كان لمحمد خطابي في (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب) سنة 1991"<sup>2</sup>، حيث شرح مسألة التماسك النصي اتساقا وانسجاما عند ثلاث مدارس لسانية ذكرت في بداية هذا الفصل بشكل مفصل، ثم توالى الكتابات العربية بشكل كبير لتشرح الدرس اللساني النصي الحديث باعتباره منهجا جديدا يختص بتحليل النصوص من خلال تضمه من مفاهيم جديدة و آليات للقراءة و للتحليل، و قد ذكر جميل حمداوي معظم المؤلفات<sup>3</sup> المتداولة في هذا التخصص، أضف إلى ذلك ما أنتجه الطلبة الجامعيون من رسائل أكاديمية حول لسانيات النص و تحليل الخطاب و تطبيق هذا المنهج الجديد على النصوص العربية بمختلف الأجناس الأدبية و على النصوص القرآنية.

على العموم فقد انقسمت الكتابات العربية إلى الاتجاهات، التالية:

### 1- الاتجاه الأول:

حمل على عاتقه مسؤولية التعريف بالنظرية اللسانية النصية كما جاءت في أصولها الغربية تبعا للمدرسة التي يتبناها سواء الألمانية أو الإنجليزية أو الفرنسية، فبين المنهج الذي تقوم عليه المدرسة، فشرح المصطلحات والمفاهيم وذكر الاتجاهات الفكرية المؤسسة لها ونماذجها النصية، والتحليل النصي، ومن أبرز ما كتب في هذا الاتجاه نقرأ علم لغة النص -المفاهيم و الاتجاهات- لسعيد حسن بحيري، نسيج النص للأزهر الزناد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية لجميل عبد المجيد، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب لنعمان بوقرة، بلاغة الخطاب وعلم النص لـ(صلاح فضل)، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي لـ(أحمد عفيفي)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه لمحمد الأخضر الصبيحي، وغيرها كثير.

<sup>1</sup> جمعان عبد الكريم، المرجع السابق، ص 210..

<sup>2</sup> جميل حمداوي، لسانيات النص تحليل الخطاب بين النظرية و التطبيق، منشورات مجلة الفكر، ط1، 2016، ص198

<sup>3</sup> ينظر: جميل حمداوي، المرجع نفسه، ص200

2- الاتجاه الثاني:

اجتهد فريق من الباحثين العرب في محاولة إسقاط النظرية اللسانية النصية على النصوص والخطابات العربية وذلك بتطبيق منهج لسانيات النص في عملية التحليل النصي للكشف عن تماسك النصوص العربية بمختلف أنواعها، بحيث قاموا بدراستها عبر ثلاث مستويات: التركيب و الدلالة والتداول، مركزين في البحث على اتساق النصوص وانسجامها، ويذكر جميل حمداوي نقلا عن عبد الله خضر محمود قوله في فاعلية منهج لسانيات النص في قراءة وتحليل النصوص: " فبواسطة دراسات النص فسرت ظواهر لغوية لم تفسر في إطار دراسات الجملة تفسيريا كاملا مثل: علاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية، والتراكيب المتجزأة وحالات الحذف وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، ولا يمكن تفسيرها تفسيريا كاملا إلا من خلال وحدة النص الكلية"<sup>1</sup>

3- الاتجاه الثالث:

تخصص هذا الاتجاه في اتخاذه النص القرآني فضاء رحبا للممارسات النصية قراءة وتحليلا وتأويلا، وفي دراسة إحصائية قام بها الباحث العراقي مروان راغب حميد الربيعي بعنوان لسانيات النص القرآني في الدراسات الجامعية العراقية حتى عام 2014، صنف الدراسات الأكاديمية في النص القرآني بمنهج لسانيات النص بين ثلاث اتجاهات<sup>2</sup>:

○ اتجاه جزئي درس التماسك النصي في سورة قرآنية أو مجموعة من السور القرآنية أو عددا معينا من الآيات القرآنية، مثل التماسك النصي في سورة النبأ، التماسك و الانسجام في سور الحواميم في القرآن الكريم، اتساق الخطاب في السور القرآنية القصار، الاتساق في سورة الرحمن دراسة في ضوء لسانيات النص، الاتساق النصي في سورة الأنبياء.....)

○ اتجاه كلي درس الترابط النصي في الخطاب القرآني من خلال اختياره معيار أو مجموعة من المعايير النصية التي قال بها روبرت ديوجرانند، و من الرسائل التي تدخل في هذا الاتجاه وجد (القصدية في النص القرآني، الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته، الإعلامية في الخطاب القرآني دراسة في ضوء نظرية التواصل، التماسك النصي في المثل القرآني، أسلوب الإحالة في القرآن الكريم وبعض تطبيقاته على سورة الأنعام،...)

<sup>1</sup> جميل حمداوي، المرجع نفسه، ص 215

<sup>2</sup> ينظر: مروان راغب حميد الربيعي، لسانيات النص القرآني في الدراسات الجامعية العراقية حتى عام 2014\*دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، جامعة ديالى، العراق، 2016، ص 40<sup>2</sup>

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

○ اتجاه تفسيري بحث في كتب التفسير عن الترابط النصي و منها: التماسك النصي و آلياته وصوره عند مفسري القرن الثامن الهجري، تفسير جوامع الجامع للطبرسي دراسة في نحو النص، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي دراسة في ضوء لسانيات النص، الانسجام النصي في القرآن الكريم- الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي أمودجا...

### أمودج في التحليل النصي على السور المكية لـ(صحي ابراهيم الفقي)

وضع الكتاب في جزأين جمع صاحبه بين التعريف بالنظرية اللسانية النصية بما تضمنته من مفاهيم ومصطلحات و أدوات إجرائية في التحليل، و بين تطبيقها في عملية تحليل لبعض السور القرآنية المكية(الفاحة، الأنعام، الكهف، القصص،...)، فلقد ركز صحي إبراهيم الفقي على مفهوم التماسك النصي وأدواته النحوية و كذا علاقته المهمة بالسياق من جهة، ثم علاقته بالقارئ أو المتلقي الذي يملك الكفاءة في فهم النصوص و استيعابها ليكشف عن التماسك السطحي و الداخلي أثناء عملية التحليل، فبدأ بذكر الوسائل النحوية عند علماء العربية القدامى و المحدثين وقارنها بما جاء في الدرس النصي الحديث عند هاليداي و حسن رقية، فخصص الجزء الأول للإحالة (المرجعية) و التوابع، ودرس في الجزء الثاني ظاهرة التكرار والمناسبة و الحذف ، كما أنه أتبع كل وسيلة اتساق بتحليل بعض السور المكية و إثبات دور الوسيلة في تماسك السور.

### ● خطوات التحليل النصي:

بدأ الباحث بمعرفة القضية التي تعالجها جميع السور المكية، و ذلك ليذكر العلاقة بين وسائل التماسك النصي و الموضوع الأساسي للسور، فقد ارتبط نزول القرآن المكي -طيلة ثلاث عشرة سنة- بإثبات قضية أساسية واحدة، و هي " قضية العقيدة" أو ثنائية " الألوهية و العبودية) و ما ينتج عنها من علاقة الخضوع المطلق للبشر لخالق هذا الكون، حيث نزلت أكثر من ثمانين سورة مختلفة بين الطول و القصر، و لكن تجمعها قضية واحدة، لذلك اقتصر تحليل الباحث على بعض السور و ليس كلها.

لقد وضع الباحث خطة لعملية التحليل، حيث جعل التحليل النصي يسير في اتجاهين: الأول درس فيه تعالق الآيات بعضها ببعض على مستوى، والاتجاه الثاني: خصصه لدراسة السورة في علاقتها بالسور الأخرى.

### ● سورة الأنعام

أول ما يبدأ به الباحث عمله في تحليل هذه السورة هو المعرفة النظرية الكلية وذلك من خلال البحث في الموضوع الرئيسي للنص حيث اعتمد على تفسير سيد قطب - في ظلال القرآن- "هذه السورة - الأنعام- نموذج كامل للقرآن الكامل هي تمثل طبيعة هذا القرآن و خصائصه و منهجه في موضوعها

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

الأساسي بصورة فريدة...<sup>1</sup> فالموضوع المحوري الذي تعالجه السورة -مثل غيرها من السور المكية- العقيدة من خلال ذكر الله تعالى، لكن بطريقة مختلفة عن سورة الفاتحة، بحيث تعتبر الأنعام أكثر قولاً وتفصيلاً في بيان علاقة العباد بربهم الواحد الأحد فهو مصدر خلقهم و معيشتهم ومدبر أمرهم و المنعم عليهم بجميع أنواع النعم والمدبر والمسير لهذا الكون و الذي جعلها في خدمتهم و...، وهو العالم و العارف بمصيرهم في الحياة الدنيا والآخرة.

### ➤ مظاهر التماسك النصي في السورة:

#### أولاً: الإحالات بأنواعها

حيث وجد الباحث أن للضمائر دوراً في تحقيق التماسك بين أجزاء السورة حيث تتوزع الضمائر على مستويات أربع (ضمائر تحيل إلى لفظ الجلالة )، (ضمائر تحيل إلى الرسول صلى الله عليه و سلم)، (ضمائر تحيل إلى المشركين)، (ضمائر تحيل إلى المؤمنين) و وضع لذلك إحصائيات حيث توصل إلى أن الإحالة بواسطة الضمائر الشخصية تحتل المرتبة الأولى من حيث الانتشار في السورة، ثم تأتي بعدها الأسماء الموصولة، ثم أسماء الإشارة، وهذا يدل على دور الإحالة في الإيجاز والترابط الشكلي والدلالي.

تنوعت الضمائر الشخصية بين المنفصلة والمتصلة والمستترة، ومنها الغائب والمتكلم، ومنها المفرد والجمع، وقد لاحظ الباحث أن الآيات التي تضمنت المكون الإحالي (هو) تشير إلى هيمنة الله تبارك و تعالى على الكون بأسره، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه خلق كل شيء، وعنده مفاتيح الغيب، وهذا يؤكد قضية العقيدة التي نزلت من أجلها السور المكية، أما الضمائر التي تحيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهي (128) ضميراً، وكلها تدخل ضمن الإحالة إلى خارج النص (Exophoric Reference)، لأنه لم يرد ذكر النبي داخل السورة، و الخطاب الموجه للنبي لا يخرج عن إطار قضية العقيدة، فتتنوع بين التكليف بالتبليغ لقوله تعالى ( و أوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به) /19، والرّد على حجج المشركين قال تعالى ( حتى إذا جاءوك يجادلونك) /25، و مواساته قال تعالى ( ولقد استهزئ برسل من قبلك) /10، بينما أحصى الباحث الضمائر التي تشير إلى الكافرين بـ(128 ضميراً) ليبين إعراضهم عن الخطاب وتكذيبهم الظاهر له قال تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)، وقال ( فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) /5، بالمقابل وجد أن الإحالة التي تخص المؤمنين تصنف ضمن الإحالة المقامية، وقد وردت بـ(50) ضميراً يبين خضوعهم وصدق إيمانهم، وخلص إلى أن جميع الإحالات تصب في قضية العقيدة.

#### ثانياً: مناسبة النزول:

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق-دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، 2000، ط1، ج1، ص177.

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

وجد الباحث أن ثمة نصوص تتضمن إحالات ضمائية مبهمة، ليس لها مكون إشاري يفسرها، وتحتاج إلى تأويل مثل قوله تعالى: (وهم ينهون عنه و ينأون عنه)/26، وقوله تعالى: (و من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ و لم يوح إليه شيء)93، وقوله أيضا: (ولقد جئتمونا فرادى)94، لهذا لجأ الباحث إلى الاستعانة بالسياق المقامي لهذه النصوص، فبحث في أسباب النزول معتمدا على مرجعين الأول أسباب للسيوطي و الثاني أسباب النزول للواحدي، فأما عن قوله تعالى: (وهم ينهون عنه و ينأون عنه)/26، فنقل الباحث قول السيوطي: "روى الحاكم و غيره عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتباعد عما جاء به، وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي صل الله عليه و سلم، و كانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشدّ الناس عليه في السر"<sup>1</sup>، فمعرفة سبب نزول هذه الآية، جعل الإحالة الضميرية فيها واضحة، فالضمائر (هم/ الواو في الفعلين) يفسرها قول السيوطي، و أي عمومة النبي صل الله عليه وسلم، أما الضمير المتصل في (عنه) فهو النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك فعل بالنسبة للنصوص الأخرى ليفك شفرة المرجعية ويزيل الغموض.

أما عن الإحالة بواسطة أسماء الإشارة، فيميز الباحث بين (هذا) الذي لا تتعدى إشارته الآية الواحدة في الغالب، و بين (ذلك) التي تربط بين أكثر من جملة، قال تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذِذُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ الأنعام [130، 131] فيشير المكون الإحالي (هذا) إلى المشار إليه (يومكم) وهو يوم الحساب، أما (ذلك) وظيفتها في بداية الآية الثانية وظيفتها الربط بين دلالة الآيتين، فالله تعالى لا يهلك الناس دون أن يرسل إليهم رسولا مبشرا ونذيرا.

### ثانيا: التوابع

ويقصد العطف والنعت والبدل والتوكيد، فيرى الباحث أن أدوات العطف كانت الأكثر انتشارا في السورة بحيث وردت 484 مرة، ثم النعت 78 مرة، ثم البدل 29 مرة، ثم التوكيد المعنوي مرتين، و وجد أن عمل التوابع تم على ثلاث مستويات:

- الروابط بين الكلمات داخل الآية الواحدة.
- الروابط بين العبارات والجمل داخل الآية الواحدة.
- الروابط بين الآيات داخل السورة.

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه، ص 193 و السيوطي، أسباب النزول، ص 85

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

بعد الاطلاع على تحليله فيما يخص دور التوابع في تحقيق التماسك النصي للسورة، يبدو أن الباحث لم يحقق هذا الهدف بالشكل المطلوب للأسباب التالية:

- ✓ الطريقة التي عرض بها الباحث تحليله لبيان عمل هذه التوابع في تماسك السورة غير واضحة، لأنه طرح الأمثلة (الآيات) بصورة عشوائية، وهذا يخالف القول بأن النص القرآني وحدة كلية في الشكل والدلالة، بعكس ما عرضه في الإحالة والتي ظهر معه فيها التماسك النصي للسورة بشكل ظاهر دون غموض.
- ✓ إن التصنيف الذي وضعه الباحث في الإحالة (ضمائر تحيل إلى لفظ الجلالة )، (ضمائر تحيل إلى الرسول صلى الله عليه و سلم)، (ضمائر تحيل إلى المشركين)، (ضمائر تحيل إلى المؤمنين)، لا يمكن تطبيقه على أدوات العطف، لأن العطف لا تحكمه العلاقة الإحالية، ولكن الربط بالعطف (الوصل) تحكمه علاقات أخرى مثل السببية، ترتيب الخطاب، تعاقب الأحداث.
- ✓ لقد خلط الباحث بين التحليل النصي والتحليل النحوي، فالأول يدرس العلاقات بين الجمل المكونة للنص، بينما الثاني لا يتعدى دراسة الجملة، فالتحليل النصي لا يستعمل تسمية العطف وإنما الوصل والفصل، وهذا ما عرفه البلاغيون من قبل، إلا إذا تعلق الأمر بالعطف بين الكلمات في إطار الجملة الواحدة فيكون عطفًا.

### ثالثا: التكرار

ثم ينتقل الباحث إلى إثبات تماسك النص في السورة بألية التكرار، حيث عرض لها بأشكال مختلفة منها التكرار اللفظي أو التكرار بإعادة اللفظ للعناصر اللغوية ( الله، الكافرين، المؤمنين) والتكرار بواسطة الترادف بين (الله وأسماءه)، (الكافرون والمشركون) والتكرار بالاشتقاق (رب، ربنا، ربكم)، (المؤمنون، يؤمنون، آمنوا)، (الكافرون، يكفرون، كفروا) وكذلك من خلال الجملة التفسيرية في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ جَعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ بُدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعِثْمَمَ مَا لَمْ نَحْمَدُوا أَنْتَ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَرْتَدُّهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ الأنعام [91] ، فجملة (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) فاعتبرها تفسير للجملة التي سبقتها، وجعل التفسير من باب التكرار، و الملاحظ هنا أن الباحث أغفل ذكر الأعداد الإحصائية لورود التكرار في السورة كلها، ففي الإحصاء دلالة قوية على تماسك النصوص القرآنية داخل السورة، و ذكر الغرض من التكرار هو تأكيد فكرة أو تقرير قضية على وجه الخصوص، و يستنتج أن ما ورد من تكرار يؤكد المناسبة التي نزلت من أجلها السورة، وهي قضية العقيدة، وما تضمنت من تفرد الله تبارك وتعالى بالألوهية والربوبية بما له من قدرة وعلم وتدبير في الكون.

## 1- تكرار بواسطة الضمائر.

ذكر الباحث نوعاً آخر من التكرار وهو تكرار اللفظ بواسطة الضمائر، سواء ما تعلق بالضمائر التي تعود على الله أو على النبي صلى الله عليه وسلم، أو على فئة المؤمنين، أو فئة الكافرين، يقول الباحث: "الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى نوع من التكرار، ذلك لأن الضمائر تحل محل الأسماء الظاهرة"<sup>1</sup> ولكن حلول الضمائر محل الأسماء الظاهرة كان لأجل تفادي التكرار الذي يحدث خلافاً في التماسك، لهذا هناك فرق كبير بين التكرار المعجمي الذي يزيد من قوة التماسك النصي وبين التكرار الذي يعتبر من قبيل حشو الكلام، وهذا الأخير يحتاج إلى الإضمار ليتحقق به الإيجاز، وهذا النوع الذي قال به الباحث لم يذكره علماء النصية، لأن التكرار بطريق الضمائر ليس تكراراً وإنما يدخل ضمن مجال الإحالة أو المرجعية، لهذا نجد هاليداي وحسن رقية أدخلتا التكرير ضمن آلية الاتساق المعجمي وهذه الآلية لا تضم إلا المفردات المعجمية، لذا فما اعتبره الباحث تكراراً بالضمائر هو آلية المرجعية.

## رابعاً: الحذف

وفي إطار تحليله لنفس السور المكية تعرض لتماسك النص بآلية الحذف، يبين من خلالها أثر الحذف في تماسك السور، فكشف عن الخطوات المتبعة في تحليل النص لمعرفة المحذوف:

- ذكر النماذج التي يراد تحليلها.
- تحديد وظائف عناصر الجملة
- البحث عن المعلومات التي تهدينا إلى المحذوف مثل السياق المقامي والسياق اللفظي المتمثل في وجود دليل على المحذوف سابق أو لاحق، فأينما يوجد الحذف يوجد الدليل عليه
- صلة هذا الحذف بالتماسك النصي<sup>2</sup> وقد ربط في استنتاجاته بين مفاهيم علماء العربية والتفسير ونظرية هاليداي في التماسك النصي، ولينفي ما توصل إليه هاليداي بأن الحذف هو استبدال بالصفر أو وجد علاقة بين الحذف والتكرار، فيقول: "نرى أن العلاقة بين الحذف والإبدال هي في الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار"<sup>3</sup>، ويؤكد هذه العلاقة من خلال إسناد بعض الأحكام المتعلقة بالتكرار إلى اللفظ المحذوف، فالمحذوف قد يكون هو اللفظ المذكور أو من معناه أو مرادف له، وهذا يوافق رأي الزمخشري في "ضرورة أن يكون المقدر (المحذوف) من جنس المذكور الدال عليه، ولا ينظر في هذا لقرائن أخرى إذا كانت تدافع دلالة المذكور"<sup>4</sup> قد برهن على ذلك من خلال آيات من القرآن الكريم وهي:

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه، ج2، ص25.

<sup>2</sup> صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دراسات تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، ج2، ط1، 2000، ص221

<sup>3</sup> صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه، ص201.

<sup>4</sup> محمد حسين أبو موسى، المرجع السابق، ص336



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

○ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [1]، فاللفظ المحذوف على تقدير (و خلق الأرض)

○ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [145] الأنعام  
فاللفظ المحذوف على تقدير(فمن اضطر غير باغ و لاعاد فأكل)، قد يكون التقدير(فمن اضطر فطعم شيئا من هذه المحرمات غير باغ ولا عاد)، وبهذا يكون المحذوف قابلا للتأويل، لكن ما ينبغي النظر إليه ليس فقط كيف يتم الاتساق وما هي العناصر التي تحكم العلاقة الاتساقية، وإنما الوظيفة البلاغية يكون لها الأثر البالغ في الفصل بين التكرار و الحذف، فكل منهما غرضه البلاغي الذي من أجله لجأ المتكلم إما للحذف أو التكرار، فإذا ذكر اللفظ المحذوف تحول الحذف إلى تكرار معيب في النص، بخلاف التكرار فوجود اللفظ المكرر أمر إلزامي، وهنا تدخل قصدية المتكلم في استعمال أحدهما دون الآخر، لماذا اختار الحذف و لماذا اختار التكرار.

- كما جعل للحذف علاقة مرجعية (إحالية) بين المحذوف والدليل اللغوي (القرينة اللغوية التي تشير إليه)، فإذا كان الدليل سابقا في موقعه عن المحذوف كانت المرجعية سابقة، وإلا العكس فتكون المرجعية لاحقة، وبهذا يكون قد وسع من العلاقة الإحالة لتدخل في دائرة الحذف أيضا بعدما قصرها علماء النص على الضمائر وأسماء الإشارة.

### المناسبة:

تعتبر المناسبة أو التناسب بين الآيات و السور آلية اتساق تسهم في تماسك النص القرآني، لذلك تتبع الباحث علاقة التناسب بين الآيات على مستوى السورة الواحدة، ثم تناسب السورة مع غيرها من السور على النحو التالي مستندا في ذلك على آراء علماء التفسير:

أ/ المناسبة على مستوى السورة منفردة: حصرها الباحث في ثلاثة أقسام، وهي:

- مناسبة اسم السورة لمضمونها بطرق متعددة تبعا لخصائص كل سورة، فقد يرتبط اسم السورة بحدث مذكور فيها، كما هو الحال في (سورة الأنعام والنمل والعنكبوت ولقمان) أو بقصة وردت فيها مثل (سورة البقرة، يونس، هود، مريم، إبراهيم، الإسراء، سبأ، والبروج)، أو يكون اسمها معبرا عن مضمونها الذي يستغرق كل آياتها مثل (يوسف، الواقعة، القدر، القارعة، قريش، الفيل)، أو يذكر اسم السورة في أول آية منها مثل (الحاقة، المزمل، المدثر، الرسائل، النازعات، وغيرها من السور المكينة)، وقد يذكر في آخر آية منها مثل سورة الماعون و المسد والناس، وقد يكون اسم السور عبر آية واحدة من آياتها مثل سورة النحل.



## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

- مناسبة أول السورة لآخرها، حين يوجد علاقة تربط بين مقدمة السورة وبين نهايتها، بأن يتكرر المقطع باللفظ والمعنى معا أو بالمعنى فقط، أو أن تتضمن نهاية السورة تفسير لما ورد في بدايتها ومن أمثلة هذا النوع، ( القصص، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، النحل، الإسراء، الكهف، الأنبياء، المؤمنون...).

- وكذلك مناسبة آيات السورة لبعضها البعض، وهنا وجد الباحث أن التماسك النصي يتحقق بوجود التناسب بين آيات السورة، هذا التناسب تشكل من خلال مجموعة من العلاقات وهي: "تكرار الفاصلة الواحدة أو علاقة الإجمال والتفصيل أو ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث، أو علاقة التضاد أو علاقة السببية".<sup>1</sup> يبدو أن الباحث وهو يستعرض علاقة التناسب بين الآيات والسور - كما جاء بها الإمام السيوطي - أدخل ضمنها مظاهر انسجام النص التي قال بها علماء النصية، والمتمثلة في (ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث وعلاقة التضاد وعلاقة السببية)، وما يهم آية المناسبة هنا، هو علاقة الإجمال والتفصيل، أو يقال عنها، تفصيل بعد إجمال، وتوجد على مستوى السورة منفردة، وبين السور، فما أجمل في اسم سورة الأنعام، فقد فصل في بعض من آياتها، عندما تكلم عن حيثيات الأنعام، ونفس الشيء في سورة الأعراف والجن والمزمل والمعارج والحاقة، وتظهر علاقة الإجمال والتفصيل تماسك السور بصورة واضحة للعيان، فلا توجد سورة إلا وتتضمن نوعا من التفصيل لما أجمل في سورة قبلها، إذ يتفق علماء التفسير أن القرآن الكريم كله شارح أو مفصل للأمور التي تضمنتها سورة الفاتحة، وهذا يشير إلى الوحدة الكلية للقرآن الكريم، وتماسك نصوصه على جميع مستويات التحليل اللساني، وتعد هذه العلاقة الأكثر شيوعا وتداولاً في علم المناسبة.

### ب/ المناسبة على مستوى أكثر من سورة:

فقد وجد الباحث علاقات التناسب في السور المكية من زوايا متعددة منها:

- مناسبة فواتح أكثر من سورة، بحيث افتتحت كل مجموعة من السور المكية بأسلوب معين ومقصود، فالفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر افتتحت بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى وجاءت كل سورة منها على رأس ربع من القرآن وهذا دلالة واضحة على تماسك البناء اللغوي والدلالي للقرآن الكريم، وجاءت فواتح بعض السور المكية معجمة أي بحروف التهجي مثل الأعراف والحواميم والرعد، وجاءت فواتح بعض السور بصيغة النداء وأخرى خبرية وأخرى بأسلوب القسم، وأخرى بأسلوب الشرط وأخرى بصيغة الأمر، وأخرى بالاستفهام والأخيرة وهي سورة قريش فجاءت بالتعليل، و

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم القفي، المرجع نفسه، ج2، ص137

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

حاول الباحث ربط كل مجموعة من الفواتح بمضمون السور ليحصل على التماسك الدلالي والنحوي بين كل مجموعة.

- مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها، بأن يكون فيه تطابق بين خاتمة سورة و مقدمة السورة التي تليها، بحيث تشعر أن هناك استمرارية في الحديث بطريق التذكرة و التكرار في المعنى، و ذكر الباحث لهذا النوع من المناسبة نماذج بين السور المكية، بين (آخر الأنعام و أول الأعراف)، (آخر يونس و أول هود)، (آخر الرعد و أول إبراهيم)، أظهر من خلالها التماسك الدلالي للسور المكية.
- مناسبة السورة بأكملها لسورة أخرى، حتى يظهر للمتلقي أنهما سورة واحدة، لأنهما تتضمنان نفس الموضوع بدرجة لافتة للنظر، و من هذه السور، ذكر الباحث علاقة تناسب بين السور التالية (الواقعة والحاقة، والقيامة والغاشية والزلزلة والقارعة)، إذ يدور موضوعها الأساسي عن يوم القيامة و ذكر لأقسام الناس في ذلك اليوم، ذكر الجنة و صفاتها و النار و صفاتها، كما اختتمت الواقعة و الحاقة بنفس الخاتمة لفظا و معنى، ذكر الباحث نموذجا لسورتين وصل بينهما التماسك لدرجة أن علماء القرآن وصفهما بأتهما سورة واحدة (الضحى والشرح).
- مناسبة القصة الواحدة في أكثر من سورة، فقد وجد الباحث أن تكرار القصة الواحدة في أكثر من سورة يخلق مناسبة بين السور ، و يحقق تماسكا دلاليا بينها أيضا، لأن كل سورة تمثل مرحلة من مراحل القصة، فالباحث يربط بين تكرار القصة وعلاقة المناسبة بين السور، وليبرهن على وجهة نظره في خلق المناسبة بين السور التي اشتملت نفس القصة، قام بتحليل قصة اثنين من الأنبياء ( موسى وإبراهيم عليهما السلام)، لأنهما القصتان الأكثر انتشارا في القرآن الكريم، ويتضح من تحليله أن تكرار القصة بذكر المواقع المرتبطة بها في سور مختلفة سبب كاف وقوي في تحقيق التماسك النصي بين تلك السور.
- مناسبة الإجمال و التفصيل بين الآيات في أكثر من سورة، فهذه المناسبة تحقق التماسك على مستوى النص القرآني كله، بدء من سورة الفاتحة التي يوجد اختلاف بين العلماء أن ما جاء في القرآن كله مفصل لما ذكر فيها مستدلا برأي الإمام السيوطي، كما ذكر مجموعة من النماذج يبين التماسك النصي بين سور القرآن بهذه العلاقة ، فما أجمل في ثلاث آيات من سورة الأنعام بسط و فصل عبر 130 آية من سورة الأعراف، وعلاقة الإجمال والتفصيل توصف بالمرجعية النصية القبلية فقط.

خاتمة الفصل:

## الفصل الثاني الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

بعدهما استعرض البحث مظاهر التماسك و الترابط النصي بمختلف العناصر اللغوية و غير اللغوية

و طريقة عملها في تماسك الجمل و تلاحمها لتشكل الوحدة البنائية للنص و تحقق النصية على النحو التالي:

**أولاً:** ركّز هاليداي و رقية حسن على الوسائل النحوية و اللغوية في بناء النص من خلال مظاهر الاتساق - وفق خصوصيات التي تقتضيها اللغة الإنجليزية- و المتمثلة في: المرجعية، والاستبدال و الحذف و الوصل والفصل و الاتساق المعجمي، فكان النحو هو الطابع المميز، و الغالب على نظريتهم اللسانية النصية، و هذا لا ينف اهتمامهما بالدلالة، فلا معنى للنحو بدونها، بدليل تعريفهم للنص أنه وحدة دلالية معنوية.

**ثانياً:** يقوم نموذج فاندايك في التحليل اللساني النصي على أساس دلالي و تداولي، فقد وسع مجال الوصف اللغوي فطرح مجموعة من القضايا الهامة منها الربط الدلالي بين القضايا و علاقته بموضوع التحاور، العلاقات الإحالية و الدلالية وأثرها في تماسك الخطاب، ثم علاقة النص بالسياقات التواصلية، ليثبت التماسك الدلالي للنصوص و الخطابات.

**ثالثاً:** اهتمت مقارنة براون و يول في تحليل الخطاب بعملية التواصل بين المتخاطبين، و اجتهدت بالخصوص بعملية فهم الخطاب من طرف المتلقي، و فهم كل ما يتعلق به من عوامل مساهمة في الوصف والتفسير و التحليل، و أهم ما يميزها هو التقنيات المستعملة في فهم الخطاب و هي الأطر و المدونة والسيناريو و غيرها، كما استفادت هذه المقاربة في بناء مبادئها من أفكار اللسانيات الاجتماعية و علم النفس المعرفي و الذكاء الاصطناعي.

**رابعاً:** توصل دي بوجراند في إطار بحثه عن الكفاءة النصية داخل النصوص و الخطابات و البحث عن الكفاءة التواصلية بين المتخاطبين إلى اقتراح مجموعة من المعايير و الآليات يستعملها المتكلم في إنتاج النصوص و صياغتها وفق استراتيجية يبلغ من خلالها قصده، و يستعملها المحلل أو المتلقي في عملية قبوله للنصوص و فهمها و تحليلها ضمن سياقاتها التواصلية، و هذه المعايير هي السبك و الحبك و القصديّة و التقبلية و المقامية و الإعلامية و التناص.

- يبرز في عملية التحليل النصي القيمة البنيوية للمعلومات، حيث تختلف اهتمامات المتلقين للخطاب، فكلما كان النص يتضمن عناصر لغوية هم القارئ يكون النص أكثر تماسكا لديه لأن عملية الفهم توجهها بنسبة عالية المعرفة الخلفية المخزنة و كذا المعالجة الإدراكية على مستوى الذاكرة، فأنشاء التحليل تتفاعل جميع هذه العوامل مع الصيغة اللغوية ليتم التماسك السطحي و يتوافق مع الترابط الدلالي و يحدث بذلك التأويل الإجمالي للنص.

## الفصل الثاني الترباط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب

خامسا: لقد كان للدرس اللساني النصي أثر كبير على الكتابات العربية، فقد استطاع العرب المحدثون نقل النظرية النصية بما حوته من مفاهيم ومصطلحات وأفكار عبر الترجمة المتخصصة إلى البلاد العربية، كما أثبتوا كفاءتهم في التحليل اللساني للنصوص القرآنية بمقاربة لسانية نصية، رغم خصوصيات التعبير القرآني، في الشكل و الدلالة وهذا أمر بديهي فهو ليس من كلام البشر، وكانت كتابات صبحي ابراهيم الفقي، نموذجا في التحليل والإبداع في الدرس اللساني النصي.

# الفصل الثالث

## قراءات في خصوصيات التعبير القرآني (سورة الرعد - آيات قرآنية) "أمودجا"

- 1- مفهوم القراءة وآلياتها في تحليل النص القرآني
- 2- التماسك النصي في سورة الرعد
- 3- تنوع الفواصل القرآنية ودورها في تماسك النص
- 4- الآية القرآنية ومسار دلالتها (سورة الماعون)
- 5- الالتفات في النص القرآني
- 6- التصوير الفني في النص القرآني عند سيد قطب
- 7- التشابه و الاختلاف في النص القرآني عند فاضل السامرائي
- 8- النص القرآني بين الإيهام و التفسير

لا يظهر منهج بحث في اللغة إلا و يكون النص القرآني حاضرا و محل وصف و تحليل و تفسير، وغايتهم في ذلك قراءته بطرق مختلفة بما يتضمنه من خصوصيات في النظم و إعجاز في البيان، ومن أجل ذلك يركز هذا الفصل على بيان خصوصيات التعبير القرآني من خلال إسقاط آيات الترابط النصي التي قال بها المدرس اللساني الحديث على مجموعة من النصوص القرآنية ليتضح للمتلقي براعة البناء اللغوي، والتماسك الدلالي وجماليات التعبير القرآني.

### المبحث الأول: مفهوم القراءة و آلياتها في تحليل النص القرآني

#### • ما معنى القراءة؟

#### - القراءة لغة:

لقد تضمنت المعاجم اللغوية العربية مادة (قرأ) تشير إلى معاني متنوعة ، وانقسموا في ذلك إلى اتجاهين، الأول حصرها في الجمع والضم، والتلفظ والتلاوة، والإلقاء، ومن هذه المعاجم تاج العروس للزبيدي، تاج اللغة وصحاح العربية، ومعجم ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، وقد جمع ابن منظور كل هذه المعاني في لسان العرب بقوله في مادة (قرأ): "قَرَأْتُ الشَّيْءَ قَرَأْنَا: جَمَعْتَهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ... وَمَعْنَى قَرَأْتُ الْقُرْآنَ لَفِظْتُ بِهِ مَجْمُوعًا أَيْ أَلْقَيْتَهُ... قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ﴿الْقِيَامَةَ [17، 18]، فلفظ قرآن في اللغة مرادف للقراءة أو وصف من القرء، بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو من قرنت الشيء بالشيء"<sup>1</sup>، إن هذه المعاني تربط القراءة بالجانب الصوتي الفيزيائي للعناصر اللغوية المكونة للنص القرآني حروفا وألفاظا وتراكيبا مضموما بعضا إلى بعض.

أما الاتجاه الثاني فيرى أن مادة (قرأ) تدل على البيان والفقہ والفهم، فجاء في المحكم في اللغة: "وتقرأ تفقه"، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك"، وقال صاحب معجم ألفاظ القرآن: "تقرأت تفهمت"<sup>2</sup>، فإذا كانت الغاية من القراءة الفقه والفهم والبيان، فهذه معاني تتجه إلى القراءة المتخصصة، ويشير إلى الاستنتاجات التالية:

- أن الجمع والإلقاء والتلفظ والترتيل قراءة في مستواها الأول، كما يظهر ذلك مع غير الناطقين باللغة العربية يقرأون القرآن بعيدا عن معانيه ودلالته، ويرى فيها بعض العلماء أنها "انصراف عن أمر إلهي، وخروج عن

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، مادة (قرأ)، ص 129  
<sup>2</sup> الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تح: عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط2، 1412، مادة (قرأ)

عادة متأصلة في الطبيعة الإنسانية<sup>1</sup>، لأن القراءة التي يقصدها الشارع ترتبط بالفهم وإدراك المعنى ومعنى المعنى.

- تدخل القراءة والنظم في وعاء واحد، لأن النظم هو كذلك التأليف والضم في مفهوم البلاغيين، فالنص يصنعه المؤلف أو الناظم، ويصنعه كذلك القارئ أو المتلقي، فيقال نص المنتج ونص القارئ فيكون القارئ منتجا أيضا.

- ترتبط القراءة في مفهومها اللغوي بالفقه والفهم والبيان، على اعتبار أن فعل القراءة يولد لدى القارئ تصورا دلاليا يتم بصورة تلقائية على مستوى الذهن، فينظر إلى التراكيب اللغوية محل القراءة نظرة كلية وليست تجزيئية.

### - القراءة اصطلاحاً:

تعلقت القراءة بالنص الأدبي تعلقاً شديداً والنقد الأدبي انصب على النصوص الأدبية، فيعرفها عبد المالك مرتاض هي "سلوك حضاري، فكري، ذهني، روحي، جمالي، ثقافي، هي عادة متحضرة، هي أدب متأصل، هي ثقافة واعية (...)" أو كما يعبر عنها بعض الغربيين تناص<sup>2</sup> لقد أصبح مفهوم القراءة في العصر الحديث مرتبط بالمنهج أكثر من ارتباطه بالمهية، فقد اختلفت المدارس اللسانية في منظورها للنص وكيفية التعامل معه باعتباره كائناً تدبُّ فيه الحركة، ولهذا اعتمدت كل مدرسة آلياتها الإجرائية في الوصف والتحليل، وقد ارتبط النص بالقارئ أكثر من ارتباطه بالمنتج وفقاً لثنائية (النص - القارئ)، بعدما ظل لفترة من الزمن في علاقة مع المنتج وحده، فأصبح المتلقي أو القارئ منتجا جديداً للنص نظراً لمؤثرات عديدة منها، ثقافة المتلقي الواسعة ومنهجه في تحليل الأفكار المطروحة إضافة إلى التحولات التي يشهدها المجتمع بصورة مستمرة، فأصبح للنص قراءات مختلفة ومتعددة قد تتفق مع قصدية المنتج الأول وقد تختلف معه، ويشير محمد أديوان نقلاً عن تودوروف إلى أن "القراءة نوعان: قراءة خطية تهتم بفك ألبان الصيغة الخطية للمكتوب، وقراءة عمودية يتم فيها اختراق أفقية المنطق الخطي نحو منطق عمودي يقصد فيه إلى إدراك الدلالة المنطوية والمتوازية في ثنايا المكتوب، ويفضل هذه القراءة العمودية نحتق طبقات الدلالة في المقروء، ونحقق عملية الفهم والوعي بمكونات ذلك المقروء، الذي يخرج من صيغته المكتوبة إلى صيغة مقروءة في هذه اللحظة من عملية القراءة"<sup>3</sup> ويقصد هنا مستويات القراءة داخل الأنساق والتي تدور بين محور الاستبدال ومحور التراكيب فتتنوع بين اللغة والنحو والدلالة، أما عبد المالك مرتاض فيميز بين القراءة الاستهلاكية

<sup>1</sup> يحي رمضان، المرجع السابق، ص 51

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر، وهران، ص 98

<sup>3</sup> تودوروف، القراءة كبناء، تر: محمد إديوان، مجلة الفكر العربي المعاصر، ص 106

والقراءة المنتجة، فيرى أن الاستهلاكية هي "الشائع مفهومها بين الناس، والمنتشرة لدى معظم القراء، ويصفها بالرحم العقيم، أما المنتجة فيقول فيها أن الناقد حين يقرأ الكتابة بغض الطرف عن جنسها الأدبي، إنما يقرؤها على أساس أن يكتب عنها، أو من حولها كتابة أخرى، ولعلّ هذه القراءة من اختلاف مستوياتها، هذه القراءة التي تتجسد في التعليق والتأويل، فإنها تظل قراءة منجبة (منتجة) ومثل هذه القراءة هي التي أنجبت عددا ضخما من الشروح للنصوص الأدبية العربية القديمة، وآلاف من أسفار التفسير للقرآن العظيم، ولا يكاد يحصى من الشروح والتعليق، وتعليق التعليقات"<sup>1</sup>، فبعد المالك مرتاض ينظر إلى شخص القارئ بين قارئ مستهلك وقارئ منتج، والقراءة الفاعلة هي التي تكون منتجة ومجددة للنص فتجعله مستمرا في المكان والزمان بسبب تأويله والتعليق عليه بأفكار مختلفة بعيدا عن منتجه، والقراءة الفاعلة ارتبطت بالمجال النقدي في نشأتها سواء لدى العرب أو الغرب، وانتقلت إلى مجالات متعددة منها علم اللغة النصي، فهو يدرس النص ويقرأه في مستويات ثلاثة من حيث التركيب والدلالة والتداول.

#### - كيف تكون قراءة النص القرآني؟

إن أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فهو أمر يدعو إلى فعل القراءة الواعية، القراءة التي تتطلب وعيا وعقلا وفكرا وتدبرا في النصوص سواء أكانت مكتوبة أو مسموعة، فالنص القرآني وإن كان في صيغته التعبيرية يتفق مع لغة العرب إلا أن له من الخصوصيات ما يجعله يتفوق على جميع النصوص والخطابات فهو معجزة آخر الأنبياء فقد نزل مفردا وبقراءات مختلفة بلغت عشر قراءات كلها صحيحة، وتنوعت نصوصه -وفق ما أحصاه علماء الأصول- على شكل ثنائيات بين المكّي والمدني، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، المطلق والمقيد، الجمل والمبين، العام والخاص، ورغم ذلك فهو يتميز بعدم التناقض بين نصوصه، وقد أفرد له العلماء الكثير من المصنفات لبيان إعجازه البلاغي، ويؤكد الإمام الغزالي على أهمية الحواس من حيث هي أدوات لإدراك الجمال، لكنه لا يقتصر عليها، بل يضيف إليها القلب فيقول: "والقلب أشدّ إدراكا من العين، وجمال المعاني المدركة لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجلّ عن أن تدركها الحواس أتمّ وأبلغ"<sup>2</sup>.

ولقد تم اعتماد طريقتين في وصف النص القرآني وتحليله، وهما التفسير و التأويل، وإن كانت حدود الفصل بينهما أمر صعب لأنهما متدخلتان، ويرى خالد مجد صبري أنّ "التفسير هو وضع النص في سياق إنتاجه، أمّا التأويل فهو إخضاع النص لسياق متلقيه"<sup>3</sup>، ويقصد بسياق إنتاجه أي ربط النص بالظروف

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص153 و 154

<sup>2</sup> بوحنيك مرزاق، فلسفية التصور النظري للتلقي بحث في الجذور و الإرهاسات، مجلة البدر، جامعة بشار، مج 10، ع4، 2018، ص347

<sup>3</sup> خالد مجد صبري، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد العلوم الإنسانية، العدد222، مج1، سنة 2017، ص 177



المصاحبة لنزوله، إذ تأتي أسباب النزول في مقدمة الآليات المعتمدة في القراءة وتتمثل في الواقعة أو الحادثة التي من أجلها نزل النص، فتدلّ المفسّر على الفهم الصحيح للنص وهي تحمي النصوص من الوقوع في التناقض والاختلاف، وقد اشتغل العلماء بالتفسير لتوضيح مقاصد الشرع بالدرجة الأولى، ثم جاءت عملية التأويل في مرحلة لاحقة وهي التي تمنح النص القرآني التجدد والاستمرارية فتصبح النصوص المرتبطة بخصوصية معينة (أسباب النزول) مبادئ أساسية تصاغ منها أحكام عامة وتخضع لعملية التحيين المكاني والزماني، وبذلك يكون القرآن الكريم دستور أمة غير قابل للتقادم، يقول مُجّد عبد الباسط عيد: "فالفهم الدقيق للآيات والرغبة في الوصول إلى علة حكم هو الهدف من ربط النص بسياقه الاجتماعي التاريخي، وهو هدف يرمي إلى الانتقال من زمنية الدلالة إلى عموميتها، من المحدّد إلى الحوادث المتجددة في الزمان، وهذا بذاته دال على الوعي بقيمة السياق وأهميته في فهم النص، ودال أيضاً على الوعي بخطورته وقدرته على تجميد النص بتزيمه في نقطة محددة"<sup>1</sup>

#### - القراءة الحداثية للنص القرآني:

هناك نوع من القراءة انتهجتها اللسانيات المعاصرة تسمى القراءة الحداثية وقد بناها مجموعة من الباحثين العرب من أمثال مُجّد أركون ونصر حامد أبو زيد، وغيرهم، يقول عنها علي حرب: "هنا لا يقف ناقد العقل الإسلامي واللوغوس القرآني موقف الإعجاب من ظاهرة الوحي وأعجوبة التنزيل، بل يقوم بعمل الحفر والتفكيك، ولاشك أن مثل هذه القراءة للقرآن هي أجدى وأخصب من القراءات الأيدلوجية التبجيلية التي تتعامل مع النص بوصفه معرفة ميتة أي جاهزة نهائياً"<sup>2</sup>، يعتمد أهل هذه القراءة على تطبيق مناهج لسانية غربية مثل تفكيكية جاك دريدا، نظرية موت المؤلف لميشال فوكو، كما أنّها تنزل النص القرآني إلى مرتبة النصوص البشرية، فتتعامل معه من دون أي تحفظات أو مرجعية دينية ومن دون النظر إلى المتكلم به، يقول مُجّد أركون: "إنّما كلّ ما أسعى إليه هو محاولة فرض قراءة تاريخية للنص القرآني، قراءة تمتنع منذ الآن فصاعداً عن أيّة عملية إسقاط أيدلوجية على هذا النص هذا هو هديّ الأساس"<sup>3</sup>، يحاول مُجّد أركون أن يكرّر ما قام به طه حسين في كتابه الأدب الجاهلي حيث استخدم المنهج التاريخي للتشكيك في وجود عصر جاهلي لينفي بالتبعية وجود أدب جاهلي، وأثار هذا الكتاب حالة من الاستنفار، نتج عنها ظهور كتابات نقدية لنفي ما جاء به طه حسين، ومن الآليات التي يستخدمها مُجّد أركون في قراءة النص القرآني:

<sup>1</sup> خالد محمد صبري، المرجع نفسه، ص 177

<sup>2</sup> علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005م، ص 67

<sup>3</sup> يونس ملال، المناهج اللسانية وأثرها في الدراسات القرآنية المعاصرة، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة أدرار-أحمد دراية، 2017، ص 108

الزحزحة، الحفر الأركيولوجي، التفكيك، لذا فإنّ الحدّثين يقرؤون النصّ القرآني بعيداً عن أيّ قداسة أو معتقد ديني.

• النصّ القرآني بين مقصدية الشارع و تقبلية المتلقي:

صنف سعد مصلوح معايير النصية التي جاء بها ديوجراند على ثلاثة مستويات كما يلي:

✓ صنف يتصل بالنص، و يشمل معياري الاتساق والانسجام.

✓ صنف يتصل بمنهج النص و متلقيه، و يشمل المقصدية والمقبولية.

صنف يتصل بظروف إنتاج النص وتلقيه، ويندرج ضمنه معياري السياق والتناص<sup>1</sup>، فجعل القصد والقبول في مستوى واحد باعتبار أن القصدية تتعلق بمنهج النص (المتكلم)، والمقبولية تختص بمستقبل النص (المتلقي قارئاً أو مستمعا)، والنص القرآني كغيره من النصوص رسالة بين طرفين، الأول منتجه وهو الحق تبارك وتعالى، والثاني مجموعة من المتلقين أولهم النبي ﷺ، ثم الصحابة، ثم العلماء المسلمين في كل العصور، وهؤلاء المتلقين وقع ويقع على عاتقهم قراءة هذا النص وفك شفراته، يقول حامد نصر أبو زيد في مقدمة كتابه: "لابد من البحث عن آلية تقرأ الماضي، ما يجعله مستمرا في الحاضر، ودافعا إلى الترقى، وحافزا على الإصلاح والتمدن"<sup>2</sup>، فالقراءة نوع من التفاعل بين النص وقارئه، وهذا يجعله مستمرا في الزمان والمكان، حتى يتم الوقوف على أسرار النص وإشاراته، ثم الحكم على اتساقه وانسجامه، فالنص القرآني مدونة لسانية تتأسس على بناء داخلي وخارجي محكم النسج، وله من الخصوصيات التعبيرية والبيانية ما تجعل الدرس اللساني الحديث غير قادر على احتواء ما تضمن من ظواهر لغوية.

المبحث الثاني: المدونة اللسانية للقرآن الكريم:

أ- البناء الشكلي للمدونة القرآنية:

يتشكل النظام القرآني باعتباره بنية نصية كلية من وحدات لغوية صغرى متنوعة التركيب بين مركبات اسمية وأخرى جمالية اصطلاح على تسميتها بالآيات القرآنية، تتلاحم فيما بينها لتكون سورة قرآنية لها اسم ومحتوى، كما تتجمع وتتلاحم السور القرآنية لتكوّن في مجموعها القرآن الكريم والذي يمثل البنية النصية الكبرى، فما المقصود بالآية؟ وما المقصود بالسورة؟

➤ مصطلح الآية: تطلق الآية في اللغة على معان متعددة منها:

- العلامة لقوله تعالى: "إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم) أي علامة ملكه.

<sup>1</sup> أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص 76

<sup>2</sup> نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة و آليات التأويل (المقدمة)، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، ص: و

- الدليل لقوله تعالى: (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي دلائل قدرته.
- العبرة لقوله تعالى: (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي عبرة لمن بعدهم.
- المعجزة لقوله تعالى: (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة)، أي من معجزة واضحة إلى غير ذلك من المعاني.<sup>1</sup> وأما في اصطلاح علماء القرآن فهي: "جزء من السورة لها بداية ونهاية وآخرها يسمى فاصلة"<sup>2</sup>
- وتعدّ الآية أكبر وحدة في التحليل اللساني للنص القرآني باعتبارها نص، ويختلف حجمها فتقصر حتى تكون مكوناً إسمياً كما في قوله (مدهامتان) وتطول حتى تتجاوز جملاً وتبلغ الصفحة كما في (البقرة الآية 282) وهذا ما جاء في تعريف هاليداي للنص باعتباره وحدة دلالية ليس لها حجم محدد، فالملاحظ أنّ كل سورة تميزت بتعداد آياتها، وما من أحد تكلم عن النص القرآني إلا وذكر لفظ آية أو سورة، ولم نر حديثاً بخلاف ذلك، وانطلاقاً من هذا الطرح فإنّ أولى خصوصيات النظام اللغوي للقرآن الكريم أنه نص مكوّن من آيات يضم بعضها بعضاً على مستوى القاعدة لتشكّل سورة، وسورا يضم بعضها بعضاً لتشكّل كتاباً منزلاً، ويطلق لفظ النص على الآية وعلى السورة وعلى الكتاب.

#### ➤ الفاصلة القرآنية:

لاحظ العلماء أثناء عملية القراءة وجود إيقاع صوتي بين آيات السورة الواحدة يخلق نوعاً من التناغم والتعالق الصوتي بين الآيات بصورة آية، يسهم في فهم المعنى المقصود، فأطلقوا عليه مصطلح الفاصلة القرآنية تمييزاً له عن الشعر وعن السجع، ويعود الفضل في الكلام عن الفاصلة إلى علماء العربية قدامى ومحدثين من أمثال الخليل وسيبويه والجاحظ والرماني والباقلاني وأبي الحسن الأشعري، والطوفي، وابن الصائغ، وسيد قطب وغيرهم و استندوا في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ الأعراف [52] ، واجتهدوا في تمييزها عن موسيقى قوافي الشعر وعن سجعة النثر، لتكون من خصوصيات النص القرآني، فما هي الفاصلة القرآنية؟

تقع الفاصلة القرآنية آخر كل آية، ولها أشكال متنوعة وإيقاع مختلف ومتميز من آية إلى أخرى حسب الغرض الذي يريده الشارع، يقول محمد الحسنواوي: "الفاصلة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر

<sup>1</sup> محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر، ط3، الرياض، السعودية، ص 312

<sup>2</sup> محمد أبو شهبه، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

\* المثلثة: تلتزم الفواصل حرف روي واحد أو أكثر قبل الروي، و تشيع في السور والآيات و السور المكية (القمر، العصر، الكوثر، الشمس، الإخلاص، الناس، المنافقون، الفيل، الأعلى، الليل، القدر).

\* المتقاربة: تقارب حروف الروي موسيقياً (الميم والنون أو الدال والباء)، و تشيع في السور المدنية مثل سورة قاف و سورة النون، سورة الفاتحة.

\* المنفردة: و هي نادرة وردت الفاصلة الأخيرة من سورة الضحى و "أما بنعمة ربك فحدث".

والتفصيل - توافق آخر الآي في حروف الروي أو الوزن مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس<sup>1</sup> وجاء هذا التعريف بعدما استعرض للأقوال المشهورة حول مفهوم الفاصلة، فالفاصلة قرينة لفظية وصوتية ذات نغم متميز تقوم على مجموعة من الأركان، ولم يختلف أحد في تسميتها فهي تسمية مناسبة لعملها، كونها تفصل بين الآيات وفق نظام معين لا يدخل في عمود الشعر ولا في سجع النثر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ﴿١٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾﴾ الحاقة 40-43 و يراها السيد خضرأنها: "... آخر أصوات صيغة صرفية اسمية أو فعلية مختارة بعناية لتكون نهاية آية قرآنية، وهذه الصيغة الصرفية ذات موقع إعرابي في جملتها... وهذا الموقع الإعرابي هو نتاج عمليات نحوية متنوعة من التقديم والتأخير والحذف والزيادة، أو الرفع والنصب والجر، والفاصلة بعد هذا كله ذات دلالة محددة مرتبطة بمضمون آيتها من جهة ومؤدية دورها في الإيقاع الجميل"<sup>2</sup>، فيتسع مجال هذه الظاهرة ليشمل المستوى الصوتي كونها تتميز بالايقاع المتوازن المنتظم بين الآيات فيحدث نغما موسيقيا يؤثر في المتلقي، ثم المستوى الصرفي فهي من مكونات الصيغة الصرفية تخضع لوزن معين وليست حرف روي فقط، ثم المستوى النحوي لأن موقعها الإعرابي يجعلها تتأثر بمجموعة من المتغيرات النحوية.

كما أنها تزيد المعنى قوة وتصويرا حسيا، وهنا يذكر محمد حسناوي نقلا عن السيد قطب قوله: "نرى نوعا من التناسق العجيب بين الحاقة والقارعة والطاغية والعاتية والرابية والدكة الواحدة والواقعة، تناسق اللفظ والجرس وتناسق المناظر التي تخيل للحس أنها جميعها نائرة فائرة، طاعنة، عامرة، تدرع الحس طولاً وعرضاً، وتملؤه هولاً وروعاً، وتمزجه من أعماقه هزاً"<sup>3</sup>، ولها وقع موسيقي يحدث ارتياحا نفسيا لدى القارئ أو المستمع يجعلهما في حالة من التدبر والتأمل الفكري والروحي لهذا الكون وصانعه.

#### ■ مقومات الفاصلة القرآنية:

اتفق الباحثون على أن الفاصلة القرآنية تقوم على مقومين رئيسيين الوقف والإيقاع المتوازن، وهي:

1- **الوقف:** يظهر عمل الفاصلة في القراءة القرآنية، حيث يقف القارئ على رؤوس الآي بالتزام حالة

من السكون، تخالف الحركة الإعرابية لآخر الكلمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ الكوثر [3-1]، فالوقف على السكون يحقق الانسجام الموسيقي وهو الغالب على الآي القرآني، وتوجد حالات أخرى للوقف، وهي:

✓ الوقف على النون المنصوبة بالألف، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْعَدِيكَ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَأَلْمُورِيكَ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَأَلْمُغِيرَاتِ

ضَبْحًا ﴿٣﴾ العاديات [3-1]

<sup>1</sup> محمد حسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2000، ص29.

<sup>2</sup> السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية- دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009، ص13

<sup>3</sup> محمد حسناوي، المرجع نفسه، ص67

✓ الوقف على "ها" ضمير المؤنثة الغائبة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيُنَهَا ﴿ ﴾ الزلزلة [4-1]

✓ الوقف بهاء السكت مع ياء المتكلم في القليل من الآيات في سورتي "القارعة" و"الحاقة" مثل: ( و أما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هللك عني سلطانية)، لكن المؤلف السائد في ياء المتكلم حين تقع في رؤوس الآيات هو أن تحذف (فإياي فاتقون) البقرة 41، ( لكم دينكم و لي دين) الكافرون/ 6.<sup>1</sup> إذا كان الوقف يخالف الحركة الإعرابية فإن عمله يقوم على أساس الاستعمال الأدائي في القراءة أو التلاوة، وهذا الاستعمال يحقق الوقوف على الساكن عموماً، ويكون مسمها بشكل ظاهر في تماسك الآيات، وهذا يدخل ضمن الانسجام الصوتي للنص، يقول تمام حسان: "ومن هنا اختار الاستعمال أن ينشئ ظاهرة الوقف دفعا للتنافر، ودلالة على انتهاء الدفعة الكلامي، وهو موقع يرتبط بتمام المعنى جزئياً أو كلياً"<sup>2</sup>

2- الإيقاع المتوازن: تتنوع الفاصلة القرآنية إما بالنظر إلى حروف الروي في آخر الآيات، وإما بالنظر إلى الوزن الذي يظهر على مستوى الكلمات الأخيرة من الآيات، فبالنسبة إلى حروف الروي توجد ثلاثة أنواع، هي: المتماثلة\* والمقاربة\* و المنفردة\*، وبالنسبة للوزن، فقد وجد الباحثون أن الفاصلة خمسة أنواع: المتوازي، المطرف، المتوازن، المرصع، المتماثل، كما هو مقعد له في قانون السجع الذي أوجده أصحاب البديع، فيقصد بالمتوازي "رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي"<sup>3</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِيهَا سُرُّ مَرْفُوعَةٌ ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿ ﴾ الغاشية [13، 14]، والمطرف: هو اتفاق الفواصل في حروف السجع لا في الوزن قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿ ﴾ نوح [13، 14]، المتوازن: هو أن تتفق الفاصلتان في الوزن دون التلفية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ﴾ الصافات [117، 118] وهذا النوع كثير في القرآن الكريم، و أما المرصع فهو ما اتفقت فيه الفواصل وزناً وتلفية وتقابل فيه عناصر القرائن قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿ ﴾ الغاشية [25، 26] و قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿ ﴾ الإنفطار [13، 14]، فإذا كثرت عناصر القرائن في الفواصل سمي ذلك ترصيعاً، قَالَ تَعَالَى:

<sup>1</sup> محمد حسناوي، المرجع نفسه، ص 136 و 137

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 1994، ص 271

<sup>3</sup> محمد حسناوي، المرجع نفسه، ص 149

﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ ۝

الْمَسْجُورِ ۝﴾ الطور [6-1]

بينما ذهب تمام حسان إلى أن ما يحدث على مستوى الفاصلة القرآنية إيقاع متوازن وليس وزناً، وبهذا يختلف النص القرآني عن الشعر، يقول في إطار تمييزه بين الفاصلة القرآنية والقافية الشعرية: "أما الفاصلة، فلا تلتزم شيئاً من ذلك (يقصد عمود الشعر) إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة على نمط، ولكنها سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر"<sup>1</sup>، وهذا الإيقاع المتوازن يحدث خفة على اللسان في تلاوة النص، وراحة في النفس والأذن عند سماعه.

ويرى السيد قطب: "أن النسق القرآني قد جمع بين النثر والشعر جميعاً، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي"<sup>2</sup> و بهذا تكون القافية في الشعر، والسجع في النثر، والفاصلة اختص بها القرآن الكريم.

#### ➤ مصطلح السورة:

جاء في تفسير الخازن (باب التأويل في معاني التنزيل) أن الدلالة اللغوية للسورة قوله: "أن تكون السورة مأخوذة من سورة البناء، أي القطعة منه، فكما أن البناء يقوم سورة بعد سورة، كذلك القرآن، فالله عز وجل نزله على رسوله ﷺ - مفرقا في ثلاثة وعشرين عاما، حتى اكتمل بناءه"<sup>3</sup> وفي اصطلاح الزركشي يقول: "طائفة من القرآن مستقلة، تشمل على أي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات أو هي، الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص، بتوقيف من النبي - صل الله عليه وسلم -"<sup>4</sup> فكل من الآية والسورة يشتركان في كونهما قطعة من القرآن الكريم، ذات حجم معين مكتمل الدلالة، ولهما بداية وخاتمة، والإعجاز البياني يقع على الآيات كما يقع على السور، فلا فرق بين سورة الكوثر وسورة البقرة، وتمثل السورة بنية نصية صغرى تبتدئ باسمها ولها موضوع تختص به وتفاصيل جزئية تتعلق بهذا الموضوع تظهر في دلالة الآيات التي تحتويها السورة، فسورة يوسف تتحدث عن قصته وسورة إبراهيم تتحدث عنه، وسورة النساء تتحدث عن ما لهن وما عليهن وسورة آل عمران تتحدث عن قصصهم وهذا لا يعني أن السور مستقلة عن بعضها استقلالية مطلقة، بل ثمة علاقات معنوية تربط بين السور تجعل بينها تناسبا وتعالقا.

<sup>1</sup> تمام حسان، البيان في روائع القرآن- دراسة لغوية وأسلوبية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993 ص276

<sup>2</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، مصر، (دت)، ص85.

<sup>3</sup> علاء الدين ابراهيم البغدادي، تفسير الخازن، المكتبة التجارية الكبرى، (دت)، ج1، ص33.

<sup>4</sup> بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، 1984، ص324 و325

وقد تنوعت السور في القرآن الكريم بين السور الطوال والسور القصار وهذا لا يمس بقيمة الإعجاز في النظم في كليهما، بل إن الإعجاز في الآية القصيرة يماثل الإعجاز في السورة الطويلة، ولعلماء الشريعة قول مطول في أنواع السور باعتبار الطول والقصر و باعتبارات أخرى لا تدخل في اختصاص البحث.

### ➤ منهج ترتيب الآيات والسور القرآنية:

إن ترتيب الآيات والسور أمر يمس بانسجام النص القرآني، لأن ترتيب الخطاب يسهم في تحقق النصية، فترتيب الآيات و السور في النزول يختلف عن ترتيبها في المصحف الشريف، فقد نزلت أول الأمر شفاهة بطريق الوحي ولقنها النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بذات الطريقة، فكانت نصاً منطوقاً، ثم بدأت مرحلة تدوينها في المصاحف فتحوّلت إلى نص مكتوب يتخلف ترتيبه عن المنطوق، ويستنبط السيوطي الغاية من هذا الاختلاف، فيقول: "فهو في ترتيبه النزولي منهج لتأسيس دعوة وأسلوب إقناع بعقيدة، وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء وحضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة ليكون هداية للمؤمنين"<sup>1</sup>، لقد نزل القرآن متفرقا حسب الظروف التي يقضيها الحال أو الموقف، إما إجابة عن مسألة أو دحض لمنطق تفكير مخالف للشرع أو نصره مظلوم، أو كشف أمر يهّم المسلمين أو عتاب أو تحريم أمر، أو تحليله، فقد تنزل آية أو مجموعة آيات أو تنزل سورة بأكملها لأجل ذلك، بينما ترتيب الآيات والسور في المصاحف يجعله دستوراً يتضمن مقاصد أخرى ويؤسس لبناء مجتمع راقى بما يضمّه من أحكام مختلفة هم المسلم في دنياه وآخرته، والتحليل النصي يخص ترتيب الآيات والسور بالنظر إلى توقعها في المصحف، كما أن ترتيب الآيات في سورها أمر توقيفي وليس اجتهادي، ليخرج بذلك النص القرآني عن إرادة البشر، جاء في تفسير الزمخشري قوله: "فإن قلت ما بالهم عدو بعض الفواتح آية دون بعض، قلت: هذا علم توقيفي لا لاجمال للقياس فيه كعرفة السور."<sup>2</sup>

يقول صاحب النبأ العظيم: "اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن - فهي جمهرته- وتنقل بفكرك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطأت أولها لأخراها؟ وأنا لك زعيم بأنك لن تجد ألبته في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى؟... إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 13 و 14.  
<sup>2</sup> محمد أبو شهبة، المرجع نفسه، ص 316



يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المعاني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أساس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر وتطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة: لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو: حسن السياق ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفاً<sup>1</sup>

### ج/فواتح السور:

جاء الحديث عن فواتح السور القرآنية في العديد من المؤلفات العربية قديماً وحديثاً، فقد أفرده بالتأليف ابن أبي الأصعب في كتابه الخواطر السوائح في أسرار الفواتح متبعاً منهجاً رياضياً عقلياً لفواتح السور، يظهر من خلاله الإعجاز في القرآن الكريم، وقد كان مرجعاً مهماً للكثير من التأليفات<sup>2</sup>، وتلخص الطالبة الباحثة ما قاله العلماء حول هذه الفواتح على النحو التالي: " أما فواتح السور فهي على نوعان : معربة ومعجمة

أولاً/ المعربة: و جاءت في خمسة وثمانون سورة، وتنوعت في ثمانية أساليب بلاغية:

- 1- "فواتح جاءت بالثناء على الله عز وجل، وهي قسمان: الأول الحمد في خمس سور، وتبارك في سورتين، والثاني في سبع سور.
- 2- فواتح جاءت بالنداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول صل الله عليه وسلّم، وهي الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر، وخمس بنداء الأمة، و هي النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة.
- 3- فواتح بالجمل الخبرية في ثلاثة و عشرون سورة ، و هي الأنفال، التوبة، النحل، الأنبياء، المؤمنون، النور، السجدة، مُجَّد، الفتح، القمر، الرحمن، المجادلة، الحاقة، المعارج، نوح، القيامة، البلد، عبس، القدر، البينة، القارعة، التكاثر، الكوثر.

<sup>1</sup> محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، (دت)، ص 154 و 155  
<sup>2</sup> ينظر: الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، والدكتور صبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن، ومحمد حسناوي في الفاصلة القرآنية.



- 4- فواتح بالقسم في خمس عشرة سورة، وهي الصفات، البروج، الطارق، النجم، الفجر، الشمس، الليل، الضحى، العصر، الذاريات، المرسلات، الطور، التين، النزعات، العديات.
- 5- فواتح بالشرط في سبع سور، وهي الواقعة، المنافقون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، النصر.
- 6- فواتح بالأمر في ست سور، وهي الجن، العلق، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس.
- 7- فواتح بالاستفهام في ست سور، وهي الإنسان، النبأ، الغاشية، الانشراح، الفيل، الماعون
- 8- فواتح بالدعاء في ثلاث سور، وهي المطففين، الهمة، المسد.
- 9- وافتتحت سورة قريش بأسلوب التعليل.<sup>1</sup> "في حين جعلها ابن أبي الأصبع خمسة أنواع: الخبر والقسم والاستخبار والشرط والأمر لتكون متماثلة مع الفواتح المعجمة، خمسة مقابلة خمسة ليظهر الإعجاز من طرق شتى.

### ثانياً: المعجمة (حروف التهجي)

#### أ/ أقسام الفواتح المعجمة

اتفق علماء القرآن على أنها تركيب لغوي يتألف من حروف مقطعة افتتحت بها تسعة وعشرون سورة، وهي خمسة أقسام:

- 1- " المفتحة بحرف واحد في ثلاث سور هي: صاد(ص)، قاف(ق)، القلم(ن).
- 2- المركبة من حرفين وافتتحت بها عشر سور هي: الحواميم(حم)، طه(طه)، النمل(طس)، يس(يس).
- 3- المركبة من ثلاثة حروف، وتضم 13 سورة: 6 بلفظ (ألم)، و 5 بلفظ (ألر)، و 2 بلفظ (طسم).
- 4- المركبة من أربعة أحرف، و توجد في سورتين: الأعراف (ألمص) و الرعد (ألمر)
- 5- المركبة بخمسة أحرف و افتتحت بها سورة مريم (كهيعص)، و الشورى (حم عسق)<sup>2</sup>

#### ب/ دلالة الفواتح المعجمة:

اختصت لغة القرآن بنوع خاص من المفردات عن لغة العرب، والقصد هنا متوجه نحو السور المفتحة بحروف التهجي أو الحروف المقطعة، حيث اختلف العلماء في دلالتها والغرض من استخدامها، وقد عرض ابن أبي الأصبع المصري لهذا الخلاف بشكل مفصل في كتابه الخواطر السوائح في أسرار الفواتح، حيث ذكر أن فريقاً من العلماء اعتبر حروف التهجي من الآي المتشابهة والسر الذي لا يعلمه إلا الله من أمثال الشعبي

<sup>1</sup> ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص 626، محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص 200  
<sup>2</sup> ينظر: ابن أبي الأصبع المصري، الخواطر السوائح في أسرار الفواتح، تح: حنفي محمد شرف، (دط)، (د ت) ص 25 و 26

وأبو بكر الأنباري متبعين في ذلك أبو بكر الصديق وعلي كرم الله وجهه، وفريق آخر يضم اتجاهات مختلفة قدمت لهذه الفواتح تفسيرات ودلالات معينة، وصلت إلى أكثر من عشرين رأياً، منها:

- 1- "أنها أسماء للسور القرآنية معتمدين على ما تفعله العرب في تسمية الأشياء بالحروف، فكانت تسمى الحوت نونا والجبل قافاً، و بهذا قال الخليل و سبويه و ابن قتيبة.
- 2- أنها أسماء أو بعض أسماء أو إشارة إلى اسم الله تعالى مستلدين بقول علي -عليه السلام- أنه كان يقول: يا كهيعص، و يا حمعسق اغفر لي، وقول ابن عباس -عليه السلام-: الألف من (ألم) إشارة إلى أنه تعالى أحد، أول آخر أزلي، واللام إشارة إلى أنه لطيف، والميم إشارة إلى أنه ملك، مجيد، منان.
- 3- أن بعضها رمز لأسماء الله، وفسروا (ألم) بـ(أنزل الله الكتاب على لسان جبريل إلى محمد -عليه السلام-).
- 4- أنها أسلوب في الإعجاز بالحروف أيضاً إضافة إلى الإعجاز بالآيات والسور تحديداً لأهل البلاغة والفصاحة.
- 5- أنها حروف لتنبية المشركين بأن هذا الكلام أمر عظيم وجب الالتفات إليه والاستماع لما يدعو له.
- 6- أنها تعبر عن مدة أقوام، ومقدار آجالهم بطريقة "حساب الجمل" \*، حيث (الم) معناها أن تنتهي أجل أمة محمد إحدى و سبعون سنة، و(ألمص) فهي مائة و إحدى وستون سنة.
- 7- وقيل أنها حروف للدلالة عن انقطاع كلام، واستئناف كلام جديد، وقال الكلبي أنها قسم، وقيل أنها حروف ثناء أثنى الله بها على نفسه، انتهى<sup>1</sup>
- 8- وقد أورد الدكتور صالح الصبحي مجموع التأويلات لحروف التهجي كما جاءت عن أصحابها في كتابه مباحث في علوم القرآن<sup>2</sup>، و ناقشها، و أثبت أنها ليست يقينية و غير مؤسسة على حجج مقنعة، ثم يدعم رأيه بمقولة السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار الذي يرى أن دلالة حروف التهجي لاتعدو كونها أدوات لتنبية المشركين، ولتنبيه أهل الكتاب لما يذكر بعدها، و مما جاء في تفسير المنار: "من حسن البيان و بلاغة التعبير، التي غايتها إفهام المراد مع الإقناع و التأثير، أن ينبه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه و المقاصد الأولى بها، و يحرص على أن يحيط علمه بما يريد هو منها، و يجتهد في إنزالها من نفسه في أفضل منازلها، و من ذلك التنبية لها قبل البدء بها لكيلا يفوته شيء منها، و قد جعلت العرب منه هاء التنبية وأداة الاستفتاح، فأبي غرابة في أن يزيد عليها القرآن الذي بلغ حد الإعجاز في البلاغة و حسن البيان، و يجب أن يكون الإمام المقتدى، كما أنه هو الإمام

<sup>1</sup> ابن أبي الأصبع، المرجع السابق، تح: حنفي محمد شرف، ص43

\* حساب الجمل: عبارة عن جدول يضم حروفاً تقابلها أعداد تعبر عن عدد السنوات

<sup>2</sup> صالح الصبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1977، ص 240 و ما بعدها.

في الإصلاح والهدى، ومنه ما يقع في أثناء الخطاب من رفع الصوت وتكليفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر، أو غنة الاسترحام والعطف، أو رنة النعي وإثارة الحزن، أو نغمة التشويق والشجو، أو هيعة الاستصراخ عند الفزع، أو صخب التهويش وقت الجدل، ومنه الاستعانة بالإشارات وتصوير المعاني بالحركات، ومنه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة أو وضع خط فوقها أو تحتها...<sup>1</sup> وذكر صالح صبحي أن هذا الرأي وجد في تفسير الرازي وابن جرير وابن كثير، و وجد أيضا عند الزركشي في البرهان، و عند السيوطي في الإتقان<sup>2</sup>

### ج/ دلالة فواتح السور عند ابن أبي الأصبع المصري:

لقد أثبت ابن أبي الأصبع أن فواتح السور المعجمة كالفواتح المعربة لا فرق بينها سوى أن الأولى جاءت بأسلوب متميز، حيث أن هذه الفواتح المعجمة ليست لها دلالة لغوية صريحة لذلك اختلف العلماء في تفسيرها، ويعد ابن أبي الأصبع واحدا من الذين بحثوا في أسرار جميع فواتح السور معربها و معجمها باعتماده منهجا رياضيا في استنباط الحقائق، وقد توصل بطريق الاستدلال إلى أن الفواتح المعجمة دالة على الصانع والمصنوعات، الكليات والجزئيات، البسائط والمركبات، ومن أجل ذلك، جعل ميزان بحثه يقوم على كفتين، اليمنى وضع فيها الفواتح المعجمة إذ يعتبرها الأصل، والكفة اليسرى خاصة بالفواتح المعربة لأنه فرع لذلك الأصل، كما أنه اتخذ من جدول حساب الجمل آلية في بلوغ غايته.

### جدول حساب الجمل:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
1	2	3	4	5	6	7	8	9	1	2	3	4	5	6	7	8	9
									0	0	0	0	0	0	0	0	0

ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
100	200	300	400	500	600	700	800	900	1000

بدأ بتحليل أول الفواتح المعجمة (آلم) و ربطها بأول الفواتح المعربة (الحمد) ليثبت أن الحروف

المشتركة بينهما لهما نفس الوظيفة و المعنى.

فاتحة البقرة (آلم) \_\_\_\_\_ فاتحة أم الكتاب (الحمد)

<sup>1</sup> صالح الصبحي، المرجع نفسه، ص 245

<sup>2</sup> صالح الصبحي، المرجع نفسه، ص 244

حرف الألف كان البداية في الفاتحتين، و هو حرف بسيط يدخل في تأليف جميع الحروف المركبة والكلمات والمفردات ويقابله في جدول حساب الجُمَّل العدد واحد (1) والعدد واحد بسيط تتركب منه جميع الأعداد يقول ابن الأصبع في هذا "فثبت أنها- الألف- فيهما- يقصد الفاتحتين- مشيرة إلى الصانع سبحانه بدليل الالتزام لأنه تعالى ذكره واحد من غير تكثير، مدبر من غير بشير و لا وزير، ليست أوليته مسبوقه بشيء كما أن أولية الألف ليست مسبوقه بحرف من الحروف، والواحد الذي تضمنته ليس مسبوقا بعدد من الأعداد (...). و أما اللام و الميم اللتان هما بقية (ألم) خلعهما من العدد سبعون ... أعني سبعة تكررت عشر مرات ومن هذا العدد نستنبط الاستدلال على المصنوعات"<sup>1</sup>، و يقصد بالمصنوعات ما خلق الله سبحانه وتعالى في الدنيا و الآخرة و هي الكليات<sup>2</sup> المتمثلة في: السموات السبع، الأرضين السبع، الكواكب السبعة، الأقاليم السبعة، المعادن السبعة، الحيوانات السبعة، الليالي السبعة والأيام السبعة، وأبواب النيران السبعة، درجات الجنة السبعة و هي تمام العشرة،" فأول الفواتح المعجمة جاءت ثلاثة أحرف لتكون مشيرة إلى البارئ سبحانه بأول حروفها، وإلى الخلق والأمر بقية أحرفها"<sup>3</sup>

يقول ابن أبي الأصبع: "فثبت أن مجموع (ألم) دال على الصانع و المصنوعات وكليات الأمور الدنيويات والأخرويات، فمدلول أحرفها الثلاثة مدلول مثيلاتها الموجودة في الفواتح المعربة، و بقية المعربة في (الحمد) هي الحاء و الدال، فإن لهما من العدد الحسابي اثني عشر (4+8) كما يظهر في الجدول، وهي دالة على الأبراج الموجودة في السماء، والواردة في قوله تعالى: "والسماء ذات البروج" كما أنه بحث في جميع السور المفتحة بلفظة (الحمد) مثل الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر، فلاحظ أن تلك اللفظة وصلت بتعداد جميع نعم الدنيا والآخرة مثل خلق السموات والأرض والظلمة والنور، وذكر خلق الملائكة وإرسال الرسل للهداية ... و أتيت ذلك بدلالة التضمن والالتزام"<sup>4</sup>

ثم ينتقل إلى الفواتح المعجمة المركبة بحرف واحد وهي (ق)، (ص)، (ن) الموجودة في ثلاث سور في (ق والقرآن المجيد) (ص و القرآن ذي الذكر) (ن و القلم وما يسطرون)، فوضعها وحكمها الإعرابي يجعلها تأخذ حكم المقسم به (القرآن) (القلم) لأنها معطوفة عليها، أما معاني هذه الحروف (ق) (ص) (ن) فقد كشف عنها كالتالي:

تشير (ق) إلى العدد الحسابي مئة فتعبر بذلك عن أسماء الله تعالى، و(ص) تعبر عن العدد تسعون الذي يعبرّ إلى المصنوعات، و(ن) إلى العدد خمسون، يقول: (فدلت ق على أسمائه ودلت ص على

<sup>1</sup> ابن أبي الأصبع المصري، المرجع السابق، ص96

<sup>2</sup> ابن أبي الأصبع المصري، المرجع نفسه، ص97

<sup>3</sup> ابن أبي الأصبع المصري، المرجع نفسه، ص106

<sup>4</sup> ابن أبي الأصبع المصري، المرجع نفسه، ص106

مصنوعاته ودلت ن التي لها من العدد الحسابي خمسون وتشير إلى جميع الأمور الأخروية وهي ملك الموت ومنكر ونكير والكتاب و الحساب والميزان والصراف والجنة والنار وأبوابها ورضوان ومالك وخزنة النار والثواب والعقاب والحسنات والسيئات ومجموع ذلك خمسون.<sup>1</sup>

هكذا كلما كشف عن مدلول حرف بحساب الجمل ساعده ذلك في الكشف عن معاني فواتح أخرى فقد ذهب إلى الجمع بين فاتحة البقرة (آلم) و فاتحة (ص) ليستدل على فاتحة الأعراف (المص) فجاءت تأكيدا وتقريراً لحقيقة الصانع الخالق من جهة، وبيان قدرته المتجلية في المصنوعات المذكورة سابقا من جهة أخرى.

جدول توضحي للدلالة النصية لفواتح السور المعجمة عند ابن أبي الأصبع المصري

اسم السورة	فاتحتها	العدد الحسابي	دالتها النصية
البقرة/آل عمران/العنكبوت/الروم/لقمان/السجدة.	آلم	40+30+1	1: الخالق الصانع الله رب العالمين 70: المصنوعات خلق الله و صنعه
صاد	ص	90	90: المصنوعات
قاف	ق	100	100: أسماء الله الحسنى
القلم	ن	50	50: الأمور الأخروية
غافر/فصلت/الزخرف/الدخان/الجاثية/الأحقاف	حم	40+8	48: المصنوعات
طه	طه	5+9	14: منزلة القمر في اليوم 14
يس	يس	60+10	70: المصنوعات خلق الله و صنعه (ل،م) من آلم) و (ع)
النمل	طس	60+9	المصنوعات
الحجر/ابراهيم/يونس/هود/يوسف	آلر	200+30+1	231: الخالق الصانع
القصص/الشعراء/	طسم	40+60+9	109: المصنوعات (آيات الله في الكون)
الأعراف	آلمص	90+40+30+1	161: تكرار لتأكيد حقيقة الصانع والمصنوعات
الرعد	آلمر	200+40+30+1	271: المصنوعات
مريم	كهيعص	+70+10+5+20	195: المصنوعات

<sup>1</sup> ابن أبي الأصبع المصري، المرجع نفسه، ص107

	90		
المصنوعات: 278	+60+70+40+8	جمعسق	الشورى
	100		

إن حقيقة الحروف المعجمة والتي توصل إليها هذا العالم الجليل حينما استدلت على خالق هذا الكون، وقدرته التي لا تدركها إلا ذوو العقول، وحينما استدلت أيضا على بعض ما خلق الله تعالى وصنع، تؤكد أن الإعجاز القرآني في النظم البياني يظل قائما في حروف مثلما هو موجود في آيات وسور، فكلمة النص تنطبق على سورة وعلى آية وعلى حرف أيضا، واستخدام في بحثه منهجا رياضيا حيث حوّل الحرف إلى أعداد ودلت هذه الأعداد على الصانع وأسماءه وقدرته ومصنوعاته، لكن تبقى بعض الحروف مجهولة مثل السين(س) و الراء(ر) و الياء(ي)، مما يجعلنا نرجع إلى الرأي الذي يرى في هذه الحروف أنها السر الذي لا يعلمه إلا الله.

### ➤ العلاقات التي تحكم النص القرآني :

#### العلاقات الخارجية:

لا يمكن دراسة وتحليل النص القرآني وفق المنظور البيوي، لكون النص القرآني يعتمد على العناصر غير اللغوية الخارجية على النص بالدرجة الأولى مثل السياق، لذلك فثمة علاقة تربط النص القرآني بالنصوص الموجودة في الشرائع السابقة كالنصوص الإنجيلية والزبور ومن هذه العلاقات يذكرها مُجّد مفتاح وهي "علاقة التعضيد وعلاقة الرفع"<sup>1</sup>، ويقصد بالأولى موافقة النص القرآني لما جاء في الشرائع السابقة كقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم" فالله عز وجل يدعم ويقرر حكم الصوم وكان قد فرضه على الأمم السابقة، ويقصد بالثانية ما جاء في النص القرآني من إبطال ومخالفة لما جاء في الشرائع السابقة مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ البقرة [144] حيث كانت قبله الأمم السابقة هي بيت المقدس فتم تحويلها بأمر من الله إلى المسجد الحرام (الكعبة الشريفة) وهذه مخالفة وإبطال بنص قرآني لما شرع في الكتب السماوية السابقة.

#### العلاقات الداخلية (الدلالية):

<sup>1</sup> مجّد مفتاح، المرجع السابق، ص 198

أما على المستوى الداخلي فهناك علاقات معنوية تربط بين الآيات والسور، ويميز مُجّد مفتاح بين العلاقات المرفوضة والمهيمنة في النصوص القرآنية:

### العلاقات المرفوضة (علاقة التناقض):

أثبت علماء الأصول أنه لا يوجد في القرآن الكريم تناقض بمعناه المنطقي، فالأمر والنهي الوارد في قضية واحدة وهم باطل، فلا يمكن أن يقع الوجوب والتحریم بصيغة افعل ولا تفعل على نفس الشيء في وقت واحد، لأن ذلك يجعل المتلقي يصوّر أن هناك خلافاً في الوحدة البنائية للقرآن الكريم، وهذا ما يسعى إلى إثباته بعض المشتشرقين، ويورد مُجّد مفتاح مقولة أبو زهرة: "وقد يكون سبب التعارض من ناحية توهم أن نصين من النصوص يدلان على حكمين متعارضين، بينما النصان في الواقع لا تعارض في حكمهما، بل لكل واحد منهما جهة غير جهة الآخر، فالتعارض في عقل المجتهد لا في النص، ولا في مدلوله"<sup>1</sup>، ويزيل الشاطبي هذا التصور في التعارض بقوله: "الأمران يتواردان على الشيء الواحد باعتبارين إذا كان أحدهما راجعاً إلى الجملة والآخر راجع إلى بعض تفاصيلها، وإلى بعض أوصافها أو إلى بعض جزئياتها، فاجتماعهما جائز"<sup>2</sup> ومثل ذلك قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..." وقوله أيضاً: "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون...." وقوله "فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون.."، فلا يوجد تناقض بين النصين رغم أن الأول يتضمن أمراً بإقامة الصلاة، والثاني يتضمن نهياً بإقامتها، والثالث يتضمن تهديداً للمصلين، إلا أن المتمعن في النص الثاني والثالث يدرك أنه النهي ليس متعلقاً بإقامة الصلاة كركن وفريضة واجب فعلها ولكنها ينهى عن إقامتها إذا فقدت إحدى شروطها وهي هنا العقل والقرينة على ذلك (حتى تعلموا ما تقولون)، فلا تصح الصلاة إلا بحضور العقل وجميع شروطها.

### 2-العلاقات المهيمنة على النصوص القرآنية:

لقد تداولت كتب التفسير والأصول العلاقات المعنوية التي تحكم النصوص القرآنية بشكل من التفصيل ليتم فهمها وتفسيرها وتأويلها على الوجه الصحيح، وقد ذكرها مُجّد مفتاح نقلاً عن الشاطبي: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي، وكذلك المكّي بعضه مع بعض والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في النزول وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكّي، كما أن المتأخر من كل واحد مبني على مقدمه، دلّ على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله"<sup>3</sup> لقد اهتم

<sup>1</sup>مُجّد مفتاح، المرجع نفسه، ص 200

<sup>2</sup>مُجّد مفتاح، المرجع نفسه، ص 200

<sup>3</sup>مُجّد مفتاح، المرجع نفسه، ص 202

علماء القرآن بمسألة التمييز بين النصوص المكية والنصوص المدنية وجعلوا لذلك معايير مختلفة، ومنحوا للقرآن المكي أولوية على المدني لأنه السابق في التنزيل، فهي مسألة بالغة الأهمية عند علماء الأصول لأنها تعتبر أساسية في التفرقة بين الناسخ والمنسوخ، وبين العام والخاص، وبين المطلق والمقيد، وتعد ضرورية في عملية استنباط الأحكام الفقهية والشرعية على الوجه الصحيح.

#### ❖ علاقة المناسبة بين الآيات القرآنية:

لقد اختص القرآن الكريم دون غيره من النصوص بوجود علاقة تناسب بين آياته وسوره، وهذا ما جعل علماء القرآن يبحثون في أسرار ترتيبها على ذلك النحو لتظهر متماسكة في البناء والدلالة، يقول الإمام ابن العربي - رحمه الله -: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم"<sup>1</sup> و يقصد بذلك علم المناسبة، وقد اعتبره الإمام فخر الرازي من علامات الإعجاز البياني خاصة بعد تفسيره لسورة البقرة، فقد يقول: "القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"، وهذا وما يقوي ويدعم رأي القائلين بأن ترتيب الآيات والسور كان أمراً توفيقياً وليس اجتهاداً، وهذا لحكمة ومقصد أراداه الشارع عز وجلّ من هذا الترتيب المخالف للنزول.

لقد اشتغل الكثير من العلماء بالكتابة في علم المناسبة بين السور والآيات للكشف عن مكانم الإعجاز في القرآن الكريم، وقد ذكر جلال الدين السيوطي أشهر من ألف في هذا العلم بقوله: "أفردته بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي - ت 885هـ - في كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، وكتابي الذي صنعه في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات... وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سمّيته "تناسق الدرر في تناسب السور... و ممن أكثر فيه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط."<sup>2</sup>

هناك من العلماء من يرى أن القرآن الذي نزل متفرقا في آيه وسوره خلال فترة طويلة، والذي تضمن أجناسا لغوية مختلفة من الأحكام والقصص والغيبيات وغيرها، لا يمكن أن يكون نصا واحدا مترابطا، وفي هذا نقل السيوطي قول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ/2008م، ص630

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 630



ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض<sup>1</sup>، غير أن هذا الكلام قوبل بالنفي و بأنه كلام سطحي، فالإعجاز القرآني لا يكمن فقط في كلماته و جملة و آياته الظاهرة على السطح، لكن ما خفي كان أعظم فالقرآن الكريم بحر لا ينفذ عن العطاء والإعجاز، قال الشيخ ولي الدين الملوي: "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب: أنّها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، والمعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية: أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها و ما سيقّت له"<sup>2</sup>

أما عن معرفة طرق الكشف عن المناسبة، أورد السيوطي مقولة الشيخ أبو الفضل محمد بن محمد المغربي البجائي المالكي، وهي: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو: أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقّت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند إنجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية و آية في كل سورة و سورة"<sup>3</sup>

#### علاقات التناسب عند الإمام السيوطي:

اعتمد البحث على آراء علماء التفسير من أمثال السيوطي والزرکشي وفخر الرازي، فقد ذكر السيوطي أن المناسبة تكون بين الآيات وتكون بين السور و تأتي على أحد الوجوه التالية:

#### أ- "بيان مناسبات ترتيب سور، وحكمة وضع كل سورة منها:

لقد أثبت العلماء وهم عاكفون على مدارسة القرآن الكريم نحاة ونقدا وبلاغيين ومفسرين وأصوليين عن عدم وجود أي خلل في ترتيب سور القرآن الكريم وآياته، فهو أمر توقيفي من جهة، كما أن منهجهم في استقراء النصوص واستنباط الأحكام دهم على أن هذا الترتيب لم يكن أمر اعتبارياً، ولكن لحكمة

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 630

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 630 و 631

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 633 و 634

أرادها عزّ وجلّ، وتوصلوا إلى أن بلاغة القرآن وإعجازه البياني لا يكمن فقط في التنزيل والمعاني والأخبار والغيبيات، وإنما في عملية الترتيب، حيث كشف العلماء على وجود علاقة تناسب بين السور نتجت عن هذا التتابع، فمثلاً نجد سورة المائدة والتي سبقت بسورة الفاتحة والبقرة و آل عمران والنساء، سماها الإمام السيوطي بسورة التكميل بسبب ما ورد فيها، يقول السيوطي: "تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل، وما أخذ على الأمة، فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتمدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله.."<sup>1</sup> كما استدل على ذلك من قوله تعالى في نفس السورة ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [3] المائدة، لقد استنبط الإمام السيوطي علاقة تناسب بين السورة وما تقدمها من سور، فاستنتج تسميتها بـ"التكميل" بسبب ما رُود فيها من أحكام تتضمن تحريماً أو عقوبة عن بعض التصرفات أو الأفعال حفظاً للدين والعقل، والمال، والنفوس، وهذا الأمر يدخل ضمن مقاصد الشارع والتي وردت في السور التي سبقتها فكانت إضافة وتكملة، كما أنه استدلّ بالآية الثالثة، ليكون التناسب أكثر علائقية في ترابط السور مع بعضها، لكن هل يمكن تفسير التعالق بين هذه السور في إطار علاقة الإجمال والتفصيل.

يقول السيوطي: "ومن الوجوه المناسبة لتقدم آل عمران على النساء، اشتراكها مع البقرة في الافتتاح بإنزال الكتاب، وفي الافتتاح بـ(الم) وسائر السور المفتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة، كـ(يونس) وتواليها، ومريم وطه، والطواسين، و(الم) العنكبوت وتواليها، والحواميم، وفي ذلك أول دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور... وكذلك اشتراكهما في التسمية بالزهاوين في حديث: (اقرأوا الزهاوين: البقرة و آل عمران)، فكان افتتاح القرآن بما نظير اختتامه بسورتي الفلق والناس المشتركين في التسمية بالمعوذتين"<sup>2</sup>

### ب- بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها:

ويقصد هنا أن ما أجمل في سورة فقد فصل في أخرى بعدها، وليس شرطاً أن تكون التي قبلها مباشرة، وهذه العلاقة تخلق تناسباً واتصالاً وثيقاً بين النصوص، وهي من العلاقات المهيمنة في القرآن الكريم، وتعد من المبادئ الأصولية، يقول السيوطي: "القاعدة التي استقر بها القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له، وإطناب

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع السابق (تناسق الدرر في تناسب السور)، ص 64  
<sup>2</sup> السيوطي، المرجع نفسه، ص 79

لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها، وسورة البقرة اشتملت على تفصيل جميع جملات الفاتحة<sup>1</sup>، ومن أمثلة ذلك ما أورده السيوطي في تعالق النصوص، قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتٍ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ آل عمران [14]

لقد تتبع السيوطي ثنائية الإجمال والتفصيل في نصوص القرآن الكريم ليظهر من خلالها تماسك النص القرآني وانسجامه، فكانت هذه الآية الكريمة واحدة من النصوص الجملة التي جاءت فيها ملذات الحياة الدنيا مرتبة على وجه الإيجاز بدءاً بالنساء والبنين، ثم الأموال الكثيرة من الذهب والفضة، ثم الأنعام من الإبل والبقر والغنم ثم الأرض، وذلك حتى يتسنى للمتلقى أن يعرفها ويحفظها بمجرد قراءتها لأن السياق اللغوي الذي وردت فيها يكشف عن دلالتها دون جهد، كما أن هذه الملذات تعتبر من أهم أولوياته في الدنيا، لكن النص القرآني لم يفق عند هذه الدلالة العامة، بل وجب تفصيل كل هذه الملذات حتى يستمتع بها الناس في حدود ما يسمح به الشرع وقد وقف السيوطي على تفصيل كل هذه الأمور في سورة النساء والمائدة والأنعام على التوالي، فيقول: "لقد فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية، ليعلم ما أحل الله من ذلك فيقتصر عليه، و ما حرّم فلا يتعدى إليه، لميل النفس إليه، فقد جاء في هذه السورة أحكام النساء، ومباحاتها، للإبتداء بها في الآية السابقة في آل عمران، ولم يحتج إلى تفصيل البنين، لأن تحريم البنين لازم، لا يترك منه شيء كما يترك من النساء، فليس فيهم مباح فيحتاج إلى بيانه، ثم فصل في سورة المائدة أحكام السراق، وقطاع الطريق، لتعلقهم بالذهب والفضة الواقعين في الآية بعد النساء والبنين، و وقع في سورة النساء إشارة إلى ذلك في قسمة الموارث، ثم فصل في سورة الأنعام أمر الحيوان و الحرث، وهو بقية المذكور في آية آل عمران"<sup>2</sup>

يظهر الترابط و الانسجام الشامل على المدونة القرآنية في هذه المناسبة من خلال علاقة سورة الفاتحة بجميع السور التي تليها، فهي أم الكتاب، وأم الشيء أصله ومصدره، يقول الإمام البقاعي في تخريج هذه المناسبة: "كانت سورة الفاتحة أما للقرآن، لأن القرآن جميعه مفصّل من مجملها، فالآيات الثلاث الأولى شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى والصفات العليا، فكل ما في القرآن من ذلك فهو مفصل من جوامعها، والآيات الثلاث من قوله ﴿أَهْدِنَا﴾ شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الوصول إلى الله والتحيز إلى رحمة الله والانقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن منه، فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة

<sup>1</sup> السيوطي، المرجع نفسه، ص 65

<sup>2</sup> السيوطي، المرجع نفسه، ص 78 و 79

بين ذلك مما ظاهرهن هذه من الخلق ومبدؤه، وقيامه من الحق فمفصل من آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>1</sup>

### ج- وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها:

ويقصد بفاتحة الكتاب فاتحة السورة واعتلاقتها بخاتمة السورة التي قبلها، ليثبت عدم وجود استقلالية مطلقة للسورة، رغم أن لكل سورة عنوان هو اسمها، فقد كشف السيوطي عن وجه آجر من أوجه المناسبة بين السور، فثمة سورا متجاورة تربط بينهما علاقة إذ تختتم السابقة بآية تحمل دلالة تكون هذه الدلالة بداية للسورة اللاحقة، وهذا ما وجدته السيوطي في آخر سورة آل عمران وبداية النساء، فيقول عن علاقة التناسب بين سورة النساء و آل عمران: "منها أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى وافتتحت هذه السورة (النساء) به، وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور ، وهو نوع من البديع يسمى تشابه الأطراف"<sup>2</sup> ومن تشابه الأطراف أيضا اختتام سورة يوسف بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف [111]، و افتتاح سورة الرعد التي تليها مباشرة بقوله تعالى: ﴿الْمُر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الرعد [1] ، وكذلك بين سورتي الحجر وإبراهيم تشابه أطراف في ذكر صف الكتاب.

### د- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقف له، وذلك براعة الاستهلال:

ظهر للسيوطي في الكثير من السور أن بدايتها تنبئ المتلقي عن محتواها ومضمونها العام واعتبر ذلك من براعة الاستهلال والاستفتاح، كما هو الحال في سورة النساء، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء [1]، إن هذا المطلع يهيئ المتلقي ويوجهه ليتلقى أحكاما وتشريعات بشأن موضوع محدد ومبين في مقدمة السورة هو النكاح والموارث، إذ تدلّ عبارة ( وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) على النظام الذي يقوم عليه النكاح بجلاله وحرامه، وعبارة(الأرحام) قرينة لغوية تشير إلى علاقة النسب ويرتبط بها من نظام الموارث، فهذا استفتاح يعرف به مقصد الشارع سلفا.

### و- مناسبة أوائل السور لأواخرها:

1 برهان الدين البيهقي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج8، ط1، 1995م، ص22 و ص23.  
2 جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق (الإتقان في علوم القرآن)، ص76

أفرد السيوطي لهذه المناسبة كتاباً سماها "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، حيث كشف عن أنواع مختلفة من التعالق بين بداية السورة وخاتمتها، ويميز بين العلاقة اللفظية والعلاقة المعنوية، وقد اتضح أن أغلب سور القرآن الكريم افتتحت بذكر القرآن واختتمت به، كما هو الحال في سورة هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والكهف ومريم وطه والشعراء ويس وص والدخان، أما السور الأخرى فقد تنوعت في استفتاحها بين اسم الجلالة واليوم الآخر والرسول والبعث والعذاب وآية من آيات خلقه مثل النجم والقمر وخلق السماوات والأرض وغيرها، وكشف السيوطي في كل سورة على هذا التوازن والبراعة في تصميم الشكلي للسورة، إذ يعتبر هذا من أشكال التكرار في المعنى على سبيل التقرير أو التأكيد أو التنبيه أو الوعيد أو التهديد أو البشارة.

#### هـ- مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسبها:

يقول البقاعي: "...و لك أن تقرّر الاتصال والالتحام بوجه آخر ظاهر الكمال بديع النظام، فتقول: لما قرب التقاء نهاية الدائرة السورية آخرها بأولها ومفصلها بموصلها، اشتد تشاكل الرأسين، فكانت هذه السور الثلاث الأخيرة مشكلة للثلاث الأولى في المقاصد، وكثرة الفضائل والفوائد: الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، وهو واحد، والفلق للبقرة طباقاً وفاقاً، فإن الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الأمر، فهي للعون بخير الأمر، و الفلق للعوذ من شر الخلق المحصي لكل خير، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿ البقرة [67]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ ﴿ البقرة [102] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ ﴿ البقرة [109]، والناس للفتاحة، فإنه إذا فرغ الصدر الذي هو مسكن القلب الذي هو مركب الروح الذي هو معدن العقل كانت المراقبة، فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس بالتوحيد والإخلاص، ثم الاستعاذة من كل شر ظاهر، و من كل سوء باطن....وكانه اكتفى أولاً بالاستعاذة المعروفة كما يكتفي في أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم الختمة، جوزي بتعوذ من القرآن، ترقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر بالأول أي اتصال بلا ارتياب، واتحد به كل اتحاد، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب"<sup>1</sup>

#### ر- بيان فواصل الآي و مناسبتها للآي التي ضمت إليها:

من الأمور التي تحكم الفواصل القرآنية هي مناسبتها للكلام الذي سيقته فيه، وليتضح الأمر جلياً، قارن العلماء بين آيتين في سورتين تحملان نفس اللفظ، ولكن الاختلاف بينهما في الفاصلة، الأولى قوله تعالى في سورة إبراهيم "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار" إبراهيم/34، والثانية في قوله تعالى: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الله لغفور رحيم" النحل/18،

<sup>1</sup> برهان الدين البقاعي، المرجع السابق، ص 618

فقد ذكر العلماء لهذا الاختلاف بالتحليل التالي: "كأن الله تعالى يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة، فأنت أخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً وكونك كفاراً، ولي عند إعطائها وصفان، وهما: أي غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفرائي، وكفرك برحمتي، وسياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان، وما جبل عليه، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأمّا آية النحل فسبقت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه"<sup>1</sup>

#### ز- مناسبة أسماء السور لها:

وجد العلماء أن هناك علاقة معنوية بين السورة والاسم الذي يتقدمها وهو عنوانها، وهذه العلاقة يفسرها المقصود الذي تتضمنه، وهو المعنى الذي يجده المتلقي أثناء عملية القراءة والفهم، ويختلف المعنى من قارئ لآخر، لذلك نجد للسورة الواحدة عدة أسماء واستدل الإمام البقاعي على هذه المناسبة بسورة الفاتحة، بحيث وجد أن لها أسماء متعددة، فتسمى "أم الكتاب" و"الأساس" و"المثاني" و"الكنز" و"الشافية" و"الكافية" فهما و"الوافية" و"الواقية" و"الرقية" و"الحمد" و"الشكر" و"الدعاء" و"الصلاة"، وهذا الاختلاف نتيجة فهم لمعنى معين كامن في ذهن القارئ، يقول البقاعي: "فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد، وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودة، فكل شيء لا يفتح بها لاعتداد به، وهي أم كل خير، وأساس كل معروف، ولا يعتد بها إلا إذا ثبتت فكانت دائمة التكرار، وهي كنز لكل شيء، شافية لكل داء، كافية لكل هم، وافية بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات الحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء، فإنه التوجه إلى المدعو، و أعظم مجامعها الصلاة"<sup>2</sup>

#### ✓ المبحث الثالث : التماسك النصي في سورة الرعد.

ما يهم البحث هو قراءة النص القرآني ومقارنته بمعطيات الدرس اللساني النصي الحديث من خلال بيان قوة التماسك الشكلي بين أجزاءه اللغوية بما تضمنه من آيات وسور، ليتضح النص القرآني بنيانا مترابعا يشدّ بعضه بعضا، وقد ورد في كتب التفسير أن القرآن الكريم أربعة أقسام: (قسم السور الطوال-

<sup>2</sup> محمد الحسناوي، المرجع السابق، ص289.  
<sup>2</sup> برهان الدين البقاعي، المرجع السابق، ص12

قسم المئين - قسم المثاني - قسم المفصل) وهذا استناداً لحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أعطيْتُ السبع الطوال مكان التّوراة، وأعطيْتُ المئين مكان الإنجيل، وأعطيْتُ المثاني مكان الزبور، وفضّلْتُ بالمفصّل"<sup>1</sup> ويشير هذا التقسيم إلى أن كل السور القرآنية التي تدخل في قسم تحمل نفس المميزات الشكلية مثل حجم السورة، نوع الفاصلة، طريقة الوقف وغيرها، لذا استقر البحث على اختيار سورة الرعد في بيان التماسك النصي اتساقاً وانسجاماً باعتماد نظرية الاتساق عند هاليداي وحسن رقية، ثم الكشف عن خصوصيات النص القرآني من خلال آيات متفرقات من كل قسم، وبهذا يكون التحليل النصي قد مسّ جوانب متعددة من المدونة القرآنية.

### -السورة بين المكّي والمدني:

تنتمي سورة الرعد إلى السور المثاني من القرآن الكريم، تحتل المرتبة الثالثة عشر في المصحف تتقدمها، سورة يوسف وتليها سورة إبراهيم، سميت بالرعد لوجود لفظة الرعد فيها، قال تعالى: "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَأُكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ"<sup>2</sup> عدد آياتها ثلاثة وأربعون آية، افتتحت بالحروف المقطعة (ألمر)، اختلف المفسرون في توبييها بين القرآن المكّي والقرآن المدني، لتعدد المصادر من جهة، و الأرجح أنها مكية لعدم وجود سند صريح وصحيح يؤكد مدنيتهما سوى ما روي في شأن الآية (13) قال تعالى: "وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ" فقد جاء في تفسير مجّد الطاهر بن عاشور أنه: "ذكر الواحدي أخباراً عن أنس وابن عباس - رضي الله عنهما - أن هذه الآية نزلت في قضية عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة حين وردا المدينة يشترطان لدخولهما في الإسلام شروطاً لم يقبلها منهما النبي - ﷺ - فهم أريد بقتل النبي ﷺ، فصرفه الله، فخرج هو وعامر بن الطفيل قاصدين قومهما، وتواعدا النبي ﷺ بأن يجلبا عليه خيل بني عامر، فأهلك الله أريد بصاعقة أصابته، وأهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات وهو في بيت امرأة من بني سلول في طريقه إلى أرض قومه، فنزلت في أريد (يرسل الصواعق)، وفي عامر ( وهم يجادلون في الله )"<sup>2</sup>، وحيث أن الواقعة حدثت بعد هجرة الرسول إلى المدينة، فصنف بعضهم السورة ضمن القرآن المدني وهذه الواقعة في يقول مجّد الطاهر بن عاشور " ولم يثبت في ذلك خبر صحيح صريح، فلا اعتداد بما قالوه فيها، ولا يخرج السورة عن عداد السور المكية."<sup>3</sup>

### -تسمية السورة بالرعد:

<sup>1</sup> سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1985، ص53

<sup>2</sup> مجّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحوير و التنوير، ج13، ص104

<sup>3</sup> مجّد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ج13، ص104



تعتبر سورة الرعد من جملة السور التي وجد فيها تعالق شديد بين اسم السورة ومضمونها، حيث يعبر ابن أبي الإصبع عن لفظة (الرعد) في مدلولها المعجمي فيقول: "نجد كلمة (الرعد) مشتقة من "رَعَدًا" ومنه ارتعد والرعدة هي الرعدة التي تصيب الإنسان إذا تعرض جسمه لصدمة مفاجئة من برد أو مس كهربائي، تنقبض معه عضلات الجسم منعا للكهربة من التسرب إلى الخارج، وفي السورة الكثير من هذا المعنى"<sup>1</sup> فالعنى المعجمي له علاقة متينة مع السورة ألفاظا ومعان.

#### -المضمون الإجمالي للسورة:

- يدور موضوع سورة الرعد حول قضية كبرى هي "عقيدة التوحيد"-وتعتبر محور السور المكية عموما- وقد تضمنت مجموعة من القضايا الجزئية الهامة، وهي:
- بيان عظمة الخالق الصانع من خلال إدراج أو إحصاء بعض الآيات الكونية التي خلقها فأحكم صنعها، لمنح الإنسان مجالا للتأمل والتدبر بعقله في هذا الملكوت، فيكون في خضوع وانقياد دائم لإله واحد.
  - عرض لأقوال أهل الشرك بإنكارهم ليوم البعث وتعدد آلهتهم، ثم دحض مزاعمهم المضللة وذلك بإقامة الحجج والبراهين على عظمة الخالق الواحد الأحد وقدرته في خلق الكون وتسييره، وبيان عجز الآلهة المتعددة.
  - مقابلة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بأن يكون للفريق الأول حظ بنعم الله الدنيوية، ثم مأواهم الجنة وما ينتظرهم من نعم دائم وعد الله لا يخلف الله الميعاد، وأما الفريق الثاني وكان الأكثر حضورا في السورة، فقد بين الله عقابهم في الدنيا، وأن مأواهم جهنم جزاء لهم بما كانوا ينكرون ويكذبون.
  - تثبيت ودعم للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه مؤيد من الله، وأن دوره لا يتعدى تبليغ ما جاء في القرآن الكريم كما فعل الرسل من قبله، وإلى الله ترجع الأمور.

#### ✓ التحليل اللساني لسورة الرعد:

لقد أثبت علماء العربية منذ سنين خلت أن القرآن الكريم معجز في نظمه، ويظل هذا الإعجاز مستمرا في الزمان والمكان، فالنص القرآني بناء لغوي محكم النسيج، إن على مستوى الآية وإن على مستوى السورة، وهذا ما اصطاح عليه علماء النص بالتماسك النصي، والتحليل اللساني يتم على مجموعة من

<sup>1</sup> ابن أبي الإصبع المصري، المرجع السابق، ص34



المستويات أهمها: الصوتي والصرفي والنحوي و المعجمي والدلالي والتداولي، وللنص القرآني خصوصية ينفرد بها عن باقي الألسنة.

### 1- فاتحة السورة:

افتتحت السورة بقوله (الْمَر) وهي من الحروف المعجمة أو كما يسميها العلماء حروف التهجي، وهذه الحروف وإن لم يكن لها موقع في المعاجم اللغوية إلا أنها ذات دلالة مختلفة عند العلماء ومكانة خاصة في النص القرآني، مثلما سبق الإشارة إليه والأكثر من ذلك أنه تجزأ بها الصلاة، ويعتبر رأي ابن أبي الأصبغ المصري في دلالة حروف التهجي من أفضل الآراء مقربة للعقل، حيث أثبت دلالتها بمنهج رياضي لا يتنافى مع الشرع، وتظل من علامات الإعجاز الباني في القرآن الكريم.

لقد بدأت سورة الرعد ببيان أركان التواصل في الخطاب القرآني من مرسل ورسالة ومرسل إليه، قال تعالى: "الْمَرَّ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ" فالمرسل هو الحق تبارك وتعالى وجاء في الآية بلفظ الرَّبِّ، والرسالة هي القرآن الكريم وجاءت بلفظ الكتاب، أما المرسل إليه فهما نوعان: متلقي أول وهو مُحَمَّدُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و جاء هنا بضمير المخاطب الكاف في "رَبِّكَ"، ومتلق ثان وهم كل من عاصر النبي وما جاء بعده -حتى يرث الله الأرض و من عليها- وجاء المتلقي الثاني بلفظ الناس، وبهذا اكتملت عناصر التواصل، لكن قوله تعالى وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ يظهر أن المتلقي الثاني صنفان من الناس: طائفة لم تؤمن بالكتاب وهم الكافرون، وتمثل الكثرة من الناس، وطائفة مؤمنة بالكتاب وهي الأقلية، ودلّ عليه بمفهوم المخالفة في نص الآية، لذلك فإنَّ التواصل لم يتحقق بالنسبة للطائفة الأولى، أما التحليل النصي للسورة، فيعتمد نظرية الاتساق لـ (هاليداي) للكشف تماسكها.

المستوى النحوي: (الإحالة-الوصل-الحذف)

رقم الآية	عدد الروابط	العنصر الاتساق في الإحالة العنصر السابق في الوصل	نوع الإحالة نوع الوصل	العنصر المفترض في الإحالة العنصر اللاحق في الوصل
01	7	تِلْكَ	إح.إش.بعديّة	ءَايَةُ الْكِتَابِ (السورة)
		وَالَّذِي	إح.ض.قبلية	أُنزِلَ إِلَيْكَ
		أُنزِلَ (هو)	إح.ض.قبلية	الْكِتَابِ

		إح.ض.مقامية	إِيَّاكَ - رَبِّكَ		
	رسول الله - صل الله عليه و سلم	0	إح.ض.قبلية	لَا يُؤْمِنُونَ (هم)	
	التَّائِس	0	إح.ض.قبلية		
		(و) و.إضافي	وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ ( الآية 1، 2)		
		وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ( الآية 3/1)	(وَلَكِنَّ)	وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ( الآية 3/1)	
		و.عكسي			
		إح.ض.قبلية	الَّذِي		
	رَفَعَ	1	إح.ض.قبلية	رَفَعَ (هو)	
	اللَّهِ	0	إح.ض.قبلية	تَرَوْنَهَا (ها)	
	السَّمَوَاتِ	0	إح.ض.قبلية	أَسْتَوَى (هو)	13 02
	اللَّهِ	1	إح.ض.قبلية	وَسَخَّرَ (هو)	
	اللَّهِ	1	إح.ض.قبلية	يَجْرِي (هما)	
	السَّمْسِ وَالْقَمَرِ	0	إح.ض.قبلية	يُدْبِرُ (هو)	
	اللَّهِ	1	إح.ض.قبلية	يُقْضَى (هو)	
	اللَّهِ	1	إح.ض.قبلية	لَعَلَّكُمْ (كم)	
	التَّائِس	1	إح.ض.قبلية	رَبِّكُمْ (كم)	
	التَّائِس	1	إح.ض.قبلية	تُوقِنُونَ (أنتم)	
	التَّائِس	1	إح.ض.قبلية		
		(ثم) و.زمني	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا (الآية 1/2)		
	أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ( الآية 2/2)				
		(و) و.إضافي	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا (الآية 1/2)		
		إح.ض.قبلية	هُوَ		
	اللَّهُ	2	إح.ض.قبلية	الَّذِي	
	مَدَّ الْأَرْضَ	2	إح.ض.قبلية	مَدَّ (هُوَ)	
	اللَّهُ	2	إح.ض.قبلية	جَعَلَ (هُوَ)	
	اللَّهُ	2	إح.ض.قبلية		
	الْأَرْضَ				

0	إح.ض.قبلية	فِيهَا (ها)	03	14
0	إح.ض.قبلية	جَعَلَ (هُوَ)		
2	إح.ض.قبلية	فِيهَا (ها)		
2	إح.ض.قبلية	يُعْشَى (هُوَ)		
1	إح.إش	ذَلِكَ		
0	إح.ض.قبلية	يَتَفَكَّرُونَ (هم)		
هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا (الآية 1/3)		(و) و.إضافي	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا الْآيَةَ 1/2	
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا (2/3)		(و) و.إضافي	هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ (الآية 1/3)	
وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ (3/3)		(و) و.إضافي	هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ (الآية 1/3)	
الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٌ... يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ (1/4/3)		(و) و.إضافي	هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ (الآية 1/3)	
0	مختلفات الألوان و المناابت <sup>1</sup>	حذف	04	7
0	مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَحَّتْ	إح.ض.قبلية		
3	اللَّهُ جَل و علا	إح.ض.قبلية		
0	أَعْنَبٍ وَرَزْغٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَايِرٌ صِنَوَانٍ	إح.ض.قبلية		
2	(وَفِي الْأَرْضِ... فِي الْأَكْلِ)	إح.إش		
1	قَوْمٌ	إح.ض.قبلية		
وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ (الآية 4)		(و) و.إضافي	وَجَحَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَرَزْغٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَايِرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ (الآية 3)	
1	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ	إح.مقامية	5	17
0	الْكَافِرُونَ (خارج النص)	إح.مقامية		
0	الْكَافِرُونَ (خارج النص)	إح.مقامية		
0	الْكَافِرُونَ	إح.مقامية		
3	الْقَاتِلِينَ (إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)	إح.إش قبلية		
1		إح.ض.بعديّة		

محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، تونس، ج13، ص86 / (قرينة الحذف: نفضل بعضها على بعض في الأكل<sup>1</sup>)

كَقَرُوا بِرَبِّهِمْ	1	إح.مقامية	الَّذِينَ		
الكافرون	3	إح.تكرارية	بِرَبِّهِمْ (هم)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	1	إح.ض.قبلية	أُولَئِكَ		
الكافرون	3	إح.تكرارية	أَعْتَقَهُمْ (هم)		
أصحاب النار	0	إح.ض.قبلية	أُولَئِكَ		
أصحاب النار	0	إح.ض.قبلية	هُمْ		
النار			فِيهَا (ها)		
وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (الآية 5)		(و).و.إضافي	وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ( الآية 1)		
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ (الآية 1/7)			وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ( الآية 1)		
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ (الآية 1/7)			وَإِن تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (الآية 5)		
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ (الآية 3/7)		(و).و.إضافي	وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ( الآية 1)		
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ (الآية 3/7)			و قد خلت من قبلهم المثلاث (الآية 2/7)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	2	إح.ض.قبلية	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ (هم)		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	2	إح.مقامية	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ (ك)		
الأمم	0	إح.ض.بعدية	وَقَدْ خَلَّتْ (هي)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	2	إح.ض.قبلية	قَوْلِهِمْ (هم)	7	6
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	2	إح.ض.مقامية	رَبِّكَ (ك)		
النَّاسِ	1	إح.ض.قبلية	ظَلَمِهِمْ (هم)		
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (الآية 4/7)		(و).و.إضافي	وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ (3/7)		
كَقَرُوا	3	إح.بعدية	الَّذِينَ		
آيَةٌ	0	إح.بعدية	أُنزِلَ		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	3	إح.مقامية	عَلَيْهِ (هـ)	9	7
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	3	إح.مقامية	رَبِّهِ (هـ)		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	3	إح.مقامية	أَنْتَ		

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ (1/8)	(و) و.إضافي	وَأَنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ (الآية 5)	
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ (1/8)	(و) و.إضافي	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْمَسِيئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ (الآية 1/7)	
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ (1/8)	(و) و.إضافي	وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (الآية 3/1)	
وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (الآية 3/8)	(و) و.إضافي	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ (الآية 2/8)	
(قومك.....للحق) <sup>1</sup>	حذف	قومك.....للحق	
اللَّهِ	4	إح.ض.قبلية	يَعْلَمُ (هو)
تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى	0	إح.ض.بعديّة	مَا
تَغِيضُ الْأَرْحَامَ	0	إح.ض.بعديّة	مَا
تَزْدَادُ	0	إح.ض.بعديّة	مَا
اللَّهِ	4	إح.ض.قبلية	عِنْدَهُ (الهاء)
وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ (الآية 2/9)	(و) و.إضافي	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى (الآية 1/9)	
وَمَا تَزْدَادُ (الآية 3/9)	(و) و.إضافي	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى (الآية 1/9)	
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (4/9)	(و) و.إضافي	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى (الآية 1/9)	
النَّاسِ	2	إح.ض.قبلية	مِنْكُمْ (كم)
أَسْرَ	0	إح.ض.بعديّة	مَنْ
جَهَرَ	0	إح.ض.بعديّة	مَنْ
الْقَوْلَ	0	إح.ض.قبلية	بِهِ (هـ)
مُسْتَحْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ	0	إح.ض.بعديّة	مَنْ هُوَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ (الآية 2/11)	(و) و.إضافي	مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ (الآية 1/11)	
وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (الآية 4/11)	بمعنى (أو)	وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفٍ بِاللَّيْلِ (3/11)	
مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفٍ	1	إح.ض.قبلية	لَهُ (هـ)
بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ	1	إح.ض.قبلية	يَدِيهِ (هـ)
مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ... وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ	1	إح.ض.قبلية	خَلْفِهِ (هـ)
	0	إح.مقامية	

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 95

يَحْفَظُونَهُ (هم)	إح.ض.قبلية	1	جند من الملائكة
يَحْفَظُونَهُ (هـ)	إح.ض.بعديّة	0	مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ... وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ
مَا	إح.ض.قبلية	5	جند من الملائكة
لَا يُغَيِّرُ (هو)	إح.ض.بعديّة	2	اللَّهِ
مَا	إح.ض.قبلية	2	قَوْمٌ
حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا (هم)	إح.ض.بعديّة	0	قَوْمٌ
مَا	إح.ض.قبلية	0	بِأَنْفُسِهِمْ
لَهُ (هـ)	إح.ض.قبلية	2	سُوءًا
لَهُمْ (هم)	إح.ض.قبلية	5	قَوْمٌ
دُونِهِ (هـ)			اللَّهِ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (الآية 4/7)			وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقَوْمِ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ (الآية 4/12)
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمِهِ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (الآية 3/12)	(و) و.إضافي		وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقَوْمِ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ (الآية 4/12)
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقَوْمِ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ (4/12)	(و) و.إضافي		وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِثْلُ وَآلِ (الآية 5/12)
وَهُمْ يُجَادِلُونَ (ك) أو (كم)	حذف المفعول		(ك) أو (كم) يقصد النبي أو المسلمين <sup>1</sup>
هُوَ	إح.ض.قبلية	6	اللَّهِ
الَّذِي	إح.ض.بعديّة	0	يُرِيكُمْ أَلْبَاقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
يُرِيكُمْ (هو)	إح.ض.قبلية	6	اللَّهِ
يُرِيكُمْ (كم)	إح.ض.قبلية	4	الذين كفروا
وَيُنشِئُ (هو)	إح.ض.قبلية	6	اللَّهِ
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا (1/2)	(و) و.إضافي		وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (الآية 2/13)
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَاقَ خَوْفًا وَطَمَعًا (1/13)			وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (الآية 2/13)
يُحَمِّدُهُ (هـ)	إح.ض.قبلية	7	اللَّهِ
خِيفَتِهِ (هـ)	إح.ض.قبلية	7	اللَّهِ

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص 105.

7	إح.ض.قبلية	وَيُرْسِلُ (هو)	13	13
7	إح.ض.قبلية	فَيُصِيبُ (هو)		
0	إح.ض.قبلية	بِهَا (ها)		
0	إح.ض.بعدية	مَنْ		
7	إح.ض.قبلية	يَشَاءُ (هو)		
5	إح.ض.قبلية	هم		
7	إح.ض.قبلية	هُوَ		
وَيُسِخِرُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (الآية 1/14)		(و) و.إضافي	وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ (الآية 2/13)	
وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ (الآية 2/14)		(و) و.إضافي	وَيُسِخِرُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (الآية 1/14)	
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ (الآية 3/14)		(و) و.إضافي	هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَاقًا وَأَمْطَعًا (1/13)	
فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ (الآية 4/14)		(ف) و.سببي	وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ (الآية 3/14)	
8	إح.ض.قبلية	لَهُ (هـ)	11	14
0	إح.ض.بعدية	الَّذِي		
8	إح.ض.قبلية	دُونِهِ		
0	إح.مقامية	لَا يَسْتَجِيبُونَ (هم)		
6	إح.ض.قبلية	لَهُمْ (هم)		
0	إح.مقارنة(ك)	كَبِيطٍ كَفَيْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ		
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ (الآية 2/15)		(و) و.عكسي	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ (الآية 1/15)	
وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ (الآية 4/15)		(و) و.سببي	كَبِيطٍ كَفَيْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ (3/15)	
وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (الآية 6/15)		(و) و.إضافي	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ (الآية 1/15)	
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا (1/16)		(و) و.إضافي	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ (الآية 1/15)	
7	إح.ض.قبلية	قل (أنت)		
7	إح.ض.قبلية	قل (أنت)		
7	إح.ض.قبلية	قل		

الذين كفروا	7	إح.ض.قبلية	أفأخذتم (أنتم)	18	16
الله	9	إح.ض.قبلية	من دونه (هـ)		
الآلهة	1	إح.ض.قبلية	لا يملكون (هم)		
الآلهة	1	إح.ض.قبلية	لأنفسهم (هم)		
الكافر	7	إح.ض.قبلية	قل (أنت)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	8	إح.ض.قبلية	جعلوا (هم)		
الآلهة المتعددة	1	إح.ض.قبلية	خَلَقُوا (هم)		
الله	10	إح.ض.قبلية	كَلَّفَهُ (هـ)		
الله	10	إح. مقارنة	كَلَّفَهُ (الكاف)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	8	إح.ض.قبلية	عَلَيْهِمْ (هم)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	8	إح.ض.قبلية	قُلْ (أنت)		
الْوَحْدُ الْقَهْدُ	0	إح.ض.بعدي	هُوَ		
هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ (الآية 5/17)		(أم) و.إضافي	هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ( الآية 4/17)		
جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه (الآية 1/18)		(أم) و.إضافي	قُلْ أَفَأَتَّخِذُهُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا (3/17)		
فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ (2/18)		(ف) و.إضافي	جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ (الآية 1/18)		
الله	11	إح.ض.قبلية	أَنْزَلَ (هو)	12	17
أُودِيَةٌ	0	إح.ض.قبلية	فَسَأَلَتْ (هي)		
أُودِيَةٌ	0	إح.ض.قبلية	بِقَدْرِهَا (ها)		
يُوقِدُونَ	0	إح.ض.بعدي	وَمِمَّا (ما)		
المعادن	0	إح.ض.مقامية	عَلَيْهِ (هـ)		
يَنْفَعُ النَّاسَ	0	إح.ض.بعدي	مَا		
مَا يَنْفَعُ النَّاسَ	0	إح.ض.قبلية	فَيَمَكُّتُ (هو)		
فَسَأَلَتْ أُودِيَةٌ بِقَدْرِهَا (الآية 2/19)		(ف) و.إضافي	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ( الآية 1/19)		
فَأَحْتَمَلَ السَّبِيلَ زَبَدًا رَابِيًا ( الآية 3/19)		(ف) و.إضافي	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ( الآية 1/19)		





	4	يُؤْفُونَ (هم)	إح.ض. بعدية	0	الْمُتَّقُونَ
		وَلَا يَنْقُضُونَ (هم)	إح.ض. بعدية	0	الْمُتَّقُونَ
		الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ (الآية 1/22)	(و) و.إضافي		وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْتُقَ (الآية 2/22)
	21	الَّذِينَ	إح.ض. بعدية	0	يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ... سُوءَ الْحِسَابِ
	9	يَصِلُونَ (هم)	إح.ض. بعدية	1	الْمُتَّقُونَ
		مَا	إح.ض. بعدية	0	أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
		بِهِ (الهاء)	إح.مقامية	0	صله الأرحام و القرابة
		وَيَحْشَوْنَ (هم)	إح.ض. بعدية	1	الْمُتَّقُونَ
		رَبَّهُمْ (هم)	إح.ض. بعدية	1	الْمُتَّقُونَ
		وَيَخَافُونَ (هم)	إح.ض. بعدية	1	الْمُتَّقُونَ
		وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ	(و) و. إضافي		(الآية 21)
	22	الَّذِينَ	إح.ض. بعدية	0	صَبَرُوا
		صَبَرُوا (هم)	إح.ض. بعدية	2	الْمُتَّقُونَ
		رَبَّهُمْ	إح.ض. بعدية	2	الْمُتَّقُونَ
		وَأَقَامُوا (هم)	إح.ض. بعدية	2	الْمُتَّقُونَ
		وَأَنْفَقُوا	إح.ض. بعدية	2	الْمُتَّقُونَ
		مِمَّا	إح.ض. بعدية	0	رَزَقْنَهُمْ
		رَزَقْنَهُمْ (هم)	إح.ض. بعدية	2	الْمُتَّقُونَ
		وَيَذَرُونَ (هم)	إح.ض. بعدية	2	الْمُتَّقُونَ
		أُولَئِكَ	إح.إشارية	5	الْمُتَّقُونَ
		لهم (هم)	إح.مقامية	0	وَالَّذِينَ.....بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ
		وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ (الآية 24)	(و) وصل إضافي		
		يَدْخُلُونَهَا (هم)	إح.ض. بعدية	0	الْمُتَّقُونَ
		يَدْخُلُونَهَا (ها)	إح.ض. قبلية	0	جَنَّاتٍ عَدْنٍ
			إح.ض. بعدية	0	

			مَنْ						
		إح.ض.بعديّة	صلح من آبائهم..... و ذريّتهم	0					
		إح.ض.بعديّة	أَبَائِهِمْ (هم)	0					
23	9	إح.ض.بعديّة	وَأَزْوَاجِهِمْ (هم)	0					
		إح.مقاميّة	وَذُرِّيَّتِهِمْ (هم)	0					
		إح.ض.بعديّة	يَدْخُلُونَ (هم)	0					
		إح.ض.بعديّة	عَلَيْهِمْ (هم)	0					
جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ / الآية 23 (و) . و. إضافي									
		إح.ض.بعديّة	عَلَيْكُمْ (أنتم)	0					
		إح.ض.بعديّة	يَمَّا	0					
24	3	إح.ض.بعديّة	صَبَرْتُمْ (أنتم)	0					
		إح.ض.بعديّة	الَّذِينَ	0					
		إح.ض.قبلية	يَنْقُضُونَ (هم)	10					
		إح.ض.قبلية	مِيثَاقَهُ	13					
		إح.ض.قبلية	وَيَقْطَعُونَ (هم)	10					
		إح.ض.بعديّة	مَا	0					
		إح.ض.قبلية	بِهِ (هـ)	0					
		إح.ض.قبلية	وَيُفْسِدُونَ (هم)	10					
		إح.إش.قبلية	أُولَئِكَ	6					
		إح.ض.قبلية	لَهُمْ (هم)	0					
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ. ( الآية 25 ) (و) . و. إضافي									
		إح.ض.قبلية	يَبْسُطُ (هو)	14					
		إح.ض.بعديّة	مَنْ	0					
		إح.ض.قبلية	يَشَاءُ (هو)	14					
		إح.ض.قبلية	وَيَقْدِرُ (هو)	14					
		إح.ض.قبلية	وَفَرِحُوا (هم)	11					
26	7								

	الَّذِينَ كَفَرُوا								
		وَيَقْدِرُ (الآية 2/26)	(و) و.إضافي		اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ (الآية 1/26)				
		الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَنَعَ (الآية 4/27)	(و) و.إضافي		وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا (الآية 3/26)				
	كَفَرُوا	12	إح.ض.بعديّة		الَّذِينَ				
	آية	0	إح.ض.بعديّة		أُنزِلَ				
	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	5	إح.مقامية		عليه				
	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	5	إح.مقامية		رَبِّهِ (هـ)				
	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	5	إح.مقامية		قل (أنت)				
	اللَّهِ	15	إح.ض.قبلية		يُضِلُّ (هو)				
	يشاء و يهدي إليه من أناب	0	إح.ض.بعديّة		مَنْ	12	27		
	اللَّهِ	15	إح.ض.قبلية		يَشَاءُ (هو)				
	اللَّهِ	15	إح.ض.قبلية		وَيَهْدِي (هو)				
	اللَّهِ	15	إح.ض.قبلية		إِلَيْهِ (هـ)				
	آتَابَ	0	إح.ض.بعديّة		مَنْ				
		وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (الآية 3/27)	(و) و.إضافي		يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ (الآية 2/27)				
	ءَامِنُوا	3	إح.ض.بعديّة		الَّذِينَ				
	الْمُتَّقُونَ	3	إح.ض.بعديّة		قُلُوبُهُمْ (هم)	3	28		
		وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ (2/28)	(و) و.إضافي		الَّذِينَ ءَامِنُوا (الآية 1/28)				
	ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	0	إح.ض.بعديّة		الَّذِينَ				
	الْمُتَّقُونَ	4	إح.ض.بعديّة		ءَامِنُوا (هم)	4	29		
	الْمُتَّقُونَ	4	إح.ض.بعديّة		وَعَمِلُوا (هم)				
	الْمُتَّقُونَ	4	إح.ض.بعديّة		لَهُمْ (هم)				
		وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (الآية 2/30)	(و) و.إضافي		الَّذِينَ ءَامِنُوا (الآية 1/30)				
	اللَّهِ	16	إح.ض.قبلية		أَرْسَلْنَاكَ (نا)				
	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	6	إح.مقامية						

أمم	1	إح.ض.بعديّة	أَرْسَلْنَاكَ (ك)	17	30
أُمَّةٌ	1	إح.ض.قبلية	خَلَّتْ (هي)		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	6	إح.مقامية	قَبِيلَهَا (ها)		
أُمَّةٌ	1	إح.ض.قبلية	لِتَسْتَلُوا (أنت)		
أَوْحَيْنَا	0	إح.ض.بعديّة	عَلَيْهِمْ (هم)		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	6	إح.مقامية	الَّذِينَ		
الَّذِينَ كَفَرُوا	13	إح.ض.قبلية	إِيَّاكَ (ك)		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	6	إح.مقامية	وَهُمْ		
رَبِّي	0	إح.ض.بعديّة	قُلْ (أنت)		
إِلَهَ	0	إح.ض.قبلية	هُوَ		
اللَّهِ	16	إح.ض.قبلية	هُوَ		
مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	6	إح.مقامية	عَلَيْهِ		
اللَّهِ	16	إح.ض.قبلية	تَوَكَّلْتُ		
			وَأِلَيْهِ		
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ (الآية 2/30)		(و) و.إضافي	كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ (الآية 1/30)		
وَأِلَيْهِ مَتَابٍ (4/30)		(و) و.إضافي	عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ (3/30)		
الْجِبَالُ	0	إح.ض.بعديّة	سُورَتْ (هي)	19	31
قُرْآنًا	2	إح.ض.قبلية	بِهِ		
الأرض	1	إح.ض.بعديّة	قُطِعَتْ (هي)		
قُرْآنًا	2	إح.ض.قبلية	بِهِ		
الموتى	0	إح.ض.بعديّة	كُتِبَ		
قُرْآنًا	2	إح.ض.قبلية	بِهِ		
ءَامِنُوا	5	إح.ض.بعديّة	الَّذِينَ		
اللَّهِ	17	إح.ض.بعديّة	لَهَدَى (هو)		
كفروا	14	إح.ض.بعديّة	الَّذِينَ		

			تُصِيبُهُمْ (هم)	إح.ض.قبلية	14	الَّذِينَ كَفَرُوا
			بِمَا	إح.ض.بعديّة	0	صَنَعُوا
			تَحُلُّ (هي)	إح.ض.قبلية	0	قَارِعَةً
			دَارِهِمْ (هم)	إح.ض.قبلية	14	الَّذِينَ كَفَرُوا
			لَا يُخْلِفُ (هو)	إح.ض.قبلية	17	اللَّهِ
		كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ (الآية 1/30)	(و) و.إضافي	وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ (الآية 1/31)		
		وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ (الآية 1/31)	(أو) و.إضافي	أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ (الآية 2/31)		
		أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ (الآية 2/31)	(أو) و.إضافي	أَوْ كُفِّرَ بِهِ الْمَوْتَى (3/31)		
		وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ (الآية 1/31)	(و) و.إضافي	وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً (5/31)		
		لكان هذا القرآن بالغا ذلك و لكن ذلك ليس من شأن الكتب	حذف قولي جواب "لو"	"لكان هذا القرآن بالغا ذلك و لكن ذلك ليس من شأن الكتب" <sup>1</sup>		
		وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً (الآية 5/31)	(أو) و.إضافي	أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ (6/31)		
32	8	قبلك أمليتُ (ت) ضمير المتكلم الذين أخذتهم (ت) ضمير المتكلم أخذتهم (هم)	إح.مقامية إح.ض.قبلية إح.ض.بعديّة إح.ض.قبلية إح.ض.قبلية	7 18 15 18 15	محمد رسول الله الله كفروا الله الَّذِينَ كَفَرُوا	
		كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ (الآية 1/30)	(و) و.إضافي	وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ (الآية 1/32)		
		وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ (الآية 1/32)	(ف) و.إضافي	فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا (الآية 2/32)		
		فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا (الآية 2/32)	(ثم) و.إضافي	ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ (الآية 3/32)		
		أَقَمَنَّ هُوَ	إح.ض.بعديّة	0	قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ (الله)	
		ما	إح.ض.بعديّة	0	كسبت	
		وَجَعَلُوا (هم)	إح.ض.قبلية	16	الَّذِينَ كَفَرُوا	

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص 143

شركاء	0	إح.ض.قبلية	سَمُوهُمْ (هم)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	16	إح.ض.قبلية	تُبَيِّنُونَهُ (أنتم)		
اللَّهُ	19	إح.ض.قبلية	تُبَيِّنُونَهُ (هـ)		
لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ	0	إح.ض.بعديّة	ما		
اللَّهُ	19	إح.ض.قبلية	لَا يَعْلَمُ (هو)		
كَفَرُوا	16	إح.ض.بعديّة	لِلَّذِينَ	16	33
الَّذِينَ كَفَرُوا	16	إح.ض.قبلية	مَكَرُهُمْ (هم)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	16	إح.ض.قبلية	وَصَدُّوا (هم)		
يُضِلُّ اللَّهُ	0	إح.ض.بعديّة	وَمَنْ		
وَمَنْ يُضِلُّ	0	إح.ض.قبلية	له (هـ)		
أمر بظهير من القول ( الآية 5/33)		(أم)و.إضافي	أمر تبينونه بما لا يعلم في الأرض (الآية 4/33)		
بل زين للذين كفروا مكرهم (7/33)		(بل)و.عكسي	وجعلوا لله شركاء (2/33)		
وصدوا عن السبيل ( الآية 8/33)		(و)و.إضافي	بل زين للذين كفروا مكرهم (الآية 7/33)		
الَّذِينَ كَفَرُوا	17	إح.ض.قبلية	لَهُمْ (هم)	5	
الَّذِينَ كَفَرُوا	17	إح.ض.قبلية	لَهُمْ (هم)		
ولعذاب الآخرة أشق (2/34)		(و)و.إضافي	لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (1/34)		
وما لهم من الله من واق ( الآية 3/34)		(و)و.إضافي	ولعذاب الآخرة أشق ( الآية 2/34)		
عذاب: حذف مضاف بقريته ما ذكر قبله <sup>1</sup>		حذف اسمي	و ما لهم من (عذاب) الله من واق		
وَعِدَ الْمُتَّقُونَ	0	إح.ض.بعديّة	أَنِّي		
الْجَنَّةِ	0	إح.ض.قبلية	تَحْتَهَا (ها)	5	35
الْجَنَّةِ	0	إح.ض.قبلية	أَكْلِهَا		
الْجَنَّةِ	0	إح.ض.قبلية	وَوَطَّئَهَا		
الْجَنَّةِ	0	إح.ض.قبلية	تِلْكَ		
اتَّقُوا	0	إح.ض.بعديّة	الَّذِينَ		

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص 155

تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَتَقَوْا (الآية 2/35)		(و) و. إضافي		وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (3/35)	
الذين	0	إح.ض. بعدية	0	آتيناهم	
يفرحون (هم)	0	إح.ض. قبلية	0	الذين آتينهم الكتاب	
ما	0	إح.ض. بعدية	0	أُنزِلَ	
إليك	8	إح.مقامية	8	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	
من	0	إح.ض. بعدية	0	يُنْكِرُ	
بعضه (هـ)	1	إح.ض. قبلية	1	الكتاب	
قل (أنت)	8	إح.مقامية	8	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	
أمرت (أنا)	8	إح.مقامية	8	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	
أعبد (أنا)	8	إح.مقامية	8	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	17 36
وَلَا أُشْرِكُ (أنا)	8	إح.مقامية	8	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	
بِهِ (هـ)	20	إح.ض. قبلية	20	اللَّهِ	
إِلَيْهِ (هـ)	20	إح.ض. قبلية	20	اللَّهِ	
أَدْعُوا (أنا)	8	إح.مقامية	8	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	
إِلَيْهِ (هـ)	20	إح.ض. قبلية	20	اللَّهِ	
وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ 1/36		(و) و. إضافي		وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُكْفِرُ بَعْضَهُ (الآية 2/36)	
قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ (الآية 3/36)		(و) و. إضافي		وَلَا أُشْرِكُ بِهِ (الآية 4/36)	
أَنْزَلْنَاهُ (نا)	21	إح.ض. قبلية	21	اللَّهِ	
أَنْزَلْنَاهُ (هـ)	2	إح.ض. قبلية	2	الْكِتَابَ	
اتَّبَعْتَ (أنت)	9	إح.مقامية	9	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	7 37
أهواءهم (هم)	18	إح.ض. قبلية	18	الَّذِينَ كَفَرُوا	
مَا	0	إح.ض. بعدية	0	جَاءَكَ	
لَكَ (ك)	9	إح.مقامية	9	مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ	
وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ (الآية 1/36)		(و) و. إضافي		وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا (الآية 1/36)	



38	7	أَرْسَلْنَا (نا) قَبْلِكَ (ك) وَجَعَلْنَا لَهُمْ (هم) أَنْ يَأْتِيَ (هو)	إ.ح.ض.قبلية إ.ح.مقامية إ.ح.ض.قبلية إ.ح.ض.قبلية إ.ح.ض.قبلية	22 9 22 0 9	اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ رُسُلًا مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ
		وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَذَابًا (الآية 1/36) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ (الآية 1/38)	(و).و.إضافي (و).و.إضافي	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ (الآية 1/38) وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (الآية 2/38)	
39	5	مَا يَشَاءُ (هو) وَيُثَبِّتُ (هو) وَعِنْدَهُ	إ.ح.ض.بعديّة إ.ح.ض.قبلية إ.ح.ض.قبلية إ.ح.ض.قبلية	0 23 23 23	يَشَاءُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ
		يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ (الآية 1/39)	(و).و.إضافي	وَيُثَبِّتُ (الآية 39 وَيُثَبِّتُ/2)	
40	10	نُرِيَنَّكَ (ك) الَّذِي نَعِدُهُمْ (هم) نَتَوَفَّيَنَّكَ (نحن) نَتَوَفَّيَنَّكَ (ك) عَلَيْكَ (ك) وَعَلَيْنَا (نا)	إ.ح.مقامية إ.ح.ض.بعديّة إ.ح.ض.قبلية إ.ح.ض.قبلية إ.ح.مقامية إ.ح.مقامية إ.ح.ض.قبلية	10 0 19 24 10 10 24	مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ نَعِدُهُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ
		يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (الآية 39)	(و).و.إضافي	وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (الآية 40)	
		نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ (1/40)	(أو).و.إضافي	أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ (2/40)	
		فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ (3/40)	(و).و.إضافي	وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (4/40)	

أَوَلَمْ يَرَوْا (هم)	إح.ض.قبلية	20	الَّذِينَ كَفَرُوا	41	10
أَنَا (نا)	إح.ض.قبلية	25	اللَّهُ		
نَأْتِي (نحن)	إح.ض.قبلية	25	اللَّهُ		
نَنْقُصُهَا (نا)	إح.ض.قبلية	25	اللَّهُ		
نَنْقُصُهَا (ها)	إح.ض.قبلية	2	الْأَرْضَ		
أَطْرَافِهَا (ها)	إح.ض.قبلية	2	الْأَرْضَ		
يَحْكُمُ (هو)	إح.ض.قبلية	25	اللَّهُ		
لِحُكْمِهِ (هـ)	إح.ض.قبلية	25	اللَّهُ		
وَهُوَ	إح.ض.بعديّة	25	سَرِيعُ الْحِسَابِ		
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا (1/41)	(و).و.إضافي	وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ (2/41)			
الَّذِينَ	إح.ض.بعديّة	0	مِنْ قَبْلِهِمْ	42	6
قَبْلِهِمْ (هم)	إح.ض.قبلية	21	الَّذِينَ كَفَرُوا		
يَعْلَمُ (هو)	إح.ض.قبلية	26	اللَّهُ		
مَا	إح.ض.قبلية	0	تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ		
وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (1/42)	(ف).و.إضافي	قَلِيلَ الْمَكْرُ جَمِيعًا (2/42)			
يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ (3/42)	(و).و.إضافي	وَسَيَعْلَمَ الْكَفُورُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ (4/42)			
الَّذِينَ	إح.ض.بعديّة	22	كَفَرُوا	43	6
قُلْ (أنت)	إح.مقامية	11	مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ		
بَيْنِي (ي)	إح.ض.قبلية	11	مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ		
وَبَيْنَكُمْ (كم)	إح.ض.قبلية	22	الَّذِينَ كَفَرُوا		
مَنْ	إح.ض.بعديّة	0	عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ		
عِنْدَهُ	إح.ض.قبلية	27	اللَّهُ		
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (2/43)	(و).و.إضافي	وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (3/43)			

تحليل و مناقشة:

لما أظهره الجدول من أرقام يتضح أن البناء اللغوي للسورة على مستوى الشكل متماسك وشديد

الاتساق، فالآيات مترابطة بعضها مع بعض كالبنيان المرصوص تشدّه الوسائل النحوية التالية:

- الربط بطريق الوصل كان حاضرا بقوة سواء داخل الآية (بين جملها)، أو بين الآيات، فلا تنتقل من آية إلى أخرى إلا عبر (الواو) العاطفة، فقد وصلت حالات الوصل بها أكثر من 90 حالة، وتنوع الربط بالوصل بين الوصل الإضائي والعكسي والسببي والزمني.

وثمة مواضع في السورة تمّ الربط فيها بطريق آخر غير الوصل سواء داخل الآية كقوله تعالى ﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ ۝ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ۝ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، أو بين الآيات كقوله تعالى: (...وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ ۚ مِنْ وَالٍ (11) ۝ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا...) هذا يسميه البلاغيون بالفصل أو القطع، بحيث يحقق غياب الأداة الواصلة بين الآيات والجمل داخل الآيات تماسكا في بناء السورة أكثر من وجودها، وهذا يدخل ضمن خصائص البلاغة القرآنية، والكثير من آيات السورة ابتدأت بدون وصل، انظر إلى قوله تعالى في بداية الآية 30 (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) لم توصل بما قبلها فكان موضع فصل وقطع، بينما في بداية الآية 38 قال تعالى (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا)، فوصلت بالآية التي قبلها بالأداة (الواو)، وهذا الاختلاف ليس أمرا اعتباريا، ولكن له مقصد وغاية، عن الأولى يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره: "هذا الجواب عن قولهم - لولا أنزل عليه آية من ربه - فيجوز جعل هذه الجملة من مقول القول، ويجوز جعلها مقطوعة عن جملة - قل إن الله يضل من يشاء<sup>1</sup>، في حين أن الصيغة الثانية التي جاءت مقترنة بالواو، فهي معطوفة على جملة سابقة « وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ»، وتضمنت أمرا ثانيا وهو أن الكتاب الموجه للناس، يتضمن أيضا حكما عربيا وهو شريعة الله في الأرض ولا يتبع الأهواء، فاحتاج الجمع بينهما إلى الوصل بالأداة الواو.

- غير أن هناك الواو التي تقع بين الآيات ولا تؤدي وظيفة الربط والوصل، وهي كثيرة ومتنوعة، منها: الواو التي اعتبرها المفسرون وعلماء العربية (واو الاستئناف)، بحيث يتدئ بعدها معنى جديد يختلف عن الجملة أو الآية السابقة، قال تعالى: « وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ»، يرى محمد الطاهر أنّ: "الواو للاستئناف، وهذا استئناف ابتدائي انتقل به إلى فضل لبعض أهل الكتاب في حسن تلقيهم للقرآن، بعد الفراغ من ذكر أحوال المشركين"<sup>2</sup>، كذلك واو الحال في قوله: «وَهُمْ «يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ»، لذلك يميز النحاة بين المعنى النحوي للأداة وبين وظيفتها في السياق، فالمعنى النحوي لـ(الواو) هو الجمع

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج13، ص139.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص 157.

والاشتراك في الحكم والإعراب، بينما وظيفتها ودورها في العطف فهو الربط بين الجمل، وهي التي تسهم في تماسك النص في الشكل والدلالة.

- كما ساهم الربط بطريق الإحالة بدرجة كبيرة في تماسك السورة، فقد أسندت الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة إلى أربعة فئات، لتدلّ على عناصر التواصل في الخطاب القرآني، وهذه الفئات هي على التوالي حسب الظهور والحضور في السورة، الذات الإلهية وفئة الكافرين والرسول مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفئة المؤمنين.

○ أولاً: بالنسبة للذات الإلهية فدلّ عليها لفظ الجلالة "الله" وتمت الإحالة إليه من خلال بعناصر إحالية مختلفة، وهي: ضمير الغيبة المنفصل (هو) والمتصل (هـ)، وضمير المتكلم المتصل (نا، ت)، وقد توزعت هذه العناصر عبر كامل السورة من بدايتها إلى نهايتها، وهذا ما أسهم في تماسك السورة من جهة واستمرارية في حضور الذات الإلهية باعتبارها محور النص وغايته.

○ ثانياً: فئة الكافرين، فقد تم التعبير عنهم في السورة بلفظ "الذين كفروا" ثم تواصل ذكرهم في السورة من خلال مكونات إحالية ضميرية ربطت بين الآيات والجمل في علاقة مرجعية مع العنصر المشار إليه سلفاً "الذين كفروا" لتسجّل حضوره في مواقف مختلفة على الشكل التالي: ضمير المتكلم في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّأْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ و هذا حكاية عنهم بالقول وضمير المخاطب في قوله تعالى ﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ غير حضورهم في هذا الموضوع ليس فعلياً وإنما مساءلة الغرض منها نفي الشرك وإفراده عز وجلّ بالألهية، أمّا ضمير الغيبة (هم)، فقد كانت له الغلبة في علاقة المرجعية بالذين كفروا داخل السورة.

○ ثالثاً: الرسول مُحمَّد صل الله عليه و سلم، فقد ذكر في أول آية من السورة و تواصلت الإحالة إليه في مواقف متعددة منها وختمت السورة بذكره أيضاً، وفي كل ذلك لم يذكر بلفظ صريح يدل عليه، وإنما عن طريق الإضمار، فلم تكن الإحالة إليه نصية وإنما مقامية أي خارج النص، فهو حاضر في ذهن المتلقي بالقوة بسبب معرفة المتلقي بهذا العالم معرفة تداولية، كما أحيل إليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمجموعة من القرائن اللفظية، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (كاف) المخاطب في (إليك) و(ربك) تحيل إلى مُحمَّد صل الله عليه وسلم، وهو العنصر المشار إليه ولم يذكر صراحة في السورة، لكن القرينة اللفظية (أُنزِلَ) و(ربك) تدلّ على أنّ الكتاب وهو القرآن الكريم منزّل على شخص واحد، هو النبي فعدم ذكره صراحة في النص وإنما بقرائن لغوية يجعل النص أكثر تماسكاً.

○ رابعاً: فئة المؤمنين كانت أقل تداولاً في السورة مقارنة مع فئة الكافرين وهذا أمر طبيعي، فموضوع السورة متعلق بعقيدة التوحيد، وتواصل المؤمنين مع هذه العقيدة كان خضوعاً مطلقاً لله، جاء ذكرهم بلفظ "أولوا الألباب" ثم بلفظ "المتقون"، كما أشير إليهم عن طريق ضمير الغيبة "هم".

- الربط بأسماء الإشارة وقع في مواضع متعددة من السورة وتنوع بين (تلك وذلك وأولئك)، فقد جاء استعمال أسماء الإشارة في هذه السورة لغايتين، الأولى هو الربط بين مقدمة ونتيجة، والغاية الثانية هي الدلالة على أمر عظيم فانظر في المواضع التالية:

✓ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فقد سبقت هذه الآية قدرة الله على خلق أمور عظيمة كخلق السموات والشمس والقمر والأرض وما حوت من راسي وأنهار وتسيير أمور كونية، فهذه الأمور تدعو إلى نتيجة جلية للعيان وهي دعوة الإنسان للتفكير والتدبر في هذا الخلق العظيم الذي لا يقدر عليه إلا إله واحد، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

✓ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، فجاء المكوّن الإحالي (أُولَئِكَ) ليربط بين قول الكافرين الذي ورد في الآية السابقة والمتضمنة تكذيبهم بيوم البعث، فكانت النتيجة ما ذكرته الآية من العقاب.

✓ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾، فعدم استجابة الكافرين في الآية التي تسبقها، تؤدي إلى نتيجة حتمية وهي سوء الحساب و فيه إشارة إلى أمر عظيم.

✓ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبٌ أَلَدٌ﴾، في المقابل يذكر الله تعالى قبل هذه الآية أفعالاً تثبت عبودية فئة من الناس وخضوعهم لله، ثم أتت هذه الآية نتيجة حتمية بالبشارة وحسن العقابة.

✓ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، كانت هذه الآية نتيجة للذين يقومون بأفعال بعيدة عن مقصدية الشارع وقد ذكرت في الآية السابقة.

ومن خصوصيات الاستعمال القرآني أن يتم الربط بين الجمل من خلال مكوّنين إحاليين مختلفان في الطبيعة النحوية، يحيلان إلى نفس المرجع كقوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ)، وهذا دليل على بلاغة القرآن الكريم وتميزها، ومنه أيضاً اجتماع ضمير الغائب مع الاسم الموصول في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوَافًا وَطَمَعًا) و(وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِإِلْتِهَادِهِ وَاسْتَرْبِيءَ بِالتَّهَارِ)، (هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا)

والجمع بين المبهمات يفسره الغرض البلاغي الذي يقصده الشارع باستعمال الشدة مع الفئة الأولى، وتعظيم الذات الإلهية وقدرتها على الخلق، وهذه الاستعمالات لها تأثير كبير في تماسك النص.

كما ظهرت في السورة الإحالة بالمقارنة من خلال تصوير فني تظهر فيه كفاءة إعلامية مميزة تجعل المتلقي يميز بين الحق الذي يضلُّ قائماً، وبين الباطل الذي يذهب جفاء، قال تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)، هنا ينقل السيوطي عن قتادة قوله: "هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد، كما اضمحلّ هذا الزبد فصار جفاء لا ينفع به ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأمرعت ونمت بركته، وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار، وذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله، وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله"<sup>1</sup>.

ومن مظاهر التماسك في التعبير القرآني أيضاً: الإيجاز، ويكون إما بالقصر وهو استعمال اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير، وإما بتوظيف آلية الحذف، ففي قوله تعالى: "الْأَرْضُ قَطْعٌ مَّتَجَوْرَتْ" حذف يقول عنه ابن عاشور: "وليس وصف القطع بالمتجاورات مقصوداً بالذات في هذا المقام (...). بل المقصود وصف محذوف دلّ عليه السياق تقديره: مختلفات الألوان والمنابت، ودلّ عليها قوله تعالى: (وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ)"<sup>2</sup>. فقد اهتدى المفسر إلى تقدير الكلام المحذوف بالرجوع إلى السياق المقالي وهو القرينة اللغوية المذكورة في نفس الآية للاستدلال على العنصر اللغوي المحذوف، وتبين مدى تأثيره في ترابط النص.

وجاء حذف في قوله تعالى: "وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ" والتقدير: إن تعجب من عدم إيمانهم بأن القرآن منزل من الله، فعجب إنكارهم البعث<sup>3</sup>، فيظهر أثر السياق المقامي في الاستدلال على العنصر اللغوي المحذوف، لكون سياق الموقف يتعلق بإنكار المشركين المكذبين للأهمية والبعث، والآيات التي سبقتها تعد قرائن لغوية تثبت المحذوف تقديراً، وحذف آخر في قوله تعالى ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤﴾﴾ والتقدير: يقولون والقرينة اللغوية هي (سلام عليكم).

❖ المستوى المعجمي: (التكرار – التضام)

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي البيجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1988، ص467

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص86

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ص90

ثم تأتي المرحلة الثانية في التحليل النصي للسورة وتعلق بالمعجم المستعمل فيها ودرجة تنوعه، من

خلال ما يتضمنه هذا الجدول الذي يوضح الاتساق من خلال عنصري التكرار و التضام.

العنصر الاتساق	نوعه	تكرار تضام	العنصر الاتساق
آية (7) ج2 و (27) ج2، (38) ج3 الآيات (1) ج7 قرآنا (31) ج1 قرآنا (31) ج1	إعادة اللفظ ع/جزء- كل شبه ترادف	تكرير تضام تكرير	آيات الكتاب (1) ج1 آيات الكتاب (1) ج1 الكتاب
آيات (4) ج5	إعادة اللفظ	تكرير	آيات (3) ج5
أنزل (7) ج2، (19) ج1، (27) ج1، (36) ج1 (37) ج1. تحلُّ (31) ج7	إعادة اللفظ شبه ترادف	تكرير	أنزل (3) ج3
الله (2) ج1 ربك (6) ج3 و (7) ج4، (16) ج1، (18) ج1، (19) ج1 (21) ج2، (22) ج1، (27) ج1، (30) ج4. إله (30) ج5	شبه ترادف إعادة اللفظ شبه الترادف	تكرير تكرير	ربك (1) ج3 ربك (1) ج3
الحق (14) ج1، (17) ج5، (19) ج1. الباطل (17) ج5	إعادة اللفظ ع/تضاد	تكرير تضام	الحق (1) ج3
(19) ج2	إعادة جملة	تكرير	أنزل إليك من ربك الحق
الناس (6) ج3، (17) ج7، (31) ج5 قوم (3) ج5، (4) ج4، (7) ج3، (11) ج3 أمة (30) ج1 خلق جديد (5) ج2	إعادة اللفظ شبه ترادف اسم عام اسم مطلق	تكرير	الناس (1) ج4
لم يستجيبوا (18) ج2	شبه ترادف	تكرير	

<p>لا يستجيبون(14)ج3 كفروا (7)ج1 استجابوا(18)ج1 آمنوا(29)ج1 يكفرون(30)ج3</p>	<p>شبه ترادف ع/تضاد</p>	<p>تضام</p>	<p>لا يؤمنون(1)ج4</p>
<p>الله(8)ج1،(11)ج2ج3ج4 (13)ج4،(15)ج1،(16)ج2،ج6،ج8 (17)ج5،ج8،(20)ج1،(21)ج1،(25)ج1،ج2 (26)ج1،(27)ج2،(28)ج1،ج2 (31)ج4ج5ج8ج9 (33)ج2ج7،(34)ج3 (36)ج3،(37)ج3،(38)ج3 (39)ج1،(41)ج2،(42)ج2 (43)ج2. ذو مغفرة(6)ج4،شديد العقاب (6)ج5 عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال(9) شديد المحال(13)ج5 الواحد القهار(16)ج8 الرحمن(31)ج4 سريع الحساب(41)ج3 شهيدا(43)ج2 يُدبّر(2)ج5 يُفصّل(2)ج6، تُفضّل(4)ج3، أملت(32)ج2</p>	<p>إعادة اللفظ شبه الترادف ع/السببية</p>	<p>تكرير تكرير تضام</p>	<p>الله(2)ج1 الله الله</p>
<p>السموات(16)ج1،(17)ج1. الشمس و القمر (2)ج3 ماء واحد(4)ج2</p>	<p>إعادة اللفظ ع/جزء- كل</p>	<p>تكرير تضام</p>	<p>السموات (2)ج1</p>



البرق(12)ج1،السحاب(12)ج2 الرعد(13)ج1،الصواعق الثقال(13)ج3			
الميعاد(31)ج9	شبه ترادف	تكرير	لقاء ربكم(2)ج7
رهم(22)ج1	ع/جزء- كل	تضام	وجه(22)ج1
أمر الله(11)ج2،الأمر(32)ج4،أمرت(37)ج4 إذن(39)ج3	إعادة اللفظ شبه ترادف	تكرير	الأمر(2)ج5
الأرض(4)ج1،(15)ج1 (16)ج1،(17)ج7،(18)ج2 (25)ج3،(31)ج2،(33)ج4،(41)ج1 رواسي و أنهار، الثمرات(3)ج2 قطع متجاورات(4)ج1 جنات(4)ج1، ترابا(5)ج1، الليل/ النهار(3)ج4 الجبال(31)ج1، الموتى(31)ج3، أطرافها(41)ج1	إعادة اللفظ ع/جزء- كل	تكرير تضام	الأرض(3)ج1
جعل(3)ج3، جعلوا(16)ج6،(33)ج2 جعلنا(38)ج2 يُنشئ(12)ج2، اتَّخَذْتُمْ(16)ج3	إعادة اللفظ شبه ترادف	تكرير	جعل(3)ج2
أعناب، زرع، نخيل صنوان/غير صنوان(3)ج2 الأكل(3)ج4	ع/جزء- كل ع/التضمن	تضام تضام	جنات(4)ج1
الماء(14)ج3، ماء(17)ج1	إعادة اللفظ	تكرير	ماء واحد
(41)ج1،(36)ج3 كل(2)ج4،(3)ج3،(8)ج1،(8)ج4، (39)ج4،(3)ج3،(34)ج1،(16)ج8،(23)ج2 جميعا(18)ج2،(31)ج4،(42)ج2	إعادة اللفظ ع/التضاد	تكرير تضام	بعض(4)ج3
يعقلون(4)ج4، يتذكر أولوا الألباب(19)ج2	شبه ترادف	تكرير	يتفكرون(3)ج5
عجب(5)ج1	إعادة اللفظ	تكرير	تعجب(5)ج1

الفصل الثالث قراءات في خصوصيات التعبير القرآني - سور وآيات قرآنية أنموذجاً

قولهم (5) ج 1	تكرير	إعادة اللفظ	يقول (7) ج 1، (27) ج 1، (43) ج 1 قل (16) ج 1 ج 2 ج 3 ج 4، (27) ج 2، (30) ج 4، (33) ج 2، (36) ج 3، (43) ج 2 القول (33) ج 5
قولهم	تضام	ع/تضمن	سلام عليكم (24) ج 1
خَلَقَ	تكرير	إعادة اللفظ	خَلَقُوا، خَلَقَهُ (16) ج 1 الخلق (16) ج 2، خَالِقَ (16) ج 3، كَفَّيَهُ (14) ج 3، أعناقهم (5) ج 3، فاه (14) ج 3 ظلالهم (15) ج 2
كفروا (8) ج 1	تكرير	إعادة اللفظ	(28) ج 1، (31) ج 4، (32) ج 5، (33) ج 2، (34) ج 6 (44) ج 1 الكافرين (15) ج 3، (36) ج 5 الكفَّار (43) ج 4. لم يستجيبوا (20) ج 2، استهزئ (32) ج 1، أشرك (37) ج 4 أصحاب النار (6) ج 3 آمنوا (29) ج 1، اتقوا (36) ج 3
الكافرين	تضام	ع/جزء - كل	أعناقهم (6) ج 2
يستعجلونك (7) ج 1	تكرير	شبه ترادف	يجادلونك (14) ج 4
السيئة	تكرير	إعادة اللفظ	السيئة (24) ج 4
الحسنة	تضام	ع/تقابل	الحسنة (7) ج 1
الحسنة	تكرير	إعادة اللفظ	الحسنة (24) ج 4
خلت من قبلهم (7) ج 2	تكرير	إعادة اللفظ	خلت من قبلها (31) ج 2
المثالات (7) ج 2	تكرير	شبه ترادف	الأمثال (19) ج 8

الفصل الثالث قراءات في خصوصيات التعبير القرآني - سور وآيات قرآنية أنموذجاً

شيء (9) ج4	تكرير	إعادة اللفظ	شيء (15) ج3، (18) ج3
يَعْلَمُ (9) ج1	تكرير	إعادة اللفظ	يَعْلَمُ (21) ج1، يَعْلَمُ (43) ج3، سَيَعْلَمُ (43) ج4
	تكرير	شبه ترادف	يَأْتِسُ (32) ج5،
	تضام	ع/تضاد	لَا يَعْلَمُ (34) ج4
أَسْرًا	تضام	ع/تضاد	جَهَرَ (11) ج1
مستخف بالليل	تضام	ع/تضاد	سارِبَ بِالنَّهَارِ (11) ج2
بين يديه	تضام	ع/تضاد	مِنْ خَلْفِهِ (12) ج1
معقبات	تكرير	إعادة اللفظ	مُعَقَّبٌ (42) ج3
	تضام	ع/عام. خاص	الملائكة (13) ج2، (25) ج3
من دونه (12) ج1	تكرير	إعادة اللفظ	مِنْ دُونِهِ (17) ج3
وال (12) ج4	تكرير	إعادة اللفظ	أَوْلِيَاءَ (17) ج3، (38) ج2
أولياء		شبه ترادف	شُرَكَاءَ (18) ج1، شُرَكَاءَ (34) ج2
يريكم (13) ج1	تكرير	إعادة اللفظ	نَزَيْتِكُ (41) ج1
	تضام	ع/تضاد	لَمْ يَرَوْا (42) ج1
يُغَيِّرُ	تكرير	إعادة اللفظ	يُغَيِّرُوا
أنفس	تكرير	إعادة اللفظ	أَنْفُسٍ (17) ج3، نُفُوسٍ (34) ج1 (43) ج3
دَعْوَةٌ	تكرير	إعادة اللفظ	يَدْعُونَ (15) ج2، دَعَاءُ (15) ج5، أَدْعُوا (37) ج5
يُضِلُّ (28) ج2	تكرير	إعادة اللفظ	يُضِلُّ (34) ج7، ضَلَّالٌ (15) ج4
	تضام	ع/تضاد	يَهْدِي (28) ج3، هَدَى (32) ج6
بأسط	تكرير	إعادة اللفظ	يَسِطُ
يبلغ	تكرير	إعادة اللفظ	بِالْغَةِ (15) ج4
أن أعبد/ لا أشرك (37) ج3	تضام	ع/جزء- كل	يَسْجُدُ (16) ج1، أَدْعُوا (37) ج4، تَوَكَّلْتُ (31) ج5
طوعاً	تضام	ع/تضاد	كُرْهًا (16) ج1
الغدو (16) ج2	تضام	ع/تضاد	الْأَصَالُ (16) ج2

نفعاً	تضام	ع/تضاد	ضراً(17)ج3
يَسْتَوِي	تكرير	إعادة اللفظ	تَسْتَوِي(17)ج4
الأعمى	تكرير	إعادة اللفظ	أعمى(21)ج1
	تضام	ع/تضاد	البصير(17)ج4
الظلمات	تضام	ع/تضاد	النُّور(17)ج4
زيدا رايبا(19)ج3	تكرير	إعادة اللفظ	زيد مثله(19)ج4، الزيد(19)ج6
متاع(19)ج5	تكرير	إعادة اللفظ	متاع(27)ج4
مثله(19)ج3	تكرير	إعادة اللفظ	مثله(20)ج2
كذلك(19)ج5	تكرير	إعادة اللفظ	كذلك(19)ج8 كذلك(31)ج1
أنهارا	تكرير	إعادة اللفظ	الأنهار(36)ج2،
		شبه ترادف	أدوية(19)ج2، السيل(19)ج3
يذهبُ	تضام	ع/تضاد	يمكث(19)ج7
يضرب(19)ج5	تكرير	إعادة اللفظ	يضرب(19)ج7
رزقناهم(24)ج3	تكرير	إعادة اللفظ	الرزق(26)ج1
الحسنى	تكرير	شبه ترادف	جَنّاتِ عدن(25)ج1، الجنّة(36)ج1
	تكرير	إعادة اللفظ	عقبى الدار(25)ج5
	تضام	ع/التضمن	الأنهار، أكلها دائم، ظلّها(36)ج2
	ع/تضاد		سوء الدار(26)ج5، جهنم، النَّار(36)ج4
جَنّاتِ عدن	تضام	جزء- كل	باب(25)ج3
نِعْمَ	تكرير	شبه ترادف	طوبى(30)ج1
نِعْمَ	تضام	ع/التضاد	بيس(20)ج5
عقبى(36)ج3	تكرير	إعادة اللفظ	عقبى(36)ج4
عقبى الدّار	تكرير	إعادة اللفظ	عقبى الدّار(25)ج5،(43)ج4
هادٍ(8)ج4	تكرير	شبه ترادف	هاد(34)ج7، منذر(8)ج3

رسول(39)ج3			
خَلَقَ(5)ج4	اسم عام	تكرير	
الأرحام(9)ج2	ع/جزء- كل	تضام	أنثى
تزداد(9)ج3	ع/تضاد	تضام	تغيض
نقصها(42)ج2	شبه ترادف	تكرير	
أجل كتاب(39)ج4	شبه ترادف	تكرير	أجل مسمى
مقدار(9)ج4، بقدرها(19)ج2	اسم عام		
يَقْدِر(27)ج2			
يشاء(27)ج1، (28)ج3، (32)ج5 (40)ج1	إعادة اللفظ	تكرير	يشاء
أَرَادَ(12)ج4	شبه ترادف	تكرير	
ذكر(29)ج2	إعادة اللفظ	تكرير	ذَكَرَ
يسبِّح- بحمده(14)ج1	ع/جزء- كل	تضام	
مئاب(37)ج6	إعادة اللفظ	تكرير	حسن مئاب(30)ج1
سوء الحساب(23)ج2	إعادة اللفظ	تكرير	سوء الحساب
الحساب(41)ج4	إعادة اللفظ	تكرير	الحساب
تصبيهم(32)ج7	إعادة اللفظ	تكرير	يُصِيبُ(14)ج3
أرسلنا(38)ج1، أرسلناك(31)ج1	إعادة اللفظ	تكرير	يرسلُ
رسلا(38)ج1 رسل(33)ج1، مرسلا(44)ج1			
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه(25)ج1	ع/تقابل	تضام	يوفون بعهد الله لا ينقضون الميثاق(22)ج1و2
يقطعون ما أمر الله به(26)ج1	ع/تقابل	تضام	يصلون ما أمر الله به(23)ج1
صبرتم(25)ج4	إعادة اللفظ	تكرير	صبروا(24)ج1
يدخلون(25)ج3	إعادة اللفظ	تكرير	يدخلونها(25)ج1
يفسدون(26)ج3	ع/تضاد	تضام	صلح(25)ج2
كسبت(34)ج1	شبه ترادف	تكرير	صنعوا(32)ج6

الفصل الثالث قراءات في خصوصيات التعبير القرآني - سور وآيات قرآنية أنموذجا-

وعد(32)ج8	تكرير	إعادة اللفظ	نعدهم(41)ج1
مكرهم(34)ج6	تكرير	إعادة اللفظ	مكر(43)ج1، المكر(43)ج2
عذاب(35)ج1	تكرير	إعادة اللفظ	عذاب(35)ج2
	تكرير	شبه ترادف	سوء(12)ج3، عقاب(33)ج4، قارعة(عذاب)ج7، اللجنة(26)ج4
	تضام	ع/جزء- كل	خوفا(13)ج1، خيفته(14)ج2، يخافون(23)ج3
	تضام	ع/تضمن	الأغلال(6)ج2
الحياة الدنيا(27)ج2	تكرير	إعادة اللفظ	الحياة الدنيا(27)ج3،(35)ج1
	تضام	ع/تضاد	الآخرة(27)ج3،(35)ج2
من واق(35)ج3	تكرير	إعادة اللفظ	لا واق(38)ج2
آبائهم، أزواجهم، ذريّتهم(25)ج2	تكرير	إعادة اللفظ	أزواجاً، ذرية(39)ج2
رسلا	تضام	ع/عام. خاص	آبائهم(25)ج2
تطمئن قلوبهم(29)ج1	تكرير	إعادة اللفظ	تطمئن القلوب(29)ج2
عملوا الصالحات(30)ج1	تضام	ع/تضمن	أقاموا الصلاة و أنفقوا سرا و علانية و يدرءون بالحسنة السيئة(24)ج1 ج2 ج3
جميعا(32)ج4	تكرير	إعادة اللفظ	جميعا(32)ج6
حتى يأتي(32)ج7	تكرير	إعادة اللفظ	أن يأتي(40)ج3، ناتي(42)ج1
حُكِّمًا(38)ج1	تكرير	إعادة اللفظ	يُحْكَم، حُكِّمِه(42)ج2
قرآنا(32)ج1	تكرير	شبه ترادف	حكماً عربياً(38)ج1

- تحليل ومناقشة:

لقد شملت السورة على العموم كل أشكال التكرار سواء كان كلياً بإعادة اللفظ مع وحدة المرجع مثل (الله، الرب، الأرض، السموات، الدنيا، الآخرة، كفروا، آمنوا، ...)، أو إعادة اللفظ مع اختلاف المرجع مثل (آية، الدار، كتاب، ..)، وتكراراً جزئياً ويكون بطريق الاشتقاق مثل (مقدار، بقدره، يقدر)، (يدعون، دعاء، أذعو)، (يضلل، ضلال) (هدى، يهدي)، ثم التكرار بألية شبه الترادف وهو كثير، كما ورد في السورة تكرر الجملة في قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ).

وقضية الترادف في القرآن فيها نظر عند مجموعة من العلماء فالجمهور لا يقر بوجوده في القرآن، إذ أن النص القرآني متميز بدقة متناهية في اختيار ألفاظه، فلكل لفظة مدلولها وسياقها النصي الذي من أجله وجدت أو توقعت في مكان مخصوص دون غيرها من الألفاظ التي قد يخيل للمتلقي أنها تكافئها معنى، لذا أشير إليه في جدول الاتساق المعجم بلفظ ( شبه الترادف)، يقول الخطابي: " ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة) يقصد البلاغة القرآنية) التي تجمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنت والصفة، وكقولك اقعد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن، ونحوها من الأسماء، والأفعال، والحروف، والصفات"<sup>1</sup>، غير أن علماء الأصول يميزون الترادف في المعجم وينكرونها في التركيب والاستعمال، يقول الزركشي في البرهان: " فعلى المفسر مراعاة مجاري الاستعمالات، والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين مع الآخر في التركيب، واتفقوا على جوازه في الأفراد"<sup>2</sup>، فللسياق النصي يجعل للكلمة دلالة مستقلة عن مرادفات الموجودة في المعجم، فإذا كان للفظ الخوف مرادفات متعددة في المعجم نحو ( خشية، فرع، وجل، جزع، هيبة، إتقاء، إرتعاب، جبن، هلع، وجس،...)، فإن استعمالها النصي يضيق من دلالاتها المتعددة ويقصرها على دلالة وحيدة ومعنى مقصور على ذلك الاستخدام بعينه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد 21]، يستخرج الزركشي الفروق الدقيقة بين الخشية والخوف، " فإن الخوف من الله لعظمته، يخشاه كل أحد كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالما بالحساب، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب"<sup>3</sup>

كما استخراج القروق الدقيقة لبعض الألفاظ الشائعة التي استخدمها القرآن الكريم (الشح والبخل)، (الغبطة والمنافسة)، (السبيل والطريق)، (العود والجلوس)، فالترادف موجود على مستوى المعجم فإذا دخلت الألفاظ السياق النصي زال الترادف و استقلت اللفظة بدلالة ومعنى مخصوص.

ذكر محمد خطابي نقلا عن هاليداي ورقية حسن قولهم حول علاقة الاتساق التي تنشأ داخل النص من خلال وسيلة الاتساق المعجمي أن " الأمر في الاتساق المعجمي لا يعني مع ذلك أن هناك عناصر معجمية لها دائما وظيفة اتساقية، كل عنصر معجمي يمكن أن يؤسس علاقة اتساق، لكن العنصر في ذاته لا يحمل أية إشارة عما إذا كان مشتغلا اتساقيا أم لا، إن الاتساق يمكن أن يتأسس فقط بالإحالة إلى

<sup>1</sup> الخطابي،(بيان إعجاز القرآن) المرجع السابق، ص29

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 68

<sup>3</sup> بدر الدين الزركشي، المرجع نفسه، ص69

### الفصل الثالث قراءات في خصوصيات التعبير القرآني – سور وآيات قرآنية أنموذجاً

النص<sup>1</sup> والملاحظ بعد عملية الوصف على المستوى المعجمي للسورة أن جميع العناصر المعجمية التي تضمنتها السورة دخلت في علاقة مع بعضها سواء بواسطة التكرير أو التضام، إذ أن نسبة تكرار الألفاظ سواء بإعادة اللفظ أو بشبه الترادف أو بالاسم العام أو بالمطلق فاقت نسبة العلاقات التي تنشأ بالتضام، لأن التكرار يزيد بشكل واضح في تماسك النص، فهو يبرز موضوع النص أو تيمته، أما التضام فقد ظهر من خلال علاقات اتساقية مختلفة منها: علاقة الجزء من الكل، علاقة التضمن، علاقة التضاد، علاقة التقابل، وهذا التنوع في العلاقات الأمر يجعل الآيات متسقة ومتضامة بعضها إلى بعض، وتسهم في الدلالة على موضوعها الكلي المتمثل في عقيدة التوحيد

يبدو أن للآليات النحوية والمعجمية دور مهم في تماسك النص بمفهوم هاليداي ورقية حسن، فقد كانت البنية النصية للسورة غنية ودسمة وتمامسكة بأدواتها النحوية والمعجمية، كما أنهما لم يغفلا أهمية السياق حينما عرفا النص أنه: "وحدة لغوية في طور الاستعمال<sup>2</sup>، فعبراً عن علاقة ترابط النص بمجموعة من العناصر منها الزمان والمكان والمخاطبين وكل الظروف التي تدخلت في إنتاجه وإبراز دلالاته المقصودة، وهذه العناصر تكون في مجموعها ما يسمى بالسياق.

#### المستوى الصوتي:

يتميز البناء اللغوي للسورة بوجود فواصل قرآنية يجذب إليها القارئ أو المتلقي بسبب إيقاعها موسيقي المددش عند نهاية كل آية، غير أن السورة تتضمن تنوعاً في فواصلها على النحو التالي:

- حرف النون في الآيات الخمس الأولى من السورة، فقد انتهت كل آية بهذا الحرف، كما في قوله تعالى: "يؤمنون، توقنون، يتفكرون، يعقلون، خالدون".
- حرف "الباء" في خمس عشرة آية تنتهي بقوله - تعالى - : "العقاب، الأبواب، الحساب، باب، مآب، متاب، عقاب، مآب، كتاب، الكتاب، الحساب، الكتاب".
- حرف "الدال" في أربع آيات تنتهي بقوله تعالى: "هاد، المهاد، الميعاد، هاد".
- حرف "الراء" في ثمان آيات، ختمت بقوله تعالى: "بمقدار، النهار، القهار، الدار، الدار، النار، الدار".
- حرف "اللام" فقد وردت في سبع آيات، انتهت بقوله تعالى: "المتعالم، وال، الثقال، المحال، ضلال، الأصال، الأمثال".

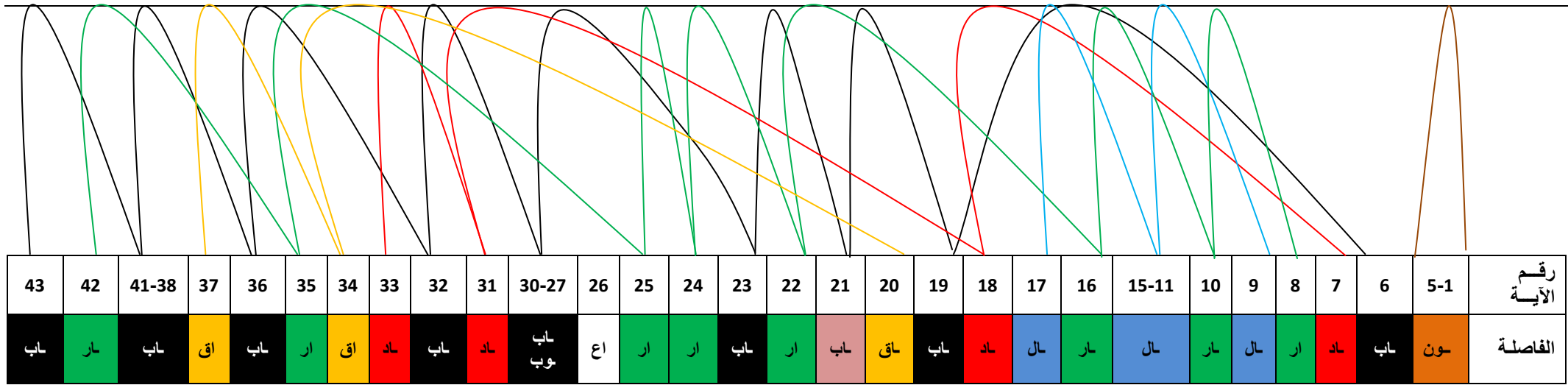
<sup>1</sup> محمد خطابي، المرجع السابق، ص 238

<sup>2</sup> Halliday (M.A.K) & Ruquaya Hassan. language context and text. Aspects of language in social semiotic, 1989, p37



- حرف "العين" في آية واحدة فقط، هي قوله - سبحانه - : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: 26].
- حرف "القاف" في ثلاث آيات، تمثلت في الألفاظ التالية: "واق، واق، الميثاق".

ومما يأسر الأسماع ويجذب القلوب ويشنف الأذان أن جميع الفواصل التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة يُوقَف عليه بالسكون مسبقاً بحرفي مد، هما: الألف والواو، وذلك علامة على وحدة الجرس في حرف الروي وما قبله؛ لأن للسكون بعد المد وقعاً تراتح له الأذن.



- رسم تخطيطي لنظام الفواصل في سورة الرعد -

- 1- تكرر حرف النون في الآيات الخمس الأولى من السورة، ولم يتكرر بعد ذلك.
- 2- حرف الباء كان الأكثر حضوراً في الفواصل، فجاء به مرة متتالياً في الآيات (27-28-29-30) و في الآيات (38-39-40-41)، و مرة أخرى متفرقا و كان آخر فاصلة ختمت بها السورة.
- 3- تميزت كل الفواصل بمقاطع مغلقة تنتهي بحرف روي متغير يقف القارئ فيه على سكون، ويسبق السكون مد بالألف، واجتماعها يحقق انسجاماً صوتياً في جميع الآيات.

وهناك ظاهرة تستوقف الباحث المتأمل في نظم الفواصل في هذه السورة الكريمة، فنجد الآيتين والثلاث آيات والأربع آيات تتوالى على حرف واحد أو روي واحد، ثم يُقطع هذا التوالي للفاصلة بحرف آخر أو بفاصلة أخرى، ولكن القارئ أو السامع سيجد نفسه بعد قليل، وقد عاد إلى الفاصلة التي سبقت، وهذا لا يخل بنظام الفواصل، لأنّ تناسب الحروف في مخارجها، وانسجامها مع المد الناشئ في آخر كل آية ينشأ عنه نغم موسيقي ممتد عبر كل مقطع يجعل المقاطع متشابهة، من جهة أخرى فإن الفاصلة تتبع السياق الذي تدل عليه الآية، وكل تغير في الفاصلة له سببه الدلالي الذي يجعلها متمكنة في ذلك الموضع، فرغم تعدد الفواصل داخل هذه السورة إلا أن الإيقاع المتوازن للفواصل ظل قائماً من حيث التناسق الصوتي في الشدة واللين والتفخيم والترقيق، وجمال النظم في السورة شكّل بناءً منسجماً متماسكاً تأخذ كل آية بأختها، وتدُلُّ أولياتها على أُخرياتها.

### قصدية الشارع في تماسك السورة:

ومما يحقّق التّصية معيار قصدية المتكلم، وهذا المظهر اقترحه دي بوجراندي في نموذجه الإجرائي، لكن الإمام الشّاطبي سبق إليه من خلال نظرية المقاصد في النّص القرآني، ووضع لها مجموعة من الشروط، يقول مُجَدِّد مفتاح: " ما يكمن ويحكم من معتقدات ومقاصد وأهداف... فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة. و بناء على هذا، فإنه ينحل من هذا القول ثلاثة عناصر أساسية هي: المخاطب، والمخاطب وظروف التنزيل، أو ما عبر عنه الشاطبي بالمقاصد ومقتضيات الأحوال"<sup>1</sup>، فيظهر أن التباين بين البحث في القصدية في منظور النظرية اللسانية وفي النص القرآني كما درسها علماء الأصول حيث استدلوا على قصدية الشارع في النص القرآني بآليات مختلفة منها:

- "معرفة أسباب ورود النص وظروفه ومناسبته

- مراعاة الخصائص المعهودة في أقوال العرب وعاداتها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة ورود النص

- عدم الاقتصار على القرآن حين الاستنباط منه دون النظر في شرحه، وبيانه وهو السنة.

- النظر إلى النص نظرة كلية تلمّ الأجزاء إلى بعضها، ولا تأخذ بأطراف العبارات دون النظر فيما وراءها

- مراعاة ربط فهم النص بتغير العادات، و تغير الأحوال و الأزمان لفهمه على الوجه الأمثل"<sup>2</sup>

وعن قصدية الشارع في سورة الرعد يقول مُجَدِّد الطاهر بن عاشور: "أقيمت هذه السورة على أساس

إثبات صدق الرسول - ﷺ - فيما أوحى إليه من أفراد الله بالأهلية والبعث وإبطال أقوال المكذّبين، فلذلك

<sup>1</sup> مجد مفتاح، دينامية النص، ص 193

<sup>2</sup> صالح سبوعي، النص الشرعي و تأويله- الشاطبي أنموذجاً-، سلسلة كتاب الأمة، دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، ط1، فبراير 2007م

تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات موزعة على السورة بدءاً ونهاية<sup>1</sup>، فكانت النظرة الكلية للسورة هي الأساس الذي انطلق منه للخروج بهذه المقاصد، وتعدّ النظرة الكلية من المقولات اللسانية الحديثة التي ذكرها فاندايك في شرحه للبنية الكبرى والأبنية الصغرى وتيمة النص، وبهذا يكون الشاطبي وعلماء الأصول سباقون في استعمال هذا المفهوم للكشف عن المقاصد أو القصدية، ويكشف البحث عن مظاهر أخرى لتماسك النص القرآني استنبطها علماء الأصول، سواء في الاتساق النحوي أو الصوتي أو الانسجام الدلالي، تقوم الباحثة بذكرها في المباحث الموالية.

### المبحث الرابع: السياق و أثره في فهم النص القرآني

وظهر أنه كان لعلماء الأصول والمفسرون تحريجات ونظرات ثابتة في البرهنة على أن السورة وحدة لا تتجزأ من خلال اعتمادهم على مجموعة من المفاهيم النحوية والمعجمية والبلاغية، واهتموا بالسياق واستعانوا به في فهم النص القرآني واستدلوا به على قصدية الشارع و في معرفة الكثير من المسائل التي تبعد النصوص القرآنية عن كل تناقض وغموض، كما يعد أداة المتلقي في الكشف المحذوف، ومعرفة مواضع الربط بالوصل والفصل، وتشكل العلاقات الإحالية، فما المقصود بالسياق؟

### مفهوم السياق:

إن الحديث عن دلالة السياق عند علماء المفسرين والأصوليين هو حديث عن المنهج الضابط لصحة الفهم الديني للنص الشرعي، وقد تركز هذا المنهج على مستويين: لغوي، وغير لغوي، فالأول يركز في النص على بنية الآية القرآنية بحيث تكون متسقة نحويًا في تجاوز وحدتها المعجمية، مع اعتبار مبدأ التوارد، والحالة الإعرابية، وارتباطها بما سبقها ولحقها من الآيات، ليتبين قصدية الشارع المتكلم بالقرآن من خلال سياق النص فقط، وهناك بعض النصوص القرآنية تحتاج إلى عوامل أخرى غير لغوية ليصل المتلقي إلى دلالتها الصحيحة المقصودة، وهنا يتجاوز التحليل إلى المستوى الثاني، بحيث يراعى فيه الظروف والملابسات المحيطة بالنص من مقام الزمان والمكان، وحال المخاطب، والغرض الذي قام السياق لأجله، وغير ذلك مما يوصف بقرائن الحال، وهذا ما يسميه الأصوليون سياق الحال، يقول الشاطبي: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، والذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها... ولا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف..."<sup>2</sup>، فالغاية من فهم النص القرآن هو إدراك مقصود الشارع، وهذا

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج13، ص76  
<sup>2</sup> ردة الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ ص 141

لا يتم إلى بقراءة النص في علاقته مع سياقه الداخلي واتباطه بالنصوص الأخرى، و إما بالبحث في دلالة النص اعتماداً على سياق الحال أو الموقف.

وقد قسم علماء الأصول النص القرآني إلى أنواع حسب طبيعة النص والسياق الذي وردت فيه منعاً أي تناقض في النصوص، يقول ابن القيم: "السياق يرشد إلى تبيين الجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٩١﴾ كيف تجد سياقه يدل على الدليل الحقيق<sup>1</sup>، والسؤال المطروح: هل العزيز الكريم يذيقه الله العذاب الأليم؟ فهذا أمر يجافي المنطق من جهة، كما أن ورود الآية في سياق نص يتعلق بعذاب شخص معين مشيراً له بضمير المخاطب (ذق أنت)، سياق يجعل المتلقي يتصور في مخيلته الخزي والذلة والمهانة، لا العزة والكرامة، قبل ذلك، فقد استدل العلماء هذا التفسير انطلاقاً من سبب النزول، يقول السيوطي: "...لقي رسول الله - ﷺ - أبا جهل، فقال (إن الله أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى)، قال: فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت، ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أني أمنع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر، وأذله وغيّره بكلمته، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٩١﴾ " هذا يعطي الأولوية لسبب النزول باعتباره سياق غير لغوي (مقامي) في فهم النص القرآني عن أي سياق آخر.

#### أسباب النزول:

لقد أجمع علماء القرآن على أهمية أسباب النزول، ودورها في فهم النص القرآني، فهي تعد من المباحث المتعلقة بظروف التنزيل، وتدخل ضمن عناصر السياق المقامي، فلا يتمكن المتلقي من قراءة النص وفهمه إلا بها، ولا يكون الخطاب أو النص منسجماً إلا بمعرفتها، وقد أفرده بالتأليف جمع من العلماء، أشهرهم، الواحدي في كتابه (أسباب النزول)، والسيوطي في (لباب النقول في أسباب النزول)، ومن النصوص التي جاء فيها سبب النزول وذكرت في مؤلفات علوم القرآن:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٦﴾ المائدة [93]، هذا النص يتعلق بشرب الخمر، فيفهم المتلقي من قوله (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أنّ الخمر مباحة على المؤمنين، وفي الآية التي تسبق هذا النص نجدها محرمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩١﴾ المائدة [90]، فيتوهم أن هناك تناقضاً في النصوص و هذا يؤثر على الانسجام الداخلي للسورة، لكنه لو بحث في أسباب النزول أولاً لوجد أن الآية 93 من سورة المائدة تخص فئة من المؤمنين، و هم من وافته المنية قبل تحريم الخمر، فقد ذكر الإمام السيوطي سبب نزول الآية على النحو التالي: "... وهو أنّ أناساً قالوا لما حرّمت

<sup>1</sup> ردة الله الطلحي، المرجع نفسه، ص 140

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 230

الخمر: كيف بمن قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فنزلت<sup>1</sup>، فسبب النزول مكون تداولي يعمل على تماسك النص القرآني وانسجامه، فيزيل الغموض والإبهام عن الآيات فلا يظهر أي تناقض بينها، بل على العكس تنسم بالتكامل وتتجلى الوحدة الكلية للموضوع.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي يَدِينَنَ مِنَ الْمُجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُنْتَبِهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ الطلاق [4]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾﴾ البقرة [115]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ ﴿١٥٨﴾﴾ البقرة [158]

وقد طرحت إشكالية حول سبب النزول: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

لقد جمع الإمام السيوطي مجموع الآراء الفقهية التي تقول بالقاعدة الأصولية "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" باعتبارها قاعدة تجمع بين السياق و النظم القرآني، فاستند إلى مقولة ابن تيمية: "والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنما تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ، و الآية التي لها سبب معين: إن كان أمراً أو نهيًا فهي متناولة لذلك الشخص أو غيره ممن كان بمنزله، وإن كان خبراً بمدح أو ذم، فهي متناولة لذلك الشخص، ولمن كان بمنزله، انتهى"<sup>2</sup>، من الأمثلة التي سبقت في هذا السياق:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَأُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءَ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَأَحْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة [44]

فهذا نص في تكفير اليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فسياقها المقامي جاء مخصصاً في هذه الفئة من الناس، لكن النظر في نظمها وسياقها اللغوي نجده يحمل بعض القرائن اللغوية الدالة على العموم لا التخصيص، إذ في قوله (من لم يحكم بما أنزل الله) أدوات تفيده العموم (من)، وهي نكرة في سياق الشرط تقتضي العموم أيضاً، و بهذا تتجاوز الآية حدود التخصيص إلى العموم لكل من يتجاوز شريعة الله، قال شيخ الإسلام أبو السعود رحمه الله "ومن لم يحكم بما أنزل الله كائناً من كان دون المخاطبين خاصة، فإنهم مندوجون فيه اندراجاً أولياً، أي من لم يحكم بذلك مستهيناً به مكرراً له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاءً بيناً"<sup>3</sup>، و يظهر أن للسياق اللغوي تأثير مهم في تحويل سبب النزول ليكون قاعدة عامة على المسائل المشابهة في الحكم، والنصوص القرآنية كثيرة في عموم اللفظ وخصوص السبب.

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع السابق (الإتقان في علوم القرآن)، ص 72

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 74

<sup>3</sup> عبد القادر محمد الحسين، المرجع السابق، ص 713

لكن وجد السيوطي أن بعض النصوص لا يتعدى سبب نزولها إلى نصوص تحمل مسائل مشابهة لها كقوله تعالى ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الَّتَى الَذَى يُؤْتَى مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ الليل [17، 18] فقد نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، ولا يمكن أن تعمم للفظها، بل يبقى سبب نزولها خاصاً بها.

### المبحث الخامس: القيمة الصوتية للفواصل القرآنية ودورها في انسجام النص القرآني

تنوع الفواصل القرآنية تبعاً لحجم الآية بين الطويلة، والمتوسطة، والقصيرة

#### 1- الفاصلة القرآنية الطويلة:

تأخذ الفاصلة القرآنية في الآيات الطويلة سمة الاستقلال، بمعنى أنها تأتي بعد تمام معنى أو معان رئيسية في الآية، فتأتي تعليقا وتذييلا على ما سبقها من الكلام، وتؤدي حينئذ وظيفة التعليل أو الإنكار أو التوكيد أو الترغيب أو زيادة الإيضاح، وهي غالباً ما تكون في هذا النوع جملة مستوفية الأركان، ويغلب عليها طابع الاسم، وقد غلب على القرآن المدني هذا النوع من الآيات، ومنها آية الدين التي تصوّر جانباً في تشريع التعامل بالأموال، فأين هي الفاصلة في آية التداين؟ وما دورها في تماسك النص؟

آية التداين (282 من سورة البقرة) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَذَى إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَآيَكْتُبْ بَيْنَكُمُ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فليَكْتُبْ وَليملِلِ الَذَى عَلَيْهِ الَحَقُّ وَليتقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَذَى عَلَيْهِ الَحَقُّ سَفِيهَاً أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فليَمِلْ وَليهُ بِالْعَدْلِ وَأستشهدوا شهيدين من رجالكم فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأمرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وَلَا يَأْب الشهداء إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ للشَّهَادَةِ وَأَذِّنْ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ جَازَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأشهدوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفَعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَتعلمكم اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

البقرة [282]

من الأحكام التي تضمنها الآية الكريمة:

أولاً: إجازة التعامل بطريق التداين أو السلف، فيجوز لشخص أن يستدين مالا من غيره على أن يرجعه في أجل محدد سلفاً، وهذا يشير ضمناً إلى الابتعاد عن الربا، وقد حرمها الله تعالى بنص صريح.

ثانياً: وضع الله تعالى شروطاً لهذا النوع من التعاقد، وهي:

- أن يخضع للكتابة، فينشأ عقد بين الطرفين، أحدهم يدعى الدائن وهو المانح للمال، والثاني يدعى مدينا وهو المستدين للمال.

- أن يكتب عقد التداين شخص مختص بكتابة العقود "كاتب بالعدل"، وفي العصر الحالي يقوم بهذه المهمة كاتب يدعى الموثق، لكونه عارف وعالم بما يتطلبه العقد من التزامات وما يترتب من آثار على الطرفين.
- ينبغي أن تتوفر في المدین أهلية الأداء فلا يكون مجنوناً، وأهلية التصرف فلا يكون صغيراً لم يبلغ السن التي تؤهله للتصرف في الأموال ولا يكون محجوراً عليه، وهنا يبيح الشارع -تبارك و تعالی- لوليه أو الوصي عليه أن يقوم مقامه في كتابة الدين، ويصرح بمبلغ الدين أمام الكاتب.
- أن يحضر كتابة العقد شاهدين من الرجال، وهذا حفاظاً على الحقوق المالية للدائن، فإن تعذر حضور رجلان، أباح الشارع أن يشهد على العقد رجل وامرأتان، وفي هذا الشرط-وجود الشاهدين- يلزم الشارع عدم تخلف الأشخاص عن الشهادة إذا طلب منهم ذلك فكأنها صارت واجبة عليهم.
- أما قوله " سَمُّواْ أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيْرًا أَوْ كَبِيْرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ " يرى الزمخشري أن "الضمير في (تكتبوه) للدين أو الحق (صغيراً أو كبيراً): على أية حال كان الحق من صغر أو كبر، ويجوز أن يكون الضمير للكتاب، وأن يكتبوه مختصراً أو مشبعاً لا يخلوا بكتابته"<sup>1</sup>، أي أنه يطرح احتمالين الأول أن يكتب الدين سواء كان المبلغ صغيراً أو كبيراً، والاحتمال الثاني أن يتضمن عقد كتابة الدين كل التفاصيل التي تحفظ حقوق الدائن سواء أكانت مالية أو غير مالية (عينية) كي يسترجعها، ومن الأمور الواجب ذكرها، مبلغ الدين إذا كان مالا أو محل الدين إذا كان غير ذلك وهنا يجب تسمية الشيء ووصفه بصورة واضحة لا لبس فيها، تاريخ استيفاء الدائن لحقه باليوم والشهر والسنة، ذكر الشهود وكل ما يتعلق بهويتهم، الضامن أو الكفيل في حالة عدم وفاء المدین بالتزامه، وغيرها مما يشترطه الدائن.
- فكان هذا بيان التعامل بالتداين شرّعه الله تعالى، ليسود العدل بين الناس بالتزام الكتابة والشهادة حتى لا تضيع الحقوق وينتشر الأمن والأمان في مثل هذه المعاملات، ثم يستعمل أداة الاستثناء (إلا) ليخرج المعاملات التجارية الأخرى وكالبيع والشراء بحيث يمكن للناس الاستغناء عن الكتابة والشهادة لأن كلا الطرفين يستوفي حقه في حينه.
- وآخر حكم في كتابة الدين يتعلق بالكاتب والشاهد، فلا يجوز إلحاق الضرر بهما بأن يعطى الكاتب حقه ولا يكلف الشاهد مصاريف مجيئه خاصة إذا كان من بلد بعيد، أو أن يقوم كل من الكاتب والشاهد بأداء مهمتهما فلا يلحقان ضرراً بالأطرف فيمنح من أجل ذلك أي تحريف أو نقصان أو زيادة في هذه النوع من المعاملة.

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، الكشاف، ج1، ص513



وتختتم الآية بالفاصلة التالية: وَإِنْ تَفَعَّلُوا فِإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، جاءت الفاصلة في هذه الآية تحمل أربعة مقاطع يفرق بينها بطريق الوقف وبذلك تشابهت وتوافقت مع ما قبلها في طريقة العرض من ناحية الشكل، أما المحتوى فقد تضمنت معنى مستقلاً عما سبقها بحيث أن حذفها لا يحدث خللاً في شروط التدوين، لكون هذه الأخيرة اكتملت في قوله تعالى (وَلَا يُضَارَّ كِتَابُ اللَّهِ وَلَا شَيْهِيْدٌ)، فتضمنت النهي عن إلحاق الضرر بأي طرف في كتابة العقد سواء أكان دائناً أو مديناً أو شاهداً أو كاتباً وذلك باحترام شروط وإجراءات المعاملات المالية بين المتعاقدين حفاظاً على المصالح والحقوق، وفيها أمر بالتزام الصدق وتأكيد على أن الشارع وضع علم كل ذلك في كتابه العزيز، فالملاحظ وجود تعالق وانسجام بين مضمون الآية ومضمون الفاصلة بحيث جاءت الفاصلة تابعة للسباق النصي الذي جاءت فيه الآية، فكلاهما تصبان في وعاء واحد وهو العلم، فأورد في البداية شروط كتابة العقد المتعلق بالتدوين مفصلة حفظاً للحقوق من الضياع، ثم جاءت الفاصلة تذييلاً ينص على أن الإخلال بما ورد مسبقاً من كتابة الدين يعد خروجاً عن الشرع، ويؤكد مرة أخرى على أنه علم من الله مثل غيره من العلوم، ويزيد من قوة الارتباط بينهما بأن هذه المعاملات المالية جزء من علمه فهو العليم بكل شيء، فناسب ذكر اسمه العليم مضمون الآية.

## 2- الفاصلة القرآنية القصيرة:

أما في الآيات القصيرة، الفاصلة يكون موضعها رأس الآية، مكلمة لمعنى الآية، حيث ترتبط الفاصلة مع ما تقدمها من كلام في الآية وتدخل في علاقة إسناد نحوية معه، وليس لها سمة الاستقلال، تكون مشحونة بالإيقاع لفظاً ومعنى تولد لدى المتلقي شعوراً يحمل نغماً وموسيقى، ويغلب مجيء هذا النوع من الفواصل، في السور القصار و من أمثلتها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ الكوثر [3-1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ المسد [5-1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَكْهَةٌ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۝ وَالرِّجْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذَّبَانِ ۝ ﴾ الرحمن [13-1]

وعلى العموم فإن الفواصل بأنواعها تشكل مظهراً لتماسك السورة من خلال اطرادها في القرآن، ثم تلازمها مع الوقف خاصة الوقف على السكون.

### 3- الوقف وأثره في توجيه الدلالة في سورة الماعون:

تختلف الآية في تركيبها عن نظام تركيب الجمل، فإذا كانت الجملة عند النحاة كلام تام يفيد معنى محدد، فإن الآية خلاف ذلك تماما، إذ تتنوع في تركيبها وتنوع في دلالتها أو مضمونها أيضا، فقد تحمل الآية حرفا أو مكونا اسميا أو تركيبا واحدا (جملة 1) وقد تحمل أكثر من تركيب (أكثر من جملة)، إليك هذه السورة (سورة الماعون) وهي من السور القصار، تضم ثمان (08) آيات سميت في بعض التفاسير "سورة أَرَّيْتِ"، أَلَيْتِمَ " الدين "

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَرَّيْتِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ ۙ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِمَ ۙ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۙ قَوْلٌ لِّمُصَلِّينَ ۙ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۙ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۙ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۙ ﴾ الماعون [7-1]

• تتركب السورة على النحو التالي:

**الآية (1):** جملة صغرى " يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ " مدججة في جملة كبرى " أَرَّيْتِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ " يتم الربط بينهما بالاسم الموصول (الذي)، أما عن دلالة الآية فهي تامة مكتملة، لقد ابتدأت السورة بجملة استفهام لتؤدي غرض التعجب من فعل المكذبين بيوم الحساب، و الفعل رأى الذي جاء بصيغة الماضي يجعل أمر التعجب ليس جديدا فتكذيبيهم بيوم الدين شائع بينهم.

**الآية (2):** " فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْتِمَ " : وصلت بالجملة التي قبلها وصلا إضافيا بحرف الربط (الفاء)، وإحالة قبلية بواسطة اسم الإشارة (ذلك) مع الاسم الموصول (الذي)، فتكونت سلسلة من الروابط المختلفة مع بعضها ليعلق الكلام اللاحق بما سبقه، فمن علامات المكذب، أنه ينهر اليتيم، لا يشفق لحاله، وقلبه متحجر.

**الآية (3):** " وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ "، وصلت هي الأخرى بالآية الأولى وصلا إضافيا بـ (الواو) لتضيف علامة أخرى للمكذب، فلا يدعو غيره لإطعام المساكين لبخله الشديد وتمكن الشيطان منه.

**الآية 4:** قَوْلٌ لِّمُصَلِّينَ : هنا الفاء ليست رابطة فلا تفيد الوصل، وإنما استئنافية تدلّ على انطلاقة جديدة في الكلام بحيث يتضمن تهديدا ووعيدا لما تقدّم، رغم أن هذه الآية تحمل رقما مستقلا (4) غير أنّ دلالتها ناقصة والوقوف على رأسها عدّه العلماء وقفا قبيحا، لأنه يخلّ بالمعنى المقصود، ولا تكون الآية تامة الدلالة إلا بإسنادها إلى الآية التي تليها هي: (الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)، لكن السؤال الذي يطرح: لماذا لم تدمج الآيتين ضمن آية واحدة طالما أنه لا يمكن أن تتم دلالة الأولى إلا بالثانية؟ ووجود مثل هذه الحالات يؤدي إلى النتائج التالية:

### الفصل الثالث قراءات في خصوصيات التعبير القرآني – سور وآيات قرآنية أنموذجا-

- لا تنتهي ولا تكتمل دلالة الآية عند رقمها التسلسلي دائما وهذا الأمر يعلّق دلالتها بمسألة الوقف.
- قراءة (تلاوة) النص القرآني لا تقوم على الإعراب وإنما تقوم على الأداء والاستعمال (الوقف)، لذا نجد أن عموم التلاوة تقف على ساكن.

- النحو القرآني يتوافق مع نحو النص في العديد من مظاهر التماسك لأنه يركز على الدلالة والتداول  
اعتبر العلماء الوقف في الكثير من النصوص قبيحا، منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٧٨﴾﴾ الفجر [27، 28]  
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَمْلُؤُ ﴿١﴾ فُرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ تَصَفَّهُ أَوْ أَنْفُسُ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ المزمّل [14]،  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لِأَعْوَابِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ص [82، 83]

#### المبحث السادس : الالتفات في النص القرآني

يعتبر الالتفات ظاهرة لغوية عرفها العرب من خلال مدارستهم للقرآن الكريم واهتمامهم بالشعر العربي، ولم تتكلم به أية لغة أخرى، وقد عرف بعدة مصطلحات أهمها الانصراف والاعتراض والعدول وحسن التخلص والالتفات، فهو من خصوصيات لغة القرآن الكريم، حيث ينحرف فيه الخطاب الواحد إلى اتجاهات وصيغ مختلفة، وقد وضع له العلماء شروطا وأنواعا، ذكرها السيوطي انطلاقا من الدراسات التي سبقته، على النحو التالي:

- 1- "أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه.
- 2- أن يكون في جملتين، صرح به صاحب الكشاف وغيره.
- 3- يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى الخطاب الآخر، ذكره التنوخي وابن الأثير<sup>1</sup>

#### أنواع الالتفات:

ذكر العلماء أنواعا للالتفات بين التفات الضمائر، التفات الزمن ونوع آخر ذكره ابن أبي الإصبع:

#### أولا/ التفات بين الضمائر:

ويكون ذلك حين يظهر تحوّل في الخطاب لذات معينة بضمائر مختلفة سواء من الغائب إلى المخاطب، أو من المخاطب إلى المتكلم، أو من المتكلم إلى الغائب، وقد أحصى صاحب المفتاح (السكاكي)

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، معتزك الأقران، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1988م، ص382 و 383

ست(06) صور للاتفات، وتوسع في شرحها الزمخشري في تفسيره الكشاف مبينا الأغراض البلاغية لاستعماله في القرآن الكريم، فقد جاء في سورة الفاتحة قوله تعالى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ﴾ الفاتحة [5-1] ، يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الاتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، و من الغيبة إلى التكلم"<sup>1</sup> والنصوص القرآنية كثيرة حول هذا الفن من الأساليب، أذكر بعض النماذج حسب كل صورة :

أ/الاتفات من ضمير الغيبة إلى المخاطب و أغراضه البلاغية:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ لَأُحْتَكِبَنَّ دُرَيْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ٣٢ ﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ٣٣ ﴾ الإسراء [62، 63]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَرَى لَتْخَنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَاتًا ٧٦ ﴾ فَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ٧٧ ﴾ مريم [70، 71]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْيَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُخْرَجُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٠ ﴾ النمل [90]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٤ ﴾ الروم [34]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي ءَابَائِهِمْ وَلَا إِبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّتَانَهُمْ وَلَا أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٥ ﴾ الأحزاب [55]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُظَرِّفُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ٥١ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّ صَدَفُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ٥٢ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أُنْحَامَكُمْ ٥٣ ﴾ محمد [20-22]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِ الْعَلِيمُ الْحَدِيثُ ٥٤ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُوتَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٥٥ ﴾ التحريم [3، 4]

ب/ الاتفات من ضمير الخطاب إلى الغيبة:

<sup>1</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1/ص 118 و 119

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كَلُومًا وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا لَّطِيبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٧﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً أُولُو كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ البقرة [168-170]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْغَسَ وُجُوهًا فَزَرَّدَهَا عَلَيْهَا أَدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ النساء [47]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ النساء [64]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَخَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يونس [22]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٣﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الأنبياء [92، 93]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوهَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ الروم [39]

### ج/ الالتفات من ضمير المتكلم إلى الخطاب أو العكس:

هذا النوع من الالتفات نادر في القرآن، وهذا راجع للتابين التام بين موقف الخطاب وموقف التكلم،

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِي لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يونس [22] و يسميه ابن الأثير خطاب الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الجماعة، و أما الانطلاق من ضمير المخاطب إلى المتكلم، فقد جاء في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ هود [90]

### د/ الالتفات من ضمير الغيبة إلى المتكلم:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ النساء [174]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿\* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنَّتِي فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ النحل [51]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ءَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ الإسراء [1-3]، حيث تنوع الضمير

العائد على الله عز وجل ست مرات بين الغائب والمتكلم ( هو، نحن، أنا) على النحو التالي: أَسْرَى (هو)، بَرَكْنَا (نحن)، إِنَّهُ (هو)، ءَايَاتِنَا (نحن) أَلَا تَتَّخِذُونَ مِن دُونِي (أنا)، ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلَتَا (نحن).

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَاكُنَ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَحْتِ شَجَرٍ ﴿٥٣﴾ طه 53-51

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ الفرقان [49, 48]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٥٠﴾ النمل [60, 59]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوت ﴿١١﴾ الزخرف [11]

ه/الالتفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ \* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَيَنفُرُ مَن ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة [253]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَدُهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ آل عمران [151]

- وقال ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ الأعراف / 158

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ طه [4-1]

- وقال ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّعَلَّاهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَقًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ النَّارَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ الأنبياء 33/31

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ الأحزاب [8, 7]

ويذكر السيوطي عن ابن الأصبغ التفاتاً في الضمائر من نوع مختلف فيقول: "قال ابن أبي الإصبع: جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جداً لم أظفر في الشعر مثاله: وهو أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين، ثم يخبر عن الأول منهما، و ينصرف عن الإخبار عنه، إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود إلى الإخبار عن الأول، كقوله ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ ﴿ وَآتَاهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ ﴿ الْعَادِيَاتِ ﴾ [6، 7]، انصرف عن الإخبار عن ربه إلى الإخبار عن نفسه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿<sup>1</sup>﴾. فانطلق من ذكر الإنسان ثم انصرف لذكر الله فهو الشهيد على عمل الإنسان، ثم عاد لذكر الإنسان و حبه الشديد للخير.

### ثانياً/التفات الخطاب بين المفرد والمثنى والجمع:

- من المفرد إلى المثنى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يونس [78]، و من المفرد إلى الجمع: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّجْمُ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَفُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَذَٰلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يَجْدُثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ ﴿ الطلاق [1]
- من المثنى إلى المفرد: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ ﴿ طه [49] من المثنى إلى الجمع: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يونس [87]
- من الجمع إلى المفرد: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يونس [87]
- من الجمع إلى المثنى قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الْمَ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَدَّتُّهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ ﴿ الأنعام [130]

### ثالثاً/ التفات الزمن:

ويقصد به الانتقال بالزمن في الخطاب بين الماضي والمضارع والأمر، وهو ما يعبر عنه بتداخل الأزمنة حيث يعدل المتكلم في خطابه من زمن لآخر لغرض معين و هذا كثير في القرآن الكريم، و منه:

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع نفسه، ص 383



- من الماضي إلى المضارع: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَمِيَّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝٩ ﴾ **فاطر [9]** قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الظُّيُورُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١ ﴾ **الحج [31]**، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۝٢٥ ﴾ **الحج [25]**

- من الماضي إلى الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَهْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢١ ﴾ **الأعراف [29]**، وَقَالَ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَأَحْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠ ﴾ **الحج [30]**

- من المضارع إلى الماضي: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨ ﴾ **هود [38]**،

- من المضارع إلى الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥١ ﴾ **هود [54]**

- من الأمر إلى الماضي: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝١٢٥ ﴾ **البقرة [125]**

- من الأمر إلى المضارع: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْتَمَرُونَ ۝٧٢ ﴾ **الأنعام [72]**

#### رابعا/ التفات النصب:

توصل الباحث أحمد بسام ساعي إلى التفات من نوع مختلف سمّاه التفات النصب، وعرفه بأنه: "حالات النصب الطارئة والمفاجئة للقارئ"<sup>1</sup>، غير أن الباحث أحمد بسام ساعي لم يستقر على إعطاء هذا الالتفات تسمية مناسبة له إذ يقول: "إننا نقتح بدلا من الضياع في المتاهات النحوية أن ندخله في النحو تحت اسم (المنصوب القرآني) أو (النصب الالتفاتي)"<sup>2</sup> وقد دعم رأيه بنماذج من القرآن:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢ ﴾ **النساء [122]**

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فَنَسَقًا أَهْلَ لَعْنٍ لَعْنِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٤٥ ﴾ **الأنعام [145]**

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦١ ﴾ **هود [69]**

<sup>1</sup> أحمد بسام ساعي، لغة القرآن إعجاز أم مجرد عبقرية، ص 86

<sup>2</sup> أحمد بسام ساعي، لغة القرآن إعجاز أم مجرد عبقرية، ص 86



- قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ مريم [34]

إن مفهوم الالتفات عند العرب القدامى يحمل معنى التحول من صورة إلى صورة وقد سبق الإشارة إلى ذلك، يقول الزمخشري عن الالتفات ومزيته: "... ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع و إيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد"<sup>1</sup>، كما أنه يكون لتحقيق أغراض بلاغية دقيقة، لكن ما جاء به الباحث لا يدخل ضمن مجال الالتفات، فقوله (حالات النَّصب الطارئة والمفاجئة للقارئ)، لا يتوافق مع مفهوم الالتفات لعدة أسباب أهمها:

- لا يتضمن أية قرينة لغوية تشير للعدول أو التحول.

- أن الحالات الطارئة كثيرة في النص القرآني، ولا توجد فقط في النصب بل تكون في الرفع والجر أيضاً.

- أن النحاة والبلاغيون لم يتركوا حالة نحوية إلا وأوجدوا لها مسوغاً مشروعاً انطلاقاً من المعنى.

- أن الحالات التي ذكرها الباحث ليست موحدة في أسباب نصبها.

ويمكن اعتبار العطف على المعنى من قبيل الالتفات في الحركة الإعرابية، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ﴿٦﴾ المائدة 6

فالمعطوف يشترك مع المعطوف عليه في الرفع والجر والنصب، لكن في هذه الحالة تمّ العدول من الجرّ إلى النَّصب، لكن على مستوى المعنى فإن (أرجلكم) معطوفة على (أيديكم) و ليس على (رءوسكم)، قال تعالى:

﴿وَأَنْفُسُوهَا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ

وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠﴾ المنافقون [10]، عطف فعل مجزوم على فعل منصوب، فهذا التفات في حركة إعرابية أي على مستوى الشكل لأنه عطف على المحل.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَنْزَلْنَا مِنَ اللَّهِ رِسُولَنَا إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ

خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٦﴾ التوبة [3] يقول

فاضل صالح السامرائي: "واختلف النحاة في تخريج ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه معطوف على اسم أن باعتبار محله قبل دخول أن"<sup>2</sup>، فالأمر لا يقصر إذا على حالات النصب الطارئة والمفاجئة، فالنحاة والبلاغيون بحثوا على المسوغات النحوية للحالات الطارئة انطلاقاً من اللفظ أو المعنى، واستدل السامرائي

بقول ابن يعيش: " ويجوز الرفع بالعطف على موضع أن لأنها في موضع ابتداء وتحقيق ذلك أنها لما دخلت على المبتدأ والخبر لتحقيق مؤداه وتأكيده من غير أن تغير معنى الابتداء صار المبتدأ كالمملفوظ به، وصار (إن

<sup>1</sup> جار الله الزمخشري، الكشاف، ج1، ص64

<sup>2</sup> فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الطباعة و النشر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج1 ص 336

زيدا قائم) و(زيد قائم) في المعنى واحد، فجاز لذلك الأمران: النصب والرفع، فالنصب على اللفظ والرفع على المعنى<sup>1</sup>، ولو كان ما ذكره الباحث التفاتا نصب، فلا يمكن أن يكون قد غفل عن ذكره النحاة.

### المبحث السابع: التصوير الفني في القرآن الكريم:

لقد انتشر التعبير بطريق المجاز في القرآن الكريم بشكل ملفت للانتباه فلا تخلو سورة من استعارة أو كناية أو تشبيه أو مجاز مرسل، فهذا يعد من مقتضيات النظم ومدخل لبيان الإعجاز القرآني، يقول عبد القاهر: "...هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم..."<sup>2</sup>، وقد تناولها علماء العربية ضمن مبحث التصوير البلاغي أو الفني، فأصدر سيد قطب كتابان الأول مشاهد القيامة في القرآن الكريم والثاني التصوير الفني في القرآن الكريم، أظهر فيهما سيد قطب أسلوب القرآن في التصوير، حيث تتحول الألفاظ والعبارات إلى حركة تخيلية أو حالة نفسية أو مشهد مصوّر، وهو أمر لم يظهر بعناية فائقة ودقة متناهية في النسخ والتصوير كما ظهر في النص القرآني، فما المقصود بالتصوير الفني عند سيد قطب؟

يقول سيد قطب: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس.... ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردّها شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل (...). حتى ينسى المستمع أنّ هذا كلام يتلى ومثل يضرب ويتخيل أنّه منظر يعرض وحادث يقع"<sup>3</sup>، لقد وضع سيد قطب تصنيفا آخرًا للصور البيانية، فلم يفرّق بين استعارة وكناية وتشبيه ومجاز، ووجد أن التصوير يصدر إما عن معاني ذهنية أو حالات نفسية أو مشهد قصصي، وفي كل ذلك يدعو إلى ضرورة التوسع في معنى التصوير بحيث يشمل "تصويرا باللون، وتصويرا بالحركة، وتصويرا بالتخيل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثير ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملأها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان"<sup>4</sup> وقد دعم وصفه وتحليله بمجموعة من النماذج النصية من القرآن الكريم.

<sup>1</sup> فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الطباعة و النشر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج1 ص 337

<sup>2</sup> محمد إبراهيم شادي، المرجع السابق، هامش ص 478.

<sup>3</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، (دط)، ص36 و37

<sup>4</sup> سيد قطب، المرجع نفسه، ص37

أولاً: المعاني الذهنية تخرج في صورة حسية:

ويقصد به إظهار معنى معين من خلال مظهر مادي ملموس و قابل للقياس، تجعل المتلقي يدرك المعنى المقصود، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الأعراف [40]، فالمتعمن في هذه الآية يتشكل لديه تصوّر على مستوى الذهن بحيث يمكن أن يترجم هذه الألفاظ إلى صورة ملموسة لأبواب سماوية مغلقة فلا شيء ينزل إليهم من التعم والرحمات ولا شيء يصعد إكراماً للمكذبين، ثم يضيف صورة ذهنية أخرى تتعلق بأخرتهم، يبين استحالة استقرارهم في الجنة و يرسم لهم أملاً واحداً لدخولها، وهي صورة جمل يمر عبر ثقب إبرة الخيط، فقد كشف عن جزاء المكذبين الكافرين وهو المعنى المقصود في شكل صورة مادية حسية واضحة.

- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ ابراهيم [18]، تتضمن هذه الآية تشبيهاً حيث تحولت فيه أعمال الكافرين إلى رماد بسبب كفرهم بالله، لكن الجمال لا يظهر في المعنى بقدر ما يظهر في التعبير، فتجسد في صورة يوم شديد الريح فما مصير رماد إلا تلاشيهِ بحيث لا يظهر له أثر.

- قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ البقرة [264]، صورة لبقعة أرض يحسبها الجاهل قابلة للنماء، لكنها في حقيقة الأمر لا تدر أي فائدة إذا ما نزل بها وابل المطر بل تكون صلداً، و هذه صورة تدل على معنى الصدقة التي يرافقها المن و الرياء، وفي المقابل جاء في الآية التي تليها قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ البقرة [265]، لتظهر صورة مضادة للصورة السابقة، بحيث تكون الصدقة التي يقصد بها مرضاة الله جنة كلما نزل بها وابل من السماء تكون مصدراً للنماء والزيادة، وهذه التصوير يزيد النص تماسكاً في البناء والمقصد.

ومن خصوصيات النص القرآني أنه مصدر استقى منه العرب و العجم أمثالهم، وقد جمع السيوطي في كتابه معترك الأقران الكثير من الأمثال العربية تستند في مصدرها إلى نصوص قرآنية، منها: (من جهل شيئاً عاداه) و(احذر شرّاً من أحسنت إليه) و(في الحركات البركات) و (كما تدين تدان) و (لا يلدغ المؤمن من

جحر مرتين) و (من أعان ظالماً سلط عليه)، و (للحيطان آذان)، وقد نقلها السيوطي عن الماوردي مفصلة، فيقول: "سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب ابن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل، فقلت: إنك تخرج أمثال العرب و العجم من القرآن: فهل تجد في كتاب الله (خير الأمور أوسطها)؟ قال: نعم. في أربعة مواضع: قوله: ﴿لَا فَاْرِضُ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ﴾<sup>1</sup> و قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>2</sup>، و قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>3</sup>، وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>4</sup>."

### ثانياً: الحالات النفسية و المعنوية تخرج في صورة حسية:

وهناك من التصوير ما يغوص في نفسية الإنسان و وجدانه، فيصف حالاته المتقلبة بين الفرح و الفزع و الحيرة و القلق و اليأس، فيحدث في مخيلة المتلقي تصورات حسية تزيد المعنى قوة و لعة جمالا و تنفذ الحياة و الحركة بين ألفاظه و عباراته قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصِّبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>5</sup> آل عمران [103] هذه كناية عن على أن النجاة في التزام كتاب الله، لكن الأهم هو الصورة المحسوسة التي تتركها الآية في ذهن المتلقي، إذ تنقل لديه الوضع النفسي للبشر و هم على وشك الوقوع، تتبعه حالة القلب و هو في فزع و ينبض بشدة، بل إن هذه العبارات تطلق العنان لتصورات المتلقي حول الحالة النفسية للبشر فلا زمن و مكان يعينها، و نفس الصورة نجدها في قوله تعالى ﴿وَعَلَىٰ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>6</sup> التوبة 118، تصوير لحالة ضيق مضاعفة، فالنادم بسبب التخلف عن الجهاد، يرى الأرض ضيقة رغم اتساعها، وتضيق عليه نفسه حتى تكاد تخنقه، فهو وصف لحالة نفسية بطريقة حسية واقعية.

### ثالثاً: تصوير مشهد قصصي

قد يتجاوز التصوير وصف صورة حسية إلى تصوير مشهد سردي أو قصصي أو ملحمي، فيه من الحركة و الحوار، والقوة، ما يؤثر في القلوب و العقول و النفوس، فالأسلوب القصصي في القرآن الكريم يختلف عن القصة الأدبية سواء في طابعه أو غايته أو تكوينه، فالقصة القرآنية ليست للمتعة و التذوق الأدبي وليست محلاً للقراءة النقدية، فقد جاءت تقريراً و دعماً للدعوة و التشريع و مساندة لرسول الله، وما يهم فيها التصوير الفني الذي بنيت عليه، فقد اجتمعت فيها

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص468

آليات التصوير المختلفة، ففي سورة يوسف مثلاً -وهي السورة الوحيدة التي لم يتكرر ذكرها في القرآن- لا تمر آية إلا ويرسم المتلقي لوحة فنية رائعة تنبض بالحياة، بل لا تمر آية إلا ويظهر مشهد مسرحية مليئة بحوار شخصياته تشترك فيه حركات عضوية للحواس وحركات نفسية باطنية، إليك هذا المشهد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِغَاءَ وَجْهِهِمْ وَاسْتَحَقُّوا وَعْتَابًا مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْكُرَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْلِحْ جِ السِّجْنَ أَزْبَابًا مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْلِحْ جِ السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ يوسف [36-41]، لقد أوتي يوسف عليه السلام علم التأويل، لذلك نجد أن الرؤية كانت الباب الذي نفذ من خلاله لنشر دعوته بداية من داخل السجن، فتصور هذه الآية رجلين سجينين (ساقى الملك و المكلف بطعام الملك) داخل أقفال السجن المغلقة حيث حريرتهما مقيدة بين أسوار معتمة ولا خروج منها إلا من أجل أعمال شاقة، فلا لذة في طعام أو دفء في لباس، ولا يجدان حرية أو فرحة إلا في نوم يجرّ معه مناما أو أحلاما أو رؤى تكون إشارة للخلاص، فيشاهد كل واحد نفسه حرا طليقا داخل رؤياه، إذا مشهد واقعي لسجينين مجتمعين معا داخل السجن و قد أُدْخِلَ معه مشهدها آخران غير حقيقيان، فهذا يجعل المتلقي ينفذ إلى عالم آخر لا يمت للسجن بصلة، فأحد المشهدين يصوّر فيه أحد السجينين في قصر الملك يعصر عنبا ليسقي الملك، ويتملكه رعب من الملك، فهو مسجون بتهمة قتل الملك ورؤية هذا الأخير تنبئ عن حالة السجين النفسية المليئة بالخوف و يصور المشهد الثاني رفيقه حاملا فوق رأسه خبزا و منظر الطيور وهي تأكل منه، و بعد استيقاظهما يعودان ويعود المتلقي معهما للمشهد الواقعي داخل السجن، و يزداد بداخلهما أمل بالنجاة، وهذا لا يتأتى إلا بطلب تفسير الرؤى من يوسف عليه السلام، غير أن التفسير لم يقع مباشرة بعد الطلب و إنما سبق ذلك مشهد يصوّر يوسف عليه السلام يؤسس لانطلاق دعوة التوحيد بدء بالسجناء، فكان الحوار و الوصف بينهم آليات حجاجية لنبد عبادة الأوثان، وكان قد نبئهم بنوع الطعام الذي سيحضر لهم، كل هذا ساهم في اعتناق السجناء لدين التوحيد طواعية، وهبّ السجين لتقبل تأويل الرؤى كما أخبرهما يوسف النبي، فهذه الآيات عناصر لغوية تلقفها المتلقي بحواسه وترجمها ضمن مخيلته وذاكرته وإدراكه إلى صور فنية ومشاهد قصصية تحمل من المعاني المجردة والحالات النفسية ما يؤثر في ثقافته ووجدانه وعقيدته.

من مظاهر الإعجاز القرآني هو الإخبار بالغيبيات، ومشاهد يوم القيامة واحدة من هذه الغيبيات، وقد خصص لها سيد قطب كتاباً يظهر من خلاله الإعجاز والتصوير الفنيين والمشاهد في القرآن الكريم كثيرة تصوّر للمتلقّي أموراً تفوق مستوى التصور، بل تجعله يعيش في حالة من الدهول و العجب لبلاغة القول و براعة التصوير:

- قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورًا رَكِبًا إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ الحج [1، 2]

• ما هي المفارقة التي توصل إليها سيد قطب بين التصوير الفني و البياني في نظرية النظم للجرجاني؟

يقول سيد قطب وهو ينظر لنظرية النظم: " رحم الله عبد القادر، لقد كان النبع منه على ضربة معول، فلم يضربها، إن الجمال ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴿١﴾ و ﴿ وَفَجَزْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣١﴾ ﴾، هو في ذلك الذي قاله من ناحية النظم، وفي شيء آخر وراءه، هو هذه الحركة التخيلية السريعة التي يصورها التعبير، حركة الاشتعال التي تتناول الرأس في لحظة، وحركة التفجير التي تفور بها الأرض في ومضة، فهذه الحركة التخيلية تلمس الحس وتثير الخيال و تشرك النظر و المخيلة في تذوق الجمال... وهذا الذي وقف دونه عبد القاهر، وإن كان يبدو أنه كان يحسه في ضميره، لا يصوره كاملاً في تعبيره<sup>1</sup>

المبحث الثامن: التشابه و الاختلاف في لغة القرآن:

لقد استطاع فاضل السامرائي أن يستوحي من لغة القرآن ظاهرة لغوية، وهي كشفه عن آيات متقاربة ومتشابهة في تعبيرها اللغوي واللفظي لكن من دون تطابق، فهناك مواضع شبه ومواضع اختلاف ولا تدخل ضمن مجال التكرار، فتظهر الدقة في اختيار لفظ دون آخر، ويرجع ذلك لعوامل تتضافر فيما بينها (السياق والمقام والقريضة اللغوية)، ويكون الاختلاف بين نصين قد يكونان في سورة واحدة، وقد ينتميان إلى سور مختلفة، يقول السامرائي: "قد يتشابه تعبيران في القرآن الكريم مع شيء من الاختلاف في التعبير وذلك لأغراض يقتضيها السياق والمقام، فيكون كل تعبير أنسب في مكانه"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 33

<sup>2</sup> فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، ص 140

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾﴾ آل عمران [96، 97]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الفتح [24]

يلاحظ أن كلا من (بكة) و(مكة) يشير إلى اسم المكان الذي يوجد فيه البيت الحرام وهو مكان ولادة النبي صلى الله عليه و سلم، لكن هناك اختلاف بين اللفظين في الحرف الأول من الاسم، فهل لهذا الاختلاف سر أم هو جاء الأمر اعتباطياً؟ طبعاً لا يوجد في القرآن الكريم الاعتباطية مطلقاً، لذا وجب الرجوع إلى سياق كل آية ليفسر الاختلاف بينهما، فالآية الأولى تتحدث عن الحج، ومن أهم سماته الازدحام، وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية وجد أن مكة سميت بكة لأن الناس يبكُّ بعضهم بعضاً في الطواف، فناسب اللفظ (بكة) سياق الآية، بينما ورد اسمها (مكة) في الآية الثانية لأن السياق لا يخص الحج أو الازدحام، فلكل لفظة موضعها الذي يليق بها.

ويظهر هذا الأمر في القصص القرآني حيث تتكرر القصة في سورتين أو أكثر من القرآن الكريم، مما يطرح معه قضية التشابه (التمائل) والاختلاف في التعبير، فيختلف التعبير عن مشهد من مشاهد القصة بين سورة وسورة، بحيث تأتي في كل سورة جزئية من القصة نفسها تناسب وسياق الآيات في السورة.

وقد طرح العديد من النماذج القرآنية منها:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ أَثْوَابُ الْوَسْئِلَةِ ﴿٣٢﴾﴾ الكهف [30، 31]
- قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أُخْضِرُوا مِنْ فَضَّةٍ وَسَقَلَهُمْ رُحْمُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ الإنسان [21، 22]

يظهر تشابه كبير بين التراكيب اللغوية للنصين بحيث يتضمن كل نص جزاء أعده الله تعالى لفتنين من المؤمنين، الأولى في سورة الكهف (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، والثانية في سورة الإنسان (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أُخْضِرُوا مِنْ فَضَّةٍ وَسَقَلَهُمْ رُحْمُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) إن هذا كان لكم جزاءً، قال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالنَّدْرِ وَيَجَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ الإنسان [7، 8]، غير أن المتعمن فيهما يكتشف التباين بينهما في الجزاء مثلما اختلفا في طبيعة العمل،



استخدم السامرائي آليات التحليل النحوي والمتمثلة في القرائن اللغوية النحوية لبيان مواطن التشابه والاختلاف، وبدأ ببيان الاختلاف الظاهر بمجرد القراءة الأولية للنصين على النحو التالي:

- خصت الفئة الأولى بقوله (مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) وخصت الفئة الثانية (أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) ويرى الباحث في هذه الخاصية ميزتان: اختلاف المعدن فالذهب أفضل من الفضة، وكثرة أساور الذهب من خلال القرينة النحوية (مِنْ) التي جاءت قبل أساور، لتدلّ على الكثرة، بينما أنها لم تذكر مع الفضة.
- خصت الفئة الأولى (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)، والأخرى (عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)
- ومن الأمور التي انفردت بها الفئة الأولى: الاتكاء على الأرائك، وتجري الأنهار من تحتهم.
- مدح الله تعالى الفئة الأولى في موضعين (نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) و﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ ﴿٣٠﴾
- ومدح الفئة الثانية قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴾ ﴿٣٤﴾

لقد حظيت الفئة الأولى بعظيم الجزاء مقارنة بالفئة الثانية وذلك لعظمة العمل، فالعمل الصالح أشمل وأكبر من الوفاء بالنذر و إطفاء الطعام، ولكن عمل المتقين يتجاوز العمل الصالح، فقد ذكر جزاء المتقين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ الدخان [53-51]، فلم يحدد طبيعة اللباس أو كلفيته، يقول السامرائي: " فأطلق اللباس، ولم يقيده بالثياب فكان أعم، فدلّ على علوّ الجزاء بالإطلاق وبذكر (من) للدلالة على الكثرة"<sup>1</sup>.

#### ✓ التشابه والاختلاف قصة شعيب عليه السلام:

وردت قصة شعيب عليه السلام في العديد من السور القرآنية (الأعراف، هود، الشعراء، العنكبوت)، لكنّها تكررت مع سورتي الأعراف وهود بشكل مفصل وبطريقة مختلفة استطاع السامرائي من خلال تتبعه للنصوص القرآنية في السورتين أن يكشف عن مواطن التشابه والاختلاف في التعبير عن القصة.

فأول ما لفت انتباهه الآية 85 في سورة الأعراف قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

الأعراف [85]، وفي سورة هود قوله تعالى ﴿ وَيَقَوْمِ أَوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ هود 85 فرغم أن النصين يتوافقان يتشابهان في التركيب إلا أنّ

<sup>1</sup> فاضل السامرائي، من أسرار البيان القرآني، ص213



### الفصل الثالث قراءات في خصوصيات التعبير القرآني - سور وآيات قرآنية أنموذجاً

الاختلاف وقع في عنصر لغوي واحد، حيث ذكر في الأعراف (الكيل) وذكر في هود (المكيال)، يعتبر السامرائي أنّ جملة من قبيل (أوفى البائع المكيال) غير مستقيمة من حيث الدلالة، لأنّ المكيال آلة تستخدم في عملية الكيل، فلا يطله التغيير سواء بالزيادة أو بالنقصان، ووروده في سورة هود بهذا التركيب يدخله ضمن خصوصيات الاستعمال القرآني ويربط السامرائي هذا التركيب بقرينة السياق، يقول: "أمّا سبب الاختلاف بين التعبيرين في قصة شعيب في السورتين، فإنّ القصة في سورة هود يشيع فيها ذكر الأمور المالية أكثر مما في الأعراف"<sup>1</sup> لقد خصّص استعمال لفظ المكيال ليتجانس مع ذكر الأمور المالية التي انطبعت بها السورة فهو من الأموال، ولكن أريد به الكيل.

ومن الاختلافات التي طرحها السامرائي حول القصة في السورتين أنّ مفتتح سورة هود يتناسب مع الأموال... وإنّ مفتتح سورة الأعراف إنما هو في العقيدة و الأمور المعنوية... وأنّ أغلب القصص المذكورة في هود فيها إشارات إلى الأمور المالية والمعاشية، وليس الأمر كذلك في الأعراف... ودُكرت في الأعراف من صفات قوم شعيب السيئة أكثر وأشدّ مما ذكره في هود"<sup>2</sup>، لقد ربط السامرائي بين العناصر اللغوية المكونة لقصة شعيب بالطابع العام للسورة، فالقصة تكررت في السورتين لكن بتراكيب مختلفة، ولهذا علاقة بذكر سورة الأعراف لمسائل تتعلق بالعقيدة والأمر المعنوية وذكر سورة هود للأمر المالية، إن الجزئية التي تهم البحث تتعلق باختلاف التراكيب وشكلا ومعنى على النحو التالي:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِتْنًا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ هود [91]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ \* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ﴿٨٨﴾ الأعراف [88]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِيَنَّا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾ هود [94]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَكُونُوا هُمُ الْخٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يٰ قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ الأعراف [93-90]

#### المبحث التاسع: معرفة الناسخ والمنسوخ

<sup>1</sup> فاضل السامرائي، المرجع نفسه، ص 302

<sup>2</sup> فاضل السامرائي، المرجع نفسه، ص 303 و 304

في لقد تتبع علماء الأصول النص القرآني مستنديين إلى زمن نزوله أو مكان نزوله، حتى لا يقع هناك تناقض وتضارب في النصوص، وهذا قد يحل بتناسك القرآن الكريم، و يمس بوحده الشاملة، فاستنبطوا خاصة مهمة تتمثل معرفة الناسخ والمنسوخ من النصوص،، ويقصد بالناسخ والمنسوخ نزول نصين في موضعين مختلفين من القرآن يتعلقان بمسألة واحدة، لكن يختلف الحكم الشرعي فيهما، فأى من النصين يكون العمل به واجب، يقول الزركشي في البرهان: "الآيتان إذا أوجبتا حكمين مختلفين، وكانت إحداها متقدمة الأخرى، فالتأخرة ناسخة الأولى"<sup>1</sup>، أي تتحول دلالة النص من حالة إلى حالة أخرى جاءت بها الآية المتأخرة في النزول، وهنا تظهر أهمية الزمان في ترتيب النص، فيكون العمل بالنص المتأخر في النزول وهذا يدخل تحت مبدأ التدرج في الأحكام، فهذا التدرج يهيء المتلقي المكلف على تقبل الحكم الأخير، فالغاية من النسخ عموماً رفع المشقة عن المكلف، ثم يقول: "وقيل: ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة"<sup>2</sup> وهنا تكون الأولوية للنص الذي نزل بالمدينة.

ومما جاء في مقياس زمن النزول على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِينَ الْفَلْحَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء 15] ، يقول الزمخشري (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) قيل معناه فخلوهن محبوسات في بيوتكم، وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام، ثم نسخ بقوله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور 2] ،

ويؤكد ابن عاشور حجة النسخ فيقول: "وجزئنا بأن أول هذه السورة نزل قبل سورة النور، وأن هذه العقوبة كانت مبدأ شرع العقوبة على الزنا، فتكون هاته الآية منسوخة بآية النور لا محالة كما يدل عليه قوله تعالى (أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) قال ابن عطية: أجمع العلماء على أن هاتين الآيتين منسوختان بآية الجلد في سورة النور"<sup>3</sup> ، فعنصر الزمن يدخل ضمن المكون التداولي، فالسياق المقامي المتمثل في اختلاف زمن نزول النصين يساهم في ترتيب الأحداث وتفسير النص وتوجيه المتلقي للخروج بحكم شرعي صحيح تبعاً لمقصدي الشارع، ومعرفة الناسخ والمنسوخ يحافظ على تماسك النص القرآني.

وذكر الإمام السيوطي النصوص المنسوخة على وجه الحصر بقوله: "فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في بعضها، لا يصح دعوى النسخ في غيرها"<sup>4</sup>، منها:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّاتُ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة 240]،

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص160

<sup>2</sup> بدر الدين الزركشي، المرجع نفسه، ص 161

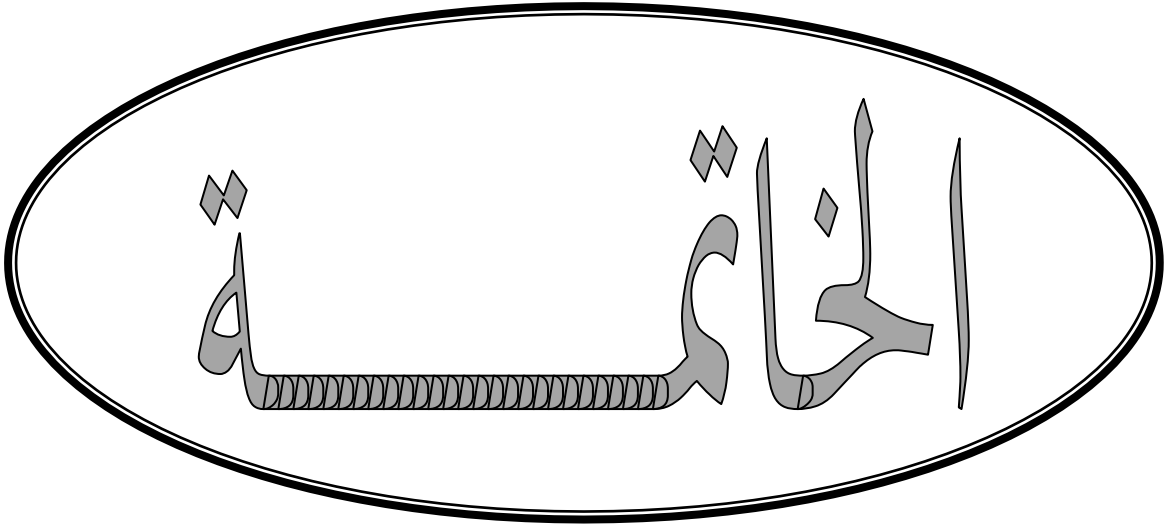
<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص269

<sup>4</sup> جلال الدين السيوطي، المرجع السابق (الاتقان في علوم القرآن)، ص 468

منسوخة بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَیَدْرُونَ أَرْوَاجًا یَتَرَتَّبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَیْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ البقرة [234]، إنَّ الملاحظ فی هاتین الآتین أنَّ الناسخ یتقدم علی المنسوخ فی التَّظْم، والعبرة فی ذلك تعود للترتیب فی النزول وليس ترتیب المصحف، یقول الزركشي فی شرح هذا النسخ: "فكانت المرأة إذا مات زوجها لزم التریص بعد انقضاء العدة حولاً كاملاً، ونفقتها فی مال الزوج ولا میراث لها، فنسخ الله ذلك"<sup>1</sup> وبهذا تظهر أهمية الترتیبین التوقیفی والنزولی معا فی تماسك النص القرآنی ووحدته البنائية والدلالية.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ إِخْرَانٍ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا كَشَفَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ المائدة [106]، منسوخة بقوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ قَارِفُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ الطلاق [2]

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي، المرجع السابق، ص 169



بعد هذه الوقفة الاستطلاعية لمختلف الجوانب النظرية ثم التطبيقية لما جاءت به لسانيات النص من

مقولات ثم إسقاطها على النص القرآني مع مراعاة خصوصياته لفظا ومعنى، يصل البحث إلى القول بـ:

- لا يكتمل التحليل اللساني على النصوص إلا على مستويات ثلاثة: النحو والدلالة والتداول.
- من أهم مظاهر التماسك النصي، الاتساق و الانسجام، غير أنهما يتعالقان بشكل حتمي يؤدي في النهاية إلى ترابط النصوص وتماسكها، و يتواجد هذا المظهران عبر جميع مستويات التحليل اللساني النصي، صوتيا ونحويا ودلاليا وتداوليا، لكن تتفاوت درجة وجودهما من مستوى لآخر، وهذا التفاوت تبرزه الأفكار التي جاء بها المتخصصون في نحو النص وأثبتتها تطبيقاتهم الميدانية بخصوص قضية التماسك النصي.

- وفيما يتعلق بالجانب التطبيقي للبحث، فقد سمح لنا التعامل مع المدونة القرآنية من خلال سور وآيات متفرقات من المصحف الشريف بالخروج بالنتائج التالية:

- أما سورة الرعد وبعد تتبع آيات الترابط على المستوى النحوي والمعجمي، فثبت أن لنظرية هاليداي ورقية حسن في الاتساق أثر بالغ الأهمية في الاستدلال على تماسك السورة من خلال:

○ العلاقات الإحالية التي تنشئها الضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والمؤكدات المتنوعة، فشكلت هذه الأدوات النحوية تعالقا بين الجمل والآيات بحيث ارتبط السابق باللاحق، فنتج عنها ظهور علاقات معنوية دلالية كالعلاقات الإحالية والسببية وظهر التعظيم والإنكار والوعد والتمثيل، وهذا ما يزيد المتلقي اتصالا بالنص فيظهر الانسجام بصورة تلقائية.

○ جمعت السورة بين الماضي والحاضر والمستقبل، فقد وظفت فيها الأفعال الماضية والمضارعة وأفعال الأمر لتظهر من خلالها الأغراض المختلفة للمتكلم بالقرآن.

○ عن آلية الوصل والفصل، كانت الواو الواصلة أكثر استخداما في ترابط الآيات فلم تربط بين الآيات المتجاورة فحسب بل وصلت بين الآيات المتباعدة في المكان وكان هذا أمرا ظاهرا أثناء التحليل، وهذا الربط المتنوع يعطي للمتكلم الحرية في الحديث، فتعرض الأفكار وترتبط فقرات النص، ويكون البناء اللغوي متسلسلا ومركبا لفظا ومعنى، كما ظهرت لـ(الواو) بشكل خاص استخدامات أخرى فقد تكون استثنائية أو حالية، بل جاءت بمعنى (أو) في الآية 10 من السورة، ويفرق بين هذه الاستعمالات من خلال السياق، وهذا يدل على أن الوصل تنشئه المعاني قبل

- الأدوات، كما أن غياب أدوات الوصل في مواضع مختلفة من السورة كان أشد تماسكا للآيات على المستوى الدلالي.
- و يأتي الوصل مقرونا مع الإحالة بالضمائر أو بأسماء الإشارة ليزداد النص تماسكا وترابطا في اللفظ والمعنى.
- يمثل المعجم مجالا واسعا لتحقيق العلاقات الاتساقية، فقد ظهرت البلاغة القرآنية في حلة تكسوها علاقات معجمية مختلفة، كالترادف والتضاد والعموم والخصوص لتساهم في الوحدة البنائية للنص.
- كان الاستخدام القرآني لآلية التكرار في غاية التميّز، فقد تنوّعت بين تكرار اللفظة والجملة والآية، وكذلك تكرار على مستوى المعاني كقوله تعالى (عقبي الكافرين النار)، (ولهم سوء الدار) وكذلك في القصص القرآني.
- كما وظّف القرآن الكريم في هذه السورة الاستفهام الإنكاري في مواضع متعددة وجاء جوابه من قبل المستفهم وهذا يتناسب مع موضوعها لتبيّن مقولات المشركين المكذّبين و يتم دحضها وإنكارها بالحجة.
- و لقد ظهرت مقولات فاندائك حول التماسك النصي في السورة، فقد ثبت أن النص والسياق ركيزتان في تشكل النصوص، وقد كانت السورة غنية بالكثير من العلاقات المعنوية الدلالية، منها العلاقات الإحالية والسببية والشرطية والحوار والإنكار، وذلك من خلال:
- بروز البنية الكبرى للسورة انطلاقا من موضوعاتها الجزئية، فتظهر قضية العقيدة والتوحيد بل وتمثل هذه القضية البنية الكبرى لجميع السور المكية عموما، فالغاية من خلق البشر هي الخضوع والانقياد لله الواحد الأحد بالطاعات والامتثال للأوامر واجتناب النواهي.
- أما عن البنى الصغرى فقد ظهرت في الموضوعات الجزئية للسورة، والتي تجمع بين بيان قدرة الخالق وعظمته، ثم الفساد والصلاح في أعمال البشر يؤدي إلى موضوع التمايز بين فئة المؤمنين وفئة الكافرين المشركين، ويكون مصير الإنسان بين الجنة والنار، فهذه الأجزاء يرتبط بعضها ببعض لتكوّن البنية الكبرى، فيتربط النص القرآني انطلاقا من تلاحم أجزائه بشكل منطقي أكثر منه النظر إلى أدواته النحوية.
- لقد كان السياق حاضرا بنوعيه سياق النص وسياق الموقف أو المقام وكل واحد يشغل على قرائنه في بناء دلالة السورة.

- من جهة أخرى كانت معايير النصية التي اقترحها ديوجراندي حاضرة في وجود عناصر التواصل، والدور الذي تؤديه العناصر التداولية من خلال البحث في قصيدة الشارع وعلاقة التناص التي تربط السورة بغيرها من السور، وما حققته السورة من درجة في الإعلامية بحيث وضعت المتلقي أمام صورة واضحة يستطيع من خلالها إدراك مختلف العلاقات الاتساقية والدلالية للسورة، فيستطيع تصنيفها ضمن السور المكينة بسهولة ويستخرج مختلف القيم والعقائد التي تهدف إليها.
- لقد نزل القرآن الكريم متفرقا آيات وسورا، في أماكن مختلفة، وفي مناسبات مختلفة، وفي أوقات مختلفة، ورغم ذلك لا يمكن وصفه إلا نصا واحدا لا يمكن تجزئته، وينفرد بخصوصيات في التعبير تظهر في جميع سوره، أهمها:
- أنه يقوم على نظام الآية كوحدة أساسية للتحليل غير أنها متنوعة في تركيبها اللغوي، فقد تتضمن حروفا أو جملة واحدة أو أكثر من جملة و تحمل كل آية رقما تسلسليا داخل السورة.
  - تنقسم الآية إلى نوعين، آيات تحمل حروفا مقطعة افتتحت بها تسع وعشرين سورة، وآيات تحمل جملا أو مركبات اسمية.
  - الحروف المقطعة أو حروف التهجي وتعد من الإعجاز البياني القرآني، وقد اختلف الصحابة والعلماء في دلالتها اللغوية، فمنهم من التزم الصمت و اعتبرها سرا استأثر الله بعلمه، ومنهم اعتبارها أدوات للتبنيه، أو أسماء لله تعالى، أو أسماء لسور قرآنية، أما العالم ابن الأصبغ المصري فاستعمل منهجا رياضيا في تفسيرها واستنبط دلالتها معتمدا طريقة حساب الجمل التي تحول الأعداد إلى نصوص.
  - يتضمن نظام الفواصل القرآنية بنوعها الطويلة والقصيرة، وهذه الخاصية جعلته يتميز عن الشعر يختلف عن السجع، ولكل فاصلة خصائصها الصوتية والدلالية والجمالية.
  - تعتمد الآيات في بناءها اللغوي على ترتيبها التوقيفي، فلكل آية رتبة تحمل رقما تسلسليا، وتعتمد على نظام الوقف بشكل أساسي لفهم الدلالة.
  - ظاهرة الالتفات أو العدول وهي تحولات لغوية تحدث داخل السورة، تجعل المتلقي ينتقل بين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، أو ينتقل بين الضمائر بصور مختلفة، وهذا الانتقال ليس أمرا اعتباطيا، وإنما لغاية يردها الشارع، و تظهر في الخطاب جمالية فنية وأسلوب راق وحركة بلاغية تدور بين مد و جزر.

○ تدخل السورة في علاقات مع مجموعة من السور منها: سورة البقرة، آل عمران، الأنعام، الأنفال، الأعراف، يونس، القصص، يوسف، المؤمنون، بحيث يفسر بعضها بعضا.

○ تتبع العلماء ظاهرة التعبير بطريق المجاز في القرآن الكريم، فلا تقرأ آية إلا وترسم في مخيلتك حركة تخيلية أو حالة نفسية أو مشهد قصصي مصور، فيشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات في إظهار لوحة فنية في غاية الورعة في النسيج والتصوير تزيد النص القرآني بلاغة وبناء مرصوفا ومتناسكا.

○ لقد استنبط علماء الأصول أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم مجموعة من القواعد الشرعية، ولا بأس في توظيفها كمظهر لترابط النص منها: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما أجمل في موضع فقد فصل في موضع آخر.

- لقد تعامل علماء العربية وعلماء القرآن مع النص القرآني وغايتهم الأساسية فهمه، وتفسيره، وإدراك مقاصد الشارع، والحرص على عدم وقوع نصوصه في التناقض، فلم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في تماسكه وترابطه بأدوات لغوية وغير لغوية باعتبار أنه نص منزه عن أي عيب أو نقص في نظمه، لذا فجعلوا النظم وسيلة لبلوغ غايات أخرى، وليس غاية في حد ذاتها، بخلاف علماء النص الذين بحثوا في الأبنية النصية للخروج بأدوات وآليات تفسر ماهية الترابط والتماسك النصي فيميزون بين النص واللائص.

- في الأخير يظل النص القرآني فضاء غير منغلق على قراءة جيل أو فرد بعينه أو منهج لساني محدد، وإنما يدعو المتلقي ليتدبر آياته الطويلة والقصيرة، ويتأملها بعين البصيرة، مستخدما منهجا علميا ولسانا عربيا وفكرا شرعيا، فالنص القرآني يصنع سياقه التأويلي بنفسه، ويفسر بعضه بعضا.





## المصادر و المراجع:

1. ابن أبي الإصبع المصري، الخواطر السوانح في الكشف عن أسرار الفواتح، تح: حنفي مُجَّد شرف،(دط)، (دت).
2. ابن منظور،لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.
3. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني،(ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز،تح: مُجَّد خلف الله أحمد و مُجَّد زغلول، سلامة، دار المعارف مصر، ط3
4. أبو القاسم بن أحمد الزمخشري،أساس البلاغة، تح: مُجَّد باسل عيون السود،ج2،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،ط1، 1998.
5. أبو بكر الباقلاني، التمهيد،المكتبة الشرقية،بيروت، لبنان، (دط)، 1957
6. أبو بكر الباقلاني،إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر،دار المعارف،مصر،ط2.
7. أبو سليمان الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: مُجَّد خلف الله أحمد و مُجَّد زغلول سلامة، دار المعارف مصر، ط3 .
8. أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: فوزي عطوي، مكتبة مُجَّد حسين النوري، دمشق،ج3، ط1، 1968
9. أبو هلال العسكري، في الصناعتين الكتابة و الشعر،تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981
10. أحمد أبو زيد،مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة و إعجاز القرآن ،دار الأمان للنشر،الرباط،ط1، 1989
11. أحمد بسام ساعي، لغة القرآن إعجاز أم مجرد عبقرية. المعهد العالي للفكر الإسلامي،(و.م.أ)، ط1، 2013
12. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1998
13. أحمد عفيفي، اتجاه جديد في الدرس النحوي، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
14. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية- بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، (دت)،2001
15. أحمد مُجَّد عبد الراضي،المعايير النصية في القرآن الكري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط1، 2011.
16. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
17. بدر الدين الزركشي،البرهان في علوم القرآن،تح:يوسف المرعشلي و آخرا، دارالمعرفة،دمشق،سوريا،ج2،ج3،ج4، ط1، 1990.
18. برهان الدين البقاعي،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج8، ط1، 1995.

19. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، ج1، ط1، 2006.
20. تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993
21. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 1994، ص271
22. جار الله الزمخشري، الكشاف في حقائق غوامض التنزيل، تح: عادل عبد الموجود وعلي مُجَّد عوض وفتحي حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ج1، ج3، ط1، 1998.
23. جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
24. جلال الدين السيوطي، معترك الأقران، تح: علي البيجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج1، ط1، 1988.
25. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، شعيب الأرنؤوط، علق عليه: مصمفي شيخ مصطفى، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
26. جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن، شبكة الألوكة الأنترنز
27. جميل حمداوي، لسانيات النص وتحليل الخطاب بين النظرية والتطبيق، منشورات مجلة الفكر، ط1، 2016.
28. حاتم الضامن، نظرية النظم تاريخ و تطور، دار الحرية للطباعة، بغداد، (دط)، 1979.
29. حسام فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2002
30. خالد مُجَّد صبري، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد العلوم الإنسانية، العدد222، مج1، 2017.
31. خفاجي، مُجَّد عبد المنعم، عبد القاهر و البلاغة العربية، المطبعة المنبرية، مصر، ط1، 1952
32. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
33. الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن الكريم، تح: عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1412.
34. ردة الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ
35. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005.
36. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لوانجمان، بيروت، ط1، 1997.
37. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1985.
38. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن السرد التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1997
39. السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية- دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009

40. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
41. الشريف الجرجاني، الحاشية على الكشاف للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1977
42. شوقي ضيف، البلاغة تاريخ و تطور، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، (دت)
43. صالح الصبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1977.
44. صالح سبوعي، النص الشرعي وتأويله-الشاطبي أنموذجا-، سلسلة كتاب الأمة، دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، ط1، فبراير 2007
45. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة، ج1، ط1، 2000.
46. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة، ج2، ط1، 2000.
47. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، 1998.
48. صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة كتب ثقافية شهرية، عالم المعرفة - الكويت، أغسطس، 1992.
49. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط4، 1975.
50. عبد الحكيم الراضي، من آفاق الفكر البلاغي عند العرب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006.
51. عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار و أثره في الدراسات البلاغية، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف، (دط)
52. عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للنشر، (دط)
53. عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ)، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط1، 1988
54. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، ط3، 1992.
55. عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر، الجزائر، (دط)، (دت).
56. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع - الجزائر، ط2، 2010 .
57. علاء الدين إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن، المكتبة التجارية الكبرى، (دت)، ج1.
58. علاء الدين رمضان السيد، ظاهرة التناص بين عبد القاهر الجرجاني وجوليا كرستيفا، كلية اللغة العربية، أسيوط، مصر، المجلد3، 2014
59. علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

60. عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية و بناء أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع -الأردن، ط1، 2004
61. عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سبويه، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت (دط) (دسنة)
62. فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الطباعة والنشر، عمان، الأردن، ج1، ط1، 2000.
63. فاضل صالح السامرائي، من أسرار البيان القرآني، دار الفكر ناشرون، ط1، 2009.
64. فؤاد علي مخيمر، فلسفة عبد القاهر النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشر، جامع الأزهر، (دط)، 1983.
65. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد و العدل، ج16، (دط)، (دت).
66. مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008م، مادة (ن.ص.ص)
67. مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، 1997
68. محمد ابراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، دار اليقين للنشر، مصر، ط2، 2013
69. محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، (دط)، (دت)
70. محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر، ط3، الرياض، السعودية، (دت)
71. محمد الحسنائي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2000
72. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية -تأسيس نحو النص- المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ج1، ط1، 2001.
73. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج4، ج12، ج13، ج19، 1984
74. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، ط1، 2005
75. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
76. محمد خير البقاعي، دراسات النص و التناس، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998.
77. محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، ط1، (دت).
78. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، (دط)، (دت).
79. محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القادر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1995.
80. محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990.
81. مصطفى الضاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان إعجازه، دار المعارف مصر، ط2، 1968
82. نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.

83. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2014
84. نعمان بوقرة، لسانيات الخطاب- مباحث في التأسيس و الإجراء-، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012
85. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009
86. يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجية و الإجراء، عالم الكتب الحديث، ط1، 2007

المراجع الأجنبية :

1. Jack richards.john plat and Heidiwipere : longmon dictionary of applied linguistics,longmon, london 1987
2. David crystal. the combridge emcyclopedia of language combridge university press .compridagr ,new-york ,1987.
3. M.A.K Halliday & requiya hassen,Cohesion in english,Longman groupe, LONDON, Pub1,1976
4. M.A.K Halliday & requiya hassen,language context and text, aspects of language in social semiotic prespective, oxford University Press, second edition, 1989
5. NilsErik Enkvist :text linguisticsfor the applier an orientation 1987

المراجع المترجمة:

1. باتريك شارودو -دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر. عبد القادر المهيري-حمادي صمود، دار سيناترا للمركز الوطني للترجمة، تونس، 2008
2. براون و يول، تحليل الخطاب، تر:مُجد لطفى الزليطني و منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، (دط)، 1997
3. تون آلان فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط2001، 1
4. تون آلان فان دايك، النص بنى و وظائف-مدخل أولي إلى علم النص، تر:منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004.

5. تون آلان فان دايك ، النص و السياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 2000
6. جون لاينز، اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1981.
7. دومينيك مانغونو:المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة مُحمد يحياتن،الدار العربية للعلوم ناضرون،بيروت ،ط1،1428هـ-2008م،
8. دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة،مصر، ط1، 1998.
9. ديوجراند و دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، مطبعة دار الكتاب، ط1، 1993.
10. رولان بارط،لذة النص، ترجمة:فؤاد صفا والحسين سبحان،دار توبقال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ط1،1988.
11. زتسيسلاف و اورزنيال، مدخل إلى علم النص،مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد بحيري ،مؤسسة المختار القاهرة، ط1،2003.
12. فولفجانج هاينه من و ديتزفيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة:فالح بن شبيب العجمي، النشر جامعة الملك سعود ،الرياض، (دط)،1999
13. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص-مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، تر:سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع،ط1، 2005.

#### الرسائل الأكاديمية:

1. إكرام بن سلامة: المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة،الجزائر،2008م-2009م
2. شريفة بلحوت، الإحالة:دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول و الثاني من كتاب الاتساق في اللغة الانجليزية ل(م.أك.هاليداي و رقية حسن)،مذكرة ماجستير،جامعة الجزائر،2006، ص119.
3. مروان راغب حميد الربيعي، لسانيات النص القرآني في الدراسات الجامعية العراقية حتى عام 2014\*دراسة تحليلية،رسالة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، جامعة ديالى، العراق، 2016.

4. يونس ملال، المناهج اللسانية و أثرها في الدراسات القرآنية المعاصرة، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة أدرار-أحمد دراية، 2017.

مقالات منشورة:

1. أحمد كاظم عمّاش و رياض حمود حاتم، سياق الحال في الاتجاه الوظيفي "مايكل هاليداي انموذجا"، مجلة التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد، 29.
2. بوحنيك مرزاق، فلسفة التصور النظري للتلقي بحث في الجذور و الإرهاصات، مجلة البدر، جامعة بشار، مج 10، ع4، 2018، ص347.
3. عبد الكريم جمعان، مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، مجلة علامات، ج61، مج16، ماي 2007.
4. عز الدين اسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الفصول، المجلد 7 و العدد 3.
5. علاء الدين رمضان السيد، ظاهرة التناص بين عبد القاهر الجرجاني و جوليا كرستيفا، كلية اللغة العربية، أسيوط، مصر، المجلد3، 2014.
6. تودوروف، القراءة كبناء، تر: مُجد إديوان، مجلة الفكر العربي المعاصر.

مواقع الأنترنت:

1. علي صديقي، التناص و السرقات الشعرية، الشبكة العنكبوتية، موقع الأنطولوجيا، 2019/04/23 الساعة 05:05 مساء.



# فهرس الموضوعات

• فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
/	شكر و إهداء
أ-ز	مقدمة
	فصل تمهيدي: مفاهيم أساسية حول علم لغة النص
1	المبحث الأول: نحو النص (النشأة و التطور)
1	- الدراسات النصية في النقد الأدبي
3	- اللسانيات البنيوية (الوصفية)
4	- لسانيات الجملة
5	المبحث الثاني: ماهية علم لغة النص
5	- إشكالية المصطلح
5	- المفهوم
6	- وظيفة علم لغة النص
7	- خصائص علم لغة النص
8	المبحث الثالث: مفهوم النص
8	- الدلالة اللغوية للنص
9	- الدلالة الاصطلاحية للنص
9	○ عند علماء الأصول
10	○ عند علماء النص الغربيين
13	○ عند علماء النص العرب المحدثين
14	المبحث الرابع: جدلية النص و الخطاب
14	- النص هو الخطاب
16	- النص مختلف عن الخطاب
17	- تداخل النص مع الخطاب

18	المبحث الخامس: نماذج نحو النص
18	- النموذج الأول: تجزئة النص عند فاينريش
21	- النموذج الثاني: نحوية النص عند فاندايك
27	- النموذج الثالث: التحليل التوليدي عند بتوفي
28	- النموذج الرابع: التحليل الإجرائي للنصوص عند دي بوجراند
30	- أسس النظرية النصية عند جان ميشال آدم
31	- خاتمة الفصل
	الفصل الأول: جهود علماء العربية في مدارس القرآن الكريم و التأسيس لنظرية نصية
35	المبحث الأول: مناهج البحث في النص القرآني قبل ظهور نظرية النظم
35	- التعامل الأولي مع النص القرآني
35	- مراحل الدرس القرآني عند محمد زغلول سلام
36	- الجدول الأول: مرحلة التفسير بالمأثور
36	- الجدول الثاني: مرحلة الدراسات النحوية و اللغوية
36	- الجدول الثالث: مرحلة الإعجاز القرآني
37	المبحث الثاني: الدراسات البلاغية و البيانية المؤثرة في الفكر البلاغي لـ ( عبد القاهر الجرجاني)
37	- النظم في كتابات الجاحظ
38	- النظم في كتاب النكت في إعجاز القرآن لـ ( الرماني)
40	- النظم في كتاب بيان الإعجاز القرآن لـ ( الخطابي)
41	- النظم في كتاب بيان الإعجاز القرآن لـ ( الباقلاني)
45	- النظم في كتابات القاضي عبد الجبار
45	- الفصاحة
46	- المزية في الألفاظ وليست في المعاني
47	- النظم
48	المبحث الثالث: مفاهيم نحو النص في نظرية النظم لـ ( عبد القاهر الجرجاني)

48	- النظم لغة
49	- النظم في دلائل الإعجاز
49	- الجزء النظري في دلائل الإعجاز
50	➤ مراحل إنتاج الكلام عند الجرجاني
51	➤ مقولات نظرية النظم عند الجرجاني
51	- توخي معاني النحو
52	- معرفة العلل و الأسباب
53	- التعليق
54	- الجزء التطبيقي في دلائل الإعجاز
56	➤ مظاهر التماسك النصي عند الجرجاني
56	- التقديم و التأخير
66	- الحذف
72	- الوصل و الفصل
80	- التَّنَاصُ وعلاقته بالمصطلحات المماثلة له في التراث العربي
82	- معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني
85	- مكانة الإعجاز القرآني في دلائل الإعجاز
86	- النقد الموجه لنظرية النظم للجرجاني
87	المبحث الرابع: التحليل البلاغي للزمخشري في تفسير النص القرآني
87	- أدوات التحليل في تفسير النص القرآني
87	- الفصل والوصل
92	- الالتفات
95	- الحذف
95	- التكرار
97	- الإحالة

99	- ترتيب الجمل والآيات
100	- تفسير النص
102	خاتمة الفصل
	الفصل الثاني: الترابط النصي في الدرس اللساني الحديث عند الغرب ثم المحدثين العرب
106	المبحث الأول : الاتساق في اللغة الإنجليزية (هاليداي و رقية حسن)
106	- مفهوم النص والنصية
107	- الاتساق وأدواته النحوية و وظيفتها في تماسك النص
108	- المرجعية (الإحالة)
111	- الاستبدال والحذف
114	- الوصل
115	- الاتساق المعجمي
117	- النص وعلاقته بسياق المقام
118	- نقد نموذج هاليداي و رقية حسن
120	المبحث الثاني: التماسك الدلالي عند آلان تون فان دايك
121	- أولاً: الترابط والانسجام
123	- أدوات الربط و وظيفتها الدلالية في اتساق الخطاب
125	- مظاهر انسجام الخطاب أو النص
125	- العلاقات الدلالية والمعنوية
126	- ترتيب الأحداث في الخطاب
127	- البنيات الكبرى ودورها في تماسك النصوص
127	- السياق و دوره في عملية الفهم و التأويل
128	المبحث الثالث: نموذج تحليل الخطاب (براون ويول)
129	- علاقة الملتقي بانسجام الخطاب/النص
130	- مبادئ الانسجام عند براون ويول

130	- سياق الموقف وخصائصه
132	- مبدأ التأويل المحلي
133	- مبدأ التشابه
134	- مبدأ التغريض
135	- عمليات انسجام لخطاب
136	- المرجعية الفكرية و دورها في تأويل الخطاب
136	- الإطار والمدونة والسيناريو والخطاطة و (القاعدة-القمة) و (القمة- القاعدة) و الفرض الاستكشافي
137	المبحث الرابع: التماسك النصي عند روبرت دي بوجراند
138	- معايير النصية
145	المبحث الخامس: التلقي العربي للنظرية اللسانية النصية وإسقاطها على النص القرآني
145	- الترجمة
146	- الكتابات التأليفية العربية
148	- أنموذج في التحليل النصي على السور المكية لـ (صبحي إبراهيم الفقي)
150	➤ مظاهر التماسك النصي في سورة الأنعام
157	- خاتمة الفصل
	الفصل الثالث: قراءات في خصوصيات التعبير القرآني (سورة الرعد، آيات قرآنية) أنموذجا
160	المبحث الأول: مفهوم القراءة و آلياتها في تحليل النص القرآني
160	- القراءة لغة و اصطلاحا
162	- كيف تكون قراءة النص القرآني
163	- القراءة الحدائية للنص القرآني
164	- النص القرآني بين مقصدية الشارع و تقبلية المتلقي
164	المبحث الثاني: المدونة اللسانية للقرآن الكريم
164	البناء الشكلي للمدونة القرآنية
164	- مصطلح الآية

165	- الفاصلة القرآنية
168	- مصطلح السورة
169	- منهج ترتيب الآيات والسور
170	- فواتح السور
171	- دلالة الفواتح المعجمة
173	- دلالة الفواتح عند ابن أبي الأصبع المصري
176	<b>العلاقات التي تحكم النص القرآني</b>
176	- العلاقات الخارجية
177	- العلاقات الداخلية
179	- علاقة التناسب عند السيوطي
185	<b>المبحث الثالث: التماسك النصي في سورة الرعد</b>
186	- تسمية سورة الرعد و مضمونها الإجمالي
187	- التحليل اللساني لسورة الرعد
187	- فاتحة السورة
188	- المستوى النحوي(الإحالة-الوصل-الحذف)
205	- تحليل ومناقشة
209	- المستوى المعجمي( التكرار- التضام)
217	- تحليل ومناقشة
222	- قصيدة الشارع في تماسك السورة
223	<b>المبحث الرابع: السياق و أثره في فهم النص القرآني</b>
224	مفهوم السياق
226	أسباب النزول
226	<b>المبحث الخامس: تنوع الفواصل القرآنية و دورها في تماسك النص</b>
226	- الفاصلة القرآنية الطويلة -آية التداين (282 سورة البقرة)

228	- الفاصلة القرآنية القصيرة
229	- الوقف وأثره في توجيه الدلالة ( سورة الماعون)
230	المبحث السادس: ظاهرة الالتفات في النص القرآني
230	- المفهوم
230	- أنواع الالتفات
231	- الالتفات بين الضمائر
234	- التفات الخطاب بين المفرد والجمع والمثنى
235	- التفات الزمن
235	- التفات النصب
237	المبحث السابع: ظاهرة التصوير الفني عند سيد قطب
238	- المعاني الذهنية تخرج في صورة حسية
239	- الحالات النفسية و المعنوية تخرج في صورة حسية
240	- تصوير مشهد قصصي
241	- مشاهد يوم القيامة
242	المبحث الثامن: التشابه و الاختلاف في لغة القرآن
244	- التشابه و الاختلاف في قصة شعيب عليه السلام
245	المبحث التاسع: معرفة الناسخ والمنسوخ في النص القرآني
248	الخاتمة
253	قائمة المصادر و المراجع